أحسن تفسير للقرآن بفيض من الله عز وجل

معالم الإيمان في تفسير القرآن

الجزء التاسع والعشرون

سورة البقرة الآيات (١٧٢- ١٧٦)

المرجع الديني للمسلمين

الشيخ صالح الطائي

استاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والذي بيده مقاليد الأمور، الحمد لله الذي يرزق من يشاء بغير حساب والذي خلق ما شاء بإبدع هيئة وأجمل صورة وأبهى غاية وتفضل وجعل الإنسان خليفة في الأرض، وتجلت معاني الخلافة ببعثة الأنبياء ليتمسك الناس بطاعته وينقطعوا إلى عبادته، ويرغبوا بمسألته واللجوء إليه.

الحمد لله الذي صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.

وهذا الجزء هو التاسع والعشرون من (معالم الإيمان) ويقع في تفسير أربع آيات(١٧٢ -١٧٦)من سورة البقرة ، إذ تبدأ بلغة الإنذار والوعيد للذين يخفون بشارات التنزيل، وفيه رحمة بالناس، ودعوة للإنزجار عن تحريف معجزات النبوة والإصرار على إنكارها بلحاظ إرادة المعنى الأعم للإخفاء.

لقد بدأ هذا الجزء بقوله تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ ليكون مدرسة في وجوب نزع رداء كتمان الآيات ونفرة الناس من الذين يخفونها سواء ما تعلق بالمعجزات الحسية للأنبياء، أو الحسية والعقلية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو البشارات برسالته على لسان الأنبياء السابقين ، ويأتي هذا الإنذار والإسلام يزداد قوة ومنعة بفضل من الله عز وجل،

مما يدل على أن إخفاء الآيات لا يضر إلا أهله.

وأختتمت آية الصفا والمروة بالندب إلى النافلة وفعل الخيرات، ليكون ذكر شعائر الله مناسبة كريمة لتجلي معالم التقوى في عالم الأفعال.

وإبتدأت الآية التي بعدها بذم الذين يخفون الآيات التي أنزلها لله لتدخل آية الصفا والمروة كونهما من شعائر الله وفريضة الحج في حرمة كتمان الآيات، وقبحه الذاتي وضرره على الذات في الدنيا والآخرة.

وجاءت الآية التالية التي يتضمن تفسيرها هذا الجزء في التوبة والإصلاح والتبيان والحث عليها مجتمعة ومتفرقة بقوله تعالى﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾(١)، ثم ذكرت الآيات أن الإصرار على الجحود والموت على الكفر والصدود فيه خزي الدنيا والآخرة، والطرد من رحمة الله.

ثم عادت الآيات إلى التوحيد والترغيب بالإيمان بأن الله عز وجل هو(الرحمن الرحيم)(٢) وأختتم هذا الجزء بتفسير الآية التي تبين بديع صنع الله وعظيم قدرته وسعة سلطانه، وتعاهده للخلائق، قال تعالى﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾(٣).

---

(١)سورة البقرة ١٦٠.

(٢)الآية ١٦٣.

(٣)سورة الحج ٦٥.

قولــه تعــالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ الآية ١٧٢

الإعراب واللغة

يا ايها: حرف نداء، أي: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، الهاء: للتنبيه.

الذين: بدل من أي، آمنوا: فعل وفاعل والجملة صلة الموصول.

ما: اسم موصول في محل جر بالإضافة، ان: شرطية تجزم فعلين.

اياه: ايا: ضمير منفصل في محل نصب مفعول به متقدم، الهاء في موضع خفض.

تعبدون: فعل مضارع، والواو: فاعل، الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم.

في سياق الآيات

بعد بيان حال الكفار وما هم عليه من الجهالة والغواية جاءت هذه الآية لتخاطب المسلمين باحسن الحديث واتم البشارات، وقد تقدم قبل اربع آيات الخطاب ب﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً

طَيِّبًا﴾[١].

وبين صيغة الخطابين عموم وخصوص مطلق، فالذين آمنوا من الناس وليس كل الناس مؤمنين، وذات النسبة بين الناس وبني آدم، لأن آدم عليه السلام وحواء من الناس وليسا من بني آدم، اما النسبة بين بني آدم وبين المؤمنين فعموم وخصوص من وجه، فمادة الإلتقاء المؤمنون بالله ورسله من بني آدم، ومادة الإفتراق من المؤمنين آدم وحواء، وغير المؤمنين من بني آدم، وهذا الإستئناف في الخطاب ليس مقدمة لبيان المحرمات بعد امره تعالى بأكل الطيبات بل لبيان فضل المؤمنين وتشريفهم بخطاب خاص.

الأولى : صلة هذه الآية بالآيات المجاورة السابقة وفيها وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾[٢]، وفيها مسائل :

الأولى : يبعث موضوع آية البحث الغبطة في النفس لما فيه من الأمر الإلهي بالتنعم بالطيبات والوعد الكريم.

أما موضوع آية السياق فهو الإنذار والذم للكفار.

الثانية : في الجمع بين الآيتين تزيين الإيمان في النفوس وبعثها على بغض الكفر فمع الإيمان يأتي الرزق الكريم وتقريبه وتسهيل نيله والحصول عليه، ومع الكفر يفتقد الكافر حواسه فيما يلزمه من أمور الدين والواجب.

الثالثة : يدل منطوق آية البحث ومفهوم آية السياق على إنتفاع

---

(١) سورة البقرة ١٦٨.

(٢) سورة البقرة ١٧١.

المسلمين من حواسهم، إذ تخاطبهم آية البحث وتوجه لهم الأمر بالأكل من الطيبات الذي يدل بالدلالة التضمنية، بينما تحصر آية السياق تعطيل الحواس بالكفار.

الرابعة : بيان المائز الذي يتصف به المؤمنون وهو شكرهم لله عز وجل على نعمة الرزق الكريم، أما الذين لا يعقلون من الكفار فانهم يتخلفون عن مقامات الشكر لله.

الثاني : الصلة بين هذه الآية وقوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾(١)، وفيها مسائل:

الأولى : يتعلق موضوع آية السياق بالكفار وصدودهم عن القرآن وأسباب الهداية، بينما تخاطب آية البحث المسلمين بصبغة الإيمان.

الثانية : من منافع إتباع التنزيل والتصديق بالكتاب بلحاظ آية البحث أمور:

الأول : مجئ خطاب الإكرام والشهادة من الله بالإيمان.

الثاني : الأمر الإلهي بالأكل من الطيبات، وما لذّ من الطعام والشراب.

الثالث : مع الإيمان بالتنزيل يأتي الرزق الكريم.

الرابع : تلقين المسلمين الشكر لله عز وجل.

الخامس : الحث على تعاهد عبادة الله.

الثالثة : بيان الخسارة العاجلة في الدنيا بسبب التخلف عن إتباع

---

(١) سورة البقرة ١٧٠.

التنزيل والإعراض عن القرآن وما فيه من الأحكام فيفوت عن الإنسان رزق كريم، ويفيد الجمع بين الآيتين توجه التكليف للناس، ودعوتهم للإيمان وتجلي موضوع الدعوة بآيات التنزيل وما في القرآن من الإعجاز ولزوم الإعراض عن سنن الأباء إذا كانوا جاحدين بالتنزيل.

الثالثة : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا...﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : بين المخاطبين في آية البحث وآية السياق عموم وخصوص مطلق، فجهة الخطاب بآية السياق عامة تشمل الناس جميعاً بينما تخص آية البحث الذين آمنوا بالنبوة والقرآن.

الثانية : ورد لفظ (كلوا) في الآيتين، وهو من معاني الرحمة الإلهية، والمسلمون شطر من الناس ليفوزوا بالأكل من الحلال الطيب الذي ذكرته آية البحث، ويخصون بما جاء في آية البحث من الأكل من الطيبات.

الثالثة : تضمنت آية البحث أمرين وجملة شرطية، وتضمنت آية السياق أمراً ونهياً للناس ونعتاً وذماً للشيطان.

الرابعة : قيدت آية البحث أكل الناس بأنه من الأرض، بينما أطلقت آية البحث جهة كسب الرزق ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وفيه بشارة الملازمة بين الإيمان ونزول البركات من السماء قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

---

[1] سورة البقرة ١٦٨.

وَالأَرْضِ﴾[١].

وأخرج البزاز والطبراني بسند ضعيف عن عبد الله بن أم حرام قال : صليت القبلتين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت رسول الله صلى عليه وآله وسلم يقول: أكرموا الخبز فان الله أنزله من بركات السماء ، وسخر له بركات الأرض ، ومن يتبع ما يسقط من السفرة غفر له[٢].

الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية المجاورة وفيها وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ...﴾[٣]، وفيها مسائل :

الأولى : إتحاد جهة الخطاب، وتوجه كل من الآيتين إلى المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة.

الثانية : التباين الموضوعي بين الآيتين، إذ تضمنت آية البحث الأمر بأكل الطيبات، بينما جاءت آية السياق بالنهي عن أشياء مخصوصة في باب الأكل والطعام.

الثالثة : تضمنت آية السياق تحذير الناس من الشيطان وعداوته الشديدة لهم، أما آية البحث وحيث أنها خطاب للمسلمين فتضمنت الأمر بالتوجه إلى الله عز وجل بالشكر على نعمة الطيبات.

الرابعة : يفيد الجمع بين الآيتين أن التوقي من إتباع الشيطان

---

(١) سورة الأعراف ٩٦.

(٢) الدر المنثور ٢٧٤/٤ .

(٣) سورة البقرة ١٧٣.

مدخل للرزق الكريم، ومناسبة لشكر الله تعالى على النعم وعلى السلامة من إغواء الشيطان.

الخامسة : بيان قانون كلي في الحياة الدنيا وهو أن أكل الطيبات يغني عن اللجوء إلى الميتة والخبائث.

السادسة : يفيد الجمع بين الآيتين أنه بعبادة العبد لله يفوز بالمغفرة وينال رحمته، إذ أن خاتمة آية السياق ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ دعوة للسعي في مرضاة الله.

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ...﴾ [1]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت آية البحث خطاباً للمسلمين وشكراً لهم على إختيار الإيمان، أما آية السياق فتتعلق بالذين يخفون التنزيل ويكتمون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : بيان التباين بين منافع الإيمان والأضرار الآنية لإخفاء كنوز التنزيل، فمع الإيمان يأتي الرزق الكريم، ومع الكفر وكتمان الآيات يكون السعي للبدل والعوض عن هذا الكتمان.

الثالثة : ترغيب الناس بأكل الطيبات، والكسب الحلال بالإيمان وإظهار الآيات وإعلان البشارات بنزول القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تصدقها المعجزات الباهرات المصاحبة لها.

الرابعة : يدل الجمع بين الآيتين على التباين في ماهية وأثر أكل الطيبات وبدل إخفاء الآيات وفيه زجر عن الجحود بالتنزيل أو

---

(١) سورة البقرة ١٧٤.

تحريفه وتبديل كلماته، قال تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[١].

الخامسة : تضمنت آية السياق الوعيد والتخويف على إخفاء البشارات التي وردت على لسان الأنبياء السابقين بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاءت آية البحث بالشكر للذين صدقوا بنبوته ومجازاتهم في الدنيا بالطيبات من الرزق وقربها منهم، هذا القرب الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٢].

السادسة : في الجمع بين الآيتين دعوة للإيمان وترغيب بثوابه في النشأتين، وزجر عن إخفاء الآيات والبشارات وما فيه من الوعيد والتخويف بولوج النار.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾[٣]، وفيه مسائل :

الأولى : تقدير الجمع بين الآيتين على وجوه:

الأول : يا أيها الذين أمنوا أن الله نزل الكتاب بالحق.

الثاني : ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق كلوا من طيبات ما رزقناكم.

الثالث : اشكروا لله إن الله نزل الكتاب بالحق.

الرابع : ياأيها الذين أمنوا ان الذين اختلفوا في الكتاب لفي

---

(١) سورة النساء ٤٦.

(٢) سورة الأعراف ١٦٠.

(٣) سورة البقرة ١٧٦.

شقاق بعيد.

الخـــامس : كلــوا مــن طيبــات مارزقنــاكم ان الــذين اختلفــوا في الكتاب لفي شقاق بعيد.

الثانيـة : إبتـدأت آيـة السـياق باسـم الإشـارة (ذلـك) للدلالـة علـى موضوعية تنزيل الكتاب ولزوم تلقي المسلمين له بالتصديق.

الثالثـة : مــن مصــاديق نــزول الكتــاب مــن الله بــالحق والصــدق بلحاظ آية البحث أمور:

الأول : الشـهادة للمسـلمين بالإيمـان، لأنهـم صـدقوا بنـزول القـرآن من عند الله.

الثاني : إكرام المسلمين بأن يأكلوا مما لذّ وطاب من رزق الله.

الثالــث : الــرزق الكــريم مــن عنــد الله عــز وجــل ولا يقــدر عليــه وعلى إستدامته غيره سبحانه.

الرابـع : وجـوب التوجـه إلى الله بالشـكر والثنـاء علـى نعمـة الـرزق الكريم وتنزيل الكتاب بالحق.

الخامس : دعوة المسلمين لتعاهد ضروب عبادة الله.

الرابعــة : بعــث الســكينة وطــرد الفــزع والخــوف مــن نفــوس المسـلمين بخصـوص الـرزق لأن آيـة البحـث وعـد كـريم بتـوالي الـرزق، وتتضـمن آيـة السـياق الإخبـار بـأن هـذا الوعـد حـق وتنزيـل، وهـو مـن مصـاديق قولـه تعـالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

---

(1) سورة البقرة ١٧٧.

الخامسة : من مصاديق الشكر لله الذي ذكرته آية البحث وجوب إجتناب المسلمين الإختلاف في الكتاب والتخاصم والشقاق المترشح عن الإجتهاد في التأويل.

السادسة : يفيد الجمع بين الآيتين بأن المسلمين ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، لأنهم آمنوا بأن نزول القرآن حق من عند الله.

السابعة : العمل بمضامين التنزيل، وإتيان الأوامر التي وردت في القرآن وإجتناب النواهي برزخ دون حصول الخلاف والشقاق.

اعجاز الآية

في الآية اخبار غيبي عما اعد الله للمسلمين من الرزق وجعله على مراتب افضله الطيب وجعل مقابله شكره تعالى، ولغة التبعيض ﴿مِن طَيِّبَاتِ﴾ تدل على عظيم الرزق وسعته وعدم نفاذه.

وفي الآية رد سماوي لما يثار من احتمال النقص في الغذاء، وابطال لحال الفزع الذي يتولد عنه باستحضار حقيقة قرآنية وهي ان الخطاب القرآني ينحل بعدد المؤمنين والى يوم القيامة، وتبعث الآية الطمأنينة والسكينة في قلوب المسلمين فلا يخافون من هذه الأخبار التي تثير الفزع في الوهلة الأولى سواء كانت نتيجة دراسات وحسابات واحصائيات، او لها اغراض سياسية واقتصادية اخرى تتعدى الظاهر والمعلن او هما معاً، وصدرا على نحو الإتحاد الجهتي ام التعدد في جهة الصدور.

---

(1) سورة آل عمران ١١٠.

تتضمن الآية التشريف والإكرام للمسلمين من وجوه:

الأول : مجئ القرآن بالشهادة للمسلمين والمسلمات بالإيمان.

الثاني : موضوعية النطق بالشهادتين في مراتب الهداية والتقوى وفي قوله تعالى﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]، قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب و لا متشهد و لا صاحب صلاة إلا و ينادي بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[2].

الثالث : الأخبار عن كون رزق المسلمين أمراً محروزاً ولا تستطيع الخلائق حجبه أو إتلافه.

الرابع : تأديب المسلمين وتعليمهم وجوب شكر الله عز وجل .

الخامس : هداية المسلمين إلى لزوم عبادة الله وعدم الإشتراك به.

وتبين لآية الوفرة والنافلة في رزق المسلمين وأنهم لايأكلون إلا شطراً منه بدليل التبعيض (من طيبات) فان قلت المراد من التبعيض الإنحلال الزماني ففي كل يوم يأكل المسلم جزءً يسيراً من رزقه.

وكل جيل من المسلمين يأكلون شطراً من رزق عموم المسلمين، والجواب هذا المعنى لايتعارض مع إرادة الإطلاق في الآية ووفرة الرزق الذي سخره الله للمسلمين والناس جميعاً.

وقدمت الآية الأمر بالأكل وقيدته بالطيب ثم أمرت المسلمين بالشكر لله، ليكون شكر المسلم لله متعقباً للنعمة وهو باب لدوامها وتجددها، ولينال الثواب على الإمتثال للأمر الإلهي بأكل الطيبات،

---

(١) سورة الشرح ٤.

(٢) مجمع البيان ٣٤٦/١٠.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يؤجر المؤمن في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته[١].

وفي الآية إخبار وتنبيه عن طيب الطعام وتذوقه أثناء الأكل وذكر اسم الله عليه من أجل النماء والبركة، وعن أبي هريرة قال: مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ[٢].

ويمكن تسمية الآية آية (**كلوا من طيبات**) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا مرتين[٣].

الآية سلاح

في الآية تعليم وارشاد للمسلمين الى الكسب الحلال والرزق الكريم والإجتهاد في شكر الله تعالى لأداء حق تلك النعم ولكي تتصل وتدوم.

تبين الآية المنزلة الرفيعة التي تنال بالإيمان والتقوى وأن الجزاء على الإيمان لايختص بالحياة الدنيا بل تأتي مصاديق وأفراد منه في الحياة الدنيا وبما يجعلها مقدمة للإجتهاد في العبادة، ومزرعة لفعل الخيرات والصلاح.

ويمكن تسمية الحياة الدنيا بأنها دار المدد للمؤمنين، المدد الشخصي والنوعي ومن مصاديقه آية البحث التي تتضمن الوعد الكريم للمسلمين والمسلمات بالرزق الكريم لينقطعوا إلى عبادة

---

(١) تفسير ابن كثير٦/٥١٢.

(٢) مسند أحمد ٢٠/٣٩٦.

(٣) انظر سورة البقرة ٥٧.

الله، ولا يخشوا أحداً، قال تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾[١].

وليس من فترة بين الأمر بالكل من الطيبات وبين الأمر بالشكر والثناء على الله، ليكون هذا الشكر سبباً لإتصال النعم ودوام الرزق الكريم، وهو درس متجدد أمام الملائكة الذين إحتجوا على جعل الإنسان خليفة في الأرض كما ورد في التنزيل حكاية عنهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[٢]، فأمة عظيمة من الناس وهم المسلمون مواظبون على الشكر لله، وهذا الشكر برزخ دون الإفساد في الأرض وقتل النفس بغير حق.

وفي الآية بعث للكسب الحلال، ودعوة سماوية للضرب في الأرض وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة[٣].

ومع أن الآية أمر بالأكل من الطيبات فهي مدرسة في الشكر لله لما فيها من رشحات الفضل الإلهي وتوالي النعم على المسلمين، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: يقول الله تعلى يا ابن آدم كل يوم نرزقك وأنت تحزن وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح أنت فيما يكفيك وتطلب ما يطغيك لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع[٤].

---

(١) سورة المائدة ٤٤.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٢٨/٦.

(٤) الفتوحات المكية ٢٠٣/٧.

مفهوم الآية

في الآيـة بشـارة مسـتديمة للمسـلمين تسـتوعب ايـام الحيـاة الـدنيا بتفضـله تعـالى بتهيئـة مـوارد الـرزق الحـلال والطيبـات مـن المأكـل والمشـرب لعمـوم المسـلمين فـان قلـت قـدتمر ايـام مـن القحـط والجـوع علـى شـطر مـن المسـلمين او ان يهلـك بعضـهم مـن الجـوع والعطـش في المفـازة، قلـت: ان موضـوع الآيـة القواعـد الكليـة والإجمـال ولا عـبرة بالشـاذ النـادر الـذي يـأتي علـى نحـو الإبـتلاء وفيـه الثـواب والأجـر وقـد يحصـل بسـبب وجـود المـانع وليس انعـدام المقتضـي، كمـا لـو كـان هنـاك ظـالم يحـول دون انتفـاع المسـلمين مـن ثـرواتهم او يقـوم بتعطيـل الإسـتفادة مـن اسـباب الزراعـة والصـناعة او للتقصـير في مـوارد الشكر لله عز وجل واداء افراد العبادة.

لقـد انعـم الله علـى اهـل الأرض جميعـاً الـبر مـنهم والفـاجر فجـاءت هـذه الآيـة اذنـا الهيـاً ورخصـة خاصـة بـالمؤمنين ولعـل مـن مفاهيمهـا عـدم محاسـبة المسـلمين علـى الأكـل والشـرب يـوم القيامـة بشـرط ان يكـون حـلالاً للقيـد الـوارد في قولـه تعـالى ﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾

وفي الآيـة تقـديم للعبـادة وعـدم الإكتفـاء بالشـكر القـولي لمنـع الشـرك والإخبـار عـن كونـه حـاجزاً دون الطيبـات مـن الـرزق وان الشكر مع الشرك كالعدم ولكن لماذا هذا الشرط والقيد فكل مؤمن يعبد الله عز وجل الجواب من وجوه:

الأولى : ورد الشـرط للـذكرى والتنبيـه ولـيس مـن تحصـيل مـا هـو حاصل.

الثانية : لزوم اقتران الشكر بعبادته تعالى بغض النظر عن اكل الطيبات.

الثالثة : تتحصل الطيبات بادنى مراتبها ووجوهها.

الرابعة : يتحقق اداء الشكر باداء العبادات، فالعبد يؤديها بتوفيق منه تعالى ويحرز بها عظيم الثواب في الآخرة، فاداؤها نعمة عظيمة تستحق الشكر والثناء عليه تعالى.

الخامسة : ان عبادته تعالى سبيل لدوام الحياة في الأرض ومع الحياة يأتي الرزق.

السادسة : مما هو معروف في علم الأصول ان شكر المنعم واجب.

السابعة : من وجوه الإبتلاء والإمتحان في الدنيا التشابه الظاهري بين الناس وتشابك الخير والشر وتداخل النور والظلمة واختلاط البياض والسواد لتتجلى مفاهيم الشكر له المقرون بالعبادة عنواناً وعلامة على الإيمان.

الثامنة : ليأتي الشكر صادراً عن الذات الإيمانية والهوية الإسلامية بالإختيار والرضا وبمفهوم الجزاء والثناء على النعم الإلهية فيتجدد مع العبادات كفرائض.

التاسعة : من المعارف الربوبية ان الشكر تضرع ومسكنة ورجوع الى الباري عز وجل وكأنه سجود فطري فيه ارتقاء عن النفس البهيمية.

العاشرة : المواظبة على الشكر لله تعالى تلين القلوب وتحول دون قسوتها وتجعلها في سعة ممتلئة بضياء الهدى مستعدة لتلقي الأحكام والمعارف وتحصيل الكمال الإنساني.

الحادية عشرة : في الآية رد على شبهة ودفع وهم، فقد يقول بعضهم ان المؤمن يرزق كما يرزق الكافر بل قد يكون اقبال الدنيا وزينتها على الكافر اكثر منه على المؤمن، وظهور النعم الدنيوية في بلاد الكفر ابين منه في بلاد المسلمين، فتأتي الآية لتخبر ان التوفيق الى العبادة وحده يستلزم الشكر وان الشكر باب فتحه الله لخاصة اوليائه وانه مقدمة لتوالي النعم وانبساطها.

الثاني عشرة : تتجلى في الآية قاعدة في المعرفة الربانية وهي ان المباح يتناوله المؤمن باذنه وامره تعالى.

الآية لطف

لقد أراد الله عز وجل للمسلمين أن يكون (الأمة الشاكرة) وكما يؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم وعلى نحو الوجوب العيني على كل مسلم ومسلمة فان المسلم يشكر الله على نعمة أكل الطيبات عدة مرات في اليوم ليكون هذا الشكر مناسبة للعفو ومغفرة الذنوب وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ أَكَلَ طَعَاماً ، فَقَالَ : الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَطْعَمَني هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنيه منْ غَيْر حَوْلٍ منِّي وَلاَ قُوَّة غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه ، ومَنْ لَبِسَ ثَوْباً ، فَقَالَ : الحَمْدُ للَّه الَّذي كَسَاني هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنيه منْ غَيْرِ حَوْلٍ منِّي وَلاَ قُوَّةٍ غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه[1].

لقد أراد الله عز وجل تنمية ملكة العفة وأخذ الحائطة للدين عند المسلمين، فأخبرت آية البحث عن اليسر والسهولة في وصول المسلمين للطيبات وإنعدام الحواجز بينهم وبينها، وحثهم على

(١) تفسير الثعالبي ١٥٠/٣.

التوجه إليه بالشكر والثناء ليباهي بهم الملائكة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة ويشرب الشربة فيحمد الله عليها[١].

فان قلت قد يكون المؤمن فقيراً ببيت طاوياً وهو وعياله والجواب إنها مناسبة للدعاء وسؤال الرزق الكريم وإمتحان للعصمة من الحرام وأكل الباطل، وكأن الدعاء والتسبيح غذاء وعن علي عليه السلام: أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وآله تشكو اليه ما تلقى في يدها من الرحى وبلغها أنه جاءه رقيق – فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء صلى الله عليه وآله أخبرته عائشة، قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم، فقال على مكانكما، فجاء فقعد بينى وبينها حتى وجدت برد قدمه على بطني، فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ إذا أخذتما مضجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم[٢].

ومن اللطف الإلهي في آية البحث بيان الملازمة بين عبادة الله والتوجه بالشكر له سبحانه فان قلت ذات الشكر هو عبادة، والجواب هذا صحيح ولكن الآية جاءت بالتفصيل والبيان وبأفراد حكم مستقل للشكر لله بلحاظ موضوعه وهو أكل الطيبات وليكون مقدمة للعبادة وإصلاحاً للنفس وتنقية للقول وصيرورة اللسان رطباً بذكر الله، وفيه تأديب للمسلمين بعدم الإنشغال بالطيبات وحلاوتها عن ذكر الله عز وجل بل تكون هي وزينة الدنيا مناسبة للذكر وواقية من الغرور واللهو.

---

(١) الدر المنثور ٣٣٧/١.

(٢) بحار الأنوار ٣٣٨/٨٢.

إفاضات الآية

تبدأ الآية بخطاب المسلمين بصيغة الإيمان الذي يجعلهم في سياحة دائمة في منازل التقوى، وحرص متصل في تعاهدها والمناجاة بالبر والإحسان وتوارث أداء الفرائض وعدم الخروج عن أوامر ونواهي القرآن والسنة وتميل النفوس إلى الطيب وتنفر من القبيح، ولم ينحصر إكرام المسلمين بالخطاب بل جاء الأمر لهم جميعاً بالأكل من طيبات الرزق.

ولم تقل الآية (كلوا طيبات) بل جاءت بلغة التبعيض (كلوا من طيبات) أي أن الزائد عن حاجة ورغبات المسلمين أيضاَ طيب في ذاته، ومتعدد في نوعه، وتلك آية تتجلى شواهدها للحواس وهي ظاهرة للوجدان وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ الله طيب لا يقبل إلاّ الطيب، وإنّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين. فقال : {يا أيّها الرّسل كلوا من الطيبات} وقال {يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} ثمّ ذكر الرّجل يطيل السّفر أشعر أغبر يمدّ يديه إلى السماء بيا ربّ يا رب ومطعمهُ حرام ومشربه حرام وملبسهُ حرام وغُذي في حرام فأنّى يستجاب له[1].

وفي الحديث أعلاه مسائل :

الأولى : بيان حقيقة وهي أن المسلمين ورثة الأنبياء.

الثانية : تأكيد قانون كلي وهو أن الله إذا أنعم على أهل الأرض بنعمة فانه أكرم من أن يرفعها، وقد رزق الأنبياء أكل الطيبات وإنقطعت النبوة بانتقال خاتم النبيين إلى الرفيق الأعلى،

---

(1) الكشف والبيان ١/٣٠٢.

ولكن نعمة أكل الطيبات تركه كريمة من عند الله باقية في الأرض ينالها ورثة الأنبياء وهم المسلمون.

الثالثة : تأديب المسلمين على الشكر لله على أكل الطيبات بفعل الطيب وإتيان الحسن من الأعمال وكأن قوله تعالى ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ أي اشكروه بعمل الصالحات.

الرابعة : بعث النفرة من الحرام والأكل بالباطل، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [١].

الخامسة : البيان والتفصيل في الحديث النبوي، وبما يفيد منه الجهالة والغزو، فتشمل الحديث أموراً:

الأول : الأكل والشرب الحرام.

الثاني : الملبس الحرام.

الثالث : الغذاء الحرام.

السادسة : دعوة المسلم لتهيئة مقدمات الدعاء، والسعي لبلوغ مراتب إستجابة الدعاء بالأكل من الحلال الطيب وإجتناب الحرام.

السابعة : إقامة الحجة على الناس بعدم الحاجة إلى الحرام لأن الله عز وجل سخّر وهيئ الطيبات للمؤمنين، فان قلت إن الكافر لم يسخر له ما سخر للمؤمن والجواب من جهات:

الأول : جاءت الآيات بالإخبار عن تهيئة الحلال الطيب للناس جميعاً، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّبًا﴾ [٢].

---

(١) سورة النساء ٢٩.

(٢) سورة البقرة ١٦٨.

الثاني : الأصل توجه الدعوة بالإيمان للناس جميعاً.

الثالث : وفرة وقرب الرزق الحلال من المسلمين حث للناس لدخول الإسلام.

لقد جعل الله عز وجل القرآن مدرسة تهذيب الأخلاق، وبتلاوة آياته والعمل بمضامينها يرتقي المسلم في سلم المعارف ويتنزه عن السيئات، فجاءت آية البحث لسمو ورفعة المسلمين، وإصلاح نفوسهم وعن ابن القيم قال: مراتب الغذاء ثلاثة: أحداها:مرتبة الحاجة، الثانية : مرتبة الكفاية، الثالثة :مرتبة الفضلة.

وجاءت الآية الكريمة وعداً بكنوز الفضلة والنافلة والزيادة من الطيبات والرزق الكريم وفيه حجة على الناس الذين يتخلفون عن مراتب الإيمان.

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : الترغيب بدخول الإسلام وإكرام المسلمين.

الثانية : مجيء الآية بما يفيد إختصاص المسلمين بخطاب الإكرام(ياأيها الذين آمنوا).

الثالثة : الآية من مصاديق قوله تعالى﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، لأن الرزق الكريم موضوع للهيبة والشأن ومقدمة للرفعة.

---

[1] سورة المنافقون٨.

الرابعة : إتخاذ تحصيل الطيبات وقربها بلغة للسعي في مرضاة الله.

الخامسة : بيان عظيم قدرة الله وسعة رحمته لعباده بتهيئة رزقهم، وهذه التهيئة على وجوه:

الأول : وجود الطيبات وكنوز الأرض فيها قبل أن يهبط آدم وحواء إليها.

الثاني : التكاثر والتوالد في الأنعام.

الثالث : صلاح الأرض للإنبات.

الرابع : المدد من عند الله في تهيئة مقدمات الزراعة، وورد في الخبر أن أول طعام لآدم في الأرض هو الخبر، إذ جاءه جبرئيل بسبع حبات من حنطة، فقال ما هذا، فرد عليه جبرئيل هذا من الشجرة اتلي نبدت عنها، وبذر آدم حبات الحنطة لتنبت أضعافاً مضاعفة فحصد الزرع ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه وعجنه وخبزه فأكل منه بعد عناء ومشقة وهو من مصاديق قوله تعالى﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[1].

ولم تقل الآية أعلاه فتشقيا للدلالة على أن آدم هو الذي يكّد ويدل الجهد ويجلب لزوجته الطعام والمؤونة، وفي خبر ضعيف أن أول طعام آدم في الجنة هو النبق.

السادسة : إبتدأء الدعوة من عند الله للمسلمين بأكل الطيبات، وفيه دلالة على تشريفهم، وإخبار بسبق وجودها.

---

[1] سورة طه ١١٧.

السابعة : الطعام والشراب من الرزق الكريم، وفيه دعوة للمسلمين للتنزه عن الحرام، وإجتناب أكل الباطل.

الثامنة : حب الله عز وجل للمؤمنين وشكرهم له.

التاسعة : دوام وزيارة النعم بالشكر لله من منازل الإيمان قال تعالى ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

العاشرة : بيان قانون كلي وهو ان الأمة التي تعبد الله يجب أن تشكره.

الحادية عشرة : موضوع الشكر في الآية أعم من أكل الطيبات فيشمل أموراً:

الأول : شكر الله عز وجل على الفوز بمرتبة الإيمان.

الثاني : قطف ثمار الإيمان في الدنيا بأكل الطيبات.

الثالث : أكل الطيبات في الدنيا مقدمة للإقامة في نعيم الجنة قال تعالى في وصف ثمار الجنة ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[2].

الرابع : شكر الله على البعث والإعانة على شكره تعالى، لأنه توفيق وخير محض.

---

(1) سورة ابراهيم ٧.

(2) سورة الواقعة ٣٢-٣٣.

الثانية عشرة : من مصاديق فوز المسلمين بمرتبة ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، جمعهم بين شكر الله عز وجل وعبادته والإمتثال لأوامره.

الثالثة عشرة : إتخاذ المسلمين أكل الطيبات مناسبة ووسيلة للإنقطاع إلى عبادة الله.

الرابعة عشرة : بيان حقيقة في الحياة الدنيا ومصداق من مصاديق ملك الله للأرض وهو أن الأمة التي تؤمن بالله والنبوة والتنزيل وتوظب على عبادة الله يأتيها الرزق الكريم على نحو دفعي وتدريجي لتشكر الله، ومن خصال المسلمين تلاوة كل وحد منهم ذكراً أو انثى في الصلاة اليومية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، كي يجعله الله عز وجل شكراً له سبحانه.

الخامسة عشرة : آية البحث من مصاديق الوعد الكريم في قوله تعالى ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾[3].

السادسة عشرة : ترغيب الناس بالأكل بلحاظ نعت الأطعمة بانها من الطيبات، ومع هذا الترغيب وما يؤدي إلى من كثرة الطبخ والأكل فان هناك فضلة وزيادة في الرزق الكريم الذي سخره الله للناس.

---

(1) سورة آل عمران ١١٠.

(2) سورة الفاتحة ٢.

(3) سورة طه ١٢٣.

التفسير

من اللطف الإلهي مخاطبته سبحانه المؤمنين خصوصاً وانه جاء على نحو الدعوة للإنتفاع الأمثل من فضله ورزقه الكريم، فبعد آيات الإنذار والتنبيه، جاء هذا الخطاب للمسلمين وكأنه عملية فرز وتمييز استحق معها المؤمنون الإختصاص بخطابات التكريم.

واذا قلت: قد يرد ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ متضمناً نوع توبيخ، قلت: انه من باب اياك أعني واسمعي يا جارة، ففيه تحذير وتنبيه، ولا يعني هذا الخطاب التقسيم الإبتدائي القطعي، اذ ان نعت الإيمان والإنتساب الى الإسلام مفتوح لكل من شمله الخطاب ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾.

لذا يمكن القول بان هذه الآية في مفهومها ترغيب للكفار بالإسلام فقد يتباطئون عن الإسلام بسبب ما فيه من التكاليف واحكام الحلال والحرام، وهي ناظرة الى الرزق الكريم الذي خص الله عز وجل به المؤمنين، وفي التأريخ الإسلامي شواهد كثيرة لرجال دخلوا الإسلام فاصبحوا من الأغنياء وتوالت عليهم النعم.

قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

الأولى : يبدو اللطف في الآية من صيغة الخطاب بصفة الإيمان والتي تتضمن التكريم والاحسان والتخصيص بلغة المدح، الأمر الذي يخرج الآية عن موضوع الآيات السابقة وما فيها من التوبيخ.

الثانية : ظاهر الآية الأمر ولكن لورود موضوع الأكل حمله بعض المفسرين على الإباحة لأن الأكل من المباحات وليس هو من التعبديات.

ولكن تلك القرينة غير كافية لحمل الأمر على غير معناه الحقيقي خصوصاً وانه ورد بالتخصيص بنوع معين من الرزق وهو الطيبات، والرزق على اقسام ففيه الحلال الخالي من الشبهات، وفيه الذي تحوم حوله الشبهات وهو من افراد المكروه، وفيه المباح وهو من الجائز، ومنهم من جعل الكسب الحرام من الرزق وجرت حوله احتجاجات كلامية.

قوله تعالى ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

الأولى : جاءت الآية على نحو الأمر التنزيهي والمولوي وليس من باب الأولى كي يعتبر تركه جائزاً.

الثانية : الآية تدل في مفهومها على النهي عن اكل الخبيث والاستغناء عنه وانه خارج عن موضوع الرزق بالتخصص.

الثالثة : يمكن ان تكون الطيبات على مراتب متفاوتة من حيث السؤال والحساب وعدمهما.

الرابعة : تبين الآية فضله تعالى في امكان الاختيار في وجوه الرزق.

الخامسة : تدل الآية على وجود زيادة وفضل في الرزق الإلهي، ويدل على السعة قيد ﴿ طَيِّبَاتِ ﴾ فهو لا يفيد في مفهومه وجود الخبيث من الرزق وان عدّه الأشاعرة منه، بل من باب تعدد المطلوب واختيار الأفضل والأمثل، اما الزيادة في الكم فهي مركبة يدل عليها حرف الجر ﴿ مِنْ طَيِّبَاتِ ﴾ الذي يدل على التبعيض بالاضافة الى لغة التنكير في الاسم الموصول ﴿ مَا ﴾.

السادسة : الأمر الإلهي بحصر الأكل بالطيبات بشارة انتفاع

المسلمين من نعم الارض.

السابعة : في الآية تأديب واشارة الى التدبير والخزن وعدم الاسراف وتعاهد النعم واجتناب اضاعة الخيرات وتلف الثروات، لأن الأمر بالأكل يعني عدم التفريط او استعمال الرزق في غير ما أنزل من أجله.

الثامنة : التبعيض في الآية دلالة على لزوم الاقتصاد في الانتفاع وترك فضلة للذات او للوارث شخصاً كان او أمة وجيلاً من الابناء.

التاسعة : تمنع الآية التشديد على النفس وتنهى عن البخل والشح.

العاشرة : الأمر بالأكل من الطيبات ضمان لدوام الرزق الكريم في الارض ودحض وتكذيب للاصوات المفزعة التي تصدر هذه الأيام لإنذار الناس وتخويفهم من المجاعة المتوقعة، وتحث الجميع على استقراء وجوه الرزق الكريم وتنمية مصادره.

الحادية عشرة : تبين الآية بساطة حاجة الإنسان، لأن الأهم فيها الأكل وقد جعله الله عز وجل عند الإنسان محدوداً وهو جزء من الإعجاز في تنظيم المعاش والمنع من حب الإستيلاء والإفراط في الحيازة.

الثانية عشرة : تمنع الآية من الخصومة والنزاع والخلاف، فالرزق ومنه الملك من أهم اسباب الصراعات التي تنشيء على الارض، فاذا كان كل انسان يحرص على الرزق الحلال الخالي من شوائب الظلم والحرام والبعيد عن الشبهات لتهذبت الاخلاق ونقصت او انعدمت الحروب ووظفت الاموال الطائلة التي

تصرف فيها في مصالح العباد، ونجا كثير من الناس من القتل وساهموا في الكسب، ولتوجه الناس جميعاً الى معرفة الفرائض والواجبات.

الثالثة عشرة : تمنع الآية من التعدي على اموال الآخرين مسلمين كانوا او غير مسلمين ويدل عليه اعتبار "قاعدة السلطنة" الفقهية عند علماء الإسلام وهي: (ان الناس مسلطون على اموالهم)، فجاء بذكر لفظ الناس مطلقاً.

الرابعة عشرة : في الآية بشارة تيسير وجود الطيبات من الرزق الحلال.

بحث كلامي

من اسمائه تعالى الرازق والرزاق، والاسم الأخير هو الذي ورد في القرآن وهو الذي خلق الأرزاق واوصلها الى الخلائق لتنتفع بها وتستديم الحياة مادة ووعاء ومناسبة لعبادته وطاعته سبحانه.

لقد اتفق المسلمون في تعريف اصل الرزق وموضوعه الخارجي اجمالاً ولكنهم اختلفوا في التقييد والإطلاق بلحاظ الحلية وعدمها، فالأشاعرة قالوا بانه كل ما تتغذى به الحيوانات وتشربه سواء كان حلالاً او حراماً، واستدلوا بخبر عمر بن قُرة اذ قال: "يا رسول الله، ان الله كتب عليّ الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن في الغناء من غير فاحشة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد كلام، لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة أي عدو الله لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد هذه المقالة ضربتك ضرباً

وجيعاً"[1].

ورمى المعتزلة الحديث بضعف السند وأولوا الحديث وحملوا قوله صلى الله عليه وآله وسلم على اختيار الرجل للحرام، وانه اطلق لفظ الرزق على الحرام من باب المشاكلة.

وعرّف الرزق بانه ما صح الإنتفاع به وليس لأحد منع المنتفع منه، ومنهم من قيده بالتغذي، واستدلوا بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ان الله تعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً".

والأولى ان يعطى معنى الرزق في القرآن المقام المناسب في تحديد مفهوم الرزق وكذا الحال عندما ينحصر الخلاف في مسألة خاصة من الموضوع مع احتمال ان المقام ليس من المتشابه او الذي يحتمل عدة وجوهاً من التأويل، فمادة رزق واشتقاقاتها وردت في القرآن نحو مائة وسبعاً وعشرين مرة، اكثرها تضيف الرزق الى الله عز وجل او تذكره على نحو الإطلاق، وليس فيها ما يدل على وصف الحرام بالرزق، لعدم وصول النوبة اليه، فالحلال يستوعب كل وجوه الرزق.

والرزق على قسمين: منه ما هو رزق حسن وكريم وطيب وهو الذي يتصف بالزيادة الكمية او النوعية او الكيفية الخاصة القرب والدنو وسهولة الكسب او ما يستلذ، او تكون الإفاضات الإلهية فيه ظاهرة، ومنه ما يصدق عليه الرزق من غير عناوين اضافية واعتبارية زائدة، وهذا التقسيم منا يجعل ما استدل به الأشاعرة بان وصف الطيب يعني وجود رزق حرام هو امر مستبعد، كما ان

---

(1) بحار الانوار ٥/١٥٠.

الأرزاق تنقسم الى نوعين:

الأول : الـرزق الظـاهر: وهـو الـذي ينفـع الأبـدان في بقائهـا مثـل الطعام والشراب والمال والولد.

الثـاني : الـرزق البـاطن: وهـو الـذي يصـلح القلـوب وفيـه صـفاؤها كالمعارف والعلوم.

يمكـن اجـراء دراسـة مقارنـة بـين قولـه تعـالى قبـل بضـع آيـات ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ... ﴾ وبـين قولـه تعـالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ففيهـا حصـص زائـدة منهـا ذكـر الطيبـات علـى نحـو الجمـع ووصـفها بـالرزق وفيـه نـوع ضـمان وتوكيـد للـرزق الكـريم واضـافته الى الله عـز وجـل أي سـواء بسـعي او بدونه.

قوله تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾

الأولى : أمـر إلهـي بـاداء الشـكر علـى الـنعم المتواليـة ومنهـا الـرزق الكريم من اجل دوامها واداء حقها.

الثانيـة : استحضـار ان الـرزق والـنعم مـن عنـد الله فتكـون حينئـذ مناسبة لذكره تعالى.

الثالثـة : ان شـكره تعـالى احـد افـراد الـذكر لأنـه في الاصـطلاح اعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

الرابعـة : في الآيـة تأديـب للمسـلمين لمـا يتضـمنه الشـكر مـن الخضـوع والتـذلل والخشـوع للمشـكور علـى نعمتـه، وفيهـا تعاهـد لمقدمات اداء الفرائض.

الخامسة : الأمر بالشكر لله في الآية ورد مطلقاً مما يعني انه لا يتعلق بالطيبات من الرزق فقط بل يشمل عموم النعم ومنها نعمة الخلق، والإسلام، والحياة، واداء الواجبات.

السادسة : الشكر نفسه نعمة تحتاج الى الشكر.

السابعة : ورد عن الإمام الباقر عليه السلام وعن الصادق عليه السلام: "انه كان اذا اصبح وامسى يقول: اللهم ما اصبح بي من نعمة من دين او دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتى ترضى وبعد الرضا"، كان يقولها اذا أصبح وأمسى ثلاثاً، وفي الدعاء نفع مركب، ففيه منع من الغلو ودعوة للنظر الى الأئمة كعبيد داخرين لله عز وجل تتجسد فيهم اسمى معاني الرق والذل لمقام الربوبية، وفيه نفي ومنع وابطال للغلو.

الثامنة : الشكر على الاحسان فلسفة اخلاقية تنمي حال الانصاف وتشعر الانسان بالضعف والحاجة التي هي من صفات الممكن، وتدعو الآية الى قصده، والشكر لله عز وجل لا يصدر الا مع القصد والعلم بصدور هذه النعم من عنده تعالى.

التاسعة : قد يكون الشكر:

الأول : باللسان.

الثاني : بالجوارح.

الثالث : بالافعال.

الرابع : بالقلب.

وأدناها مرتبة الأخير للمائز في ظهور الشكر باللفظ في الأول، وبالفعل والعمل في الثاني والثالث.

العاشرة : الأمر بالأكل من الطيبات عام يشمل كل مسلم آمن ظاهراً بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونطق بالشهادتين، لامكان ان يكون الرزق الحلال والنعم التي توالت بالاسلام باباً لتثبيت الاسلام في قلوبهم وانتقالهم الى صفوف المؤمنين وطرد خصال النفاق من نفوسهم ومنع ظهورها على اعمالهم.

قوله تعالى ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

اداة الشرط (ان) فيها وجوه:

الأولى : لتثبيت حقيقة العبادة.

الثانية : لإظهار الملازمة بين شكره تعالى وبين العبادة، فالعابد لابد وان يشكر الله عز وجل على نعمه المتواصلة.

الثالثة : ان الشكر لله تعالى امتحان وعمل عبادي.

الرابعة : على المبنى الذي نذهب اليه بان قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ اعم من المؤمنين بالإصطلاح الخاص والعام، فان الآية الكريمة جاءت لإخراج المنافقين بالتخصيص، وان الأمر بالشكر متوجه لمن يعبد الله مخلصاً وشمولهم بالأمر بالأكل من الطيبات ودعوة للتنزه من النفاق والرياء.

الخامسة : الآية لإظهار موضوعية الشكر في العبادة ولزوم عدم التفريط به.

السادسة : اهمية القول في مسالك العبادة فالشكر باللسان يدخل في العبادة او انه متمم لها.

السابعة : صحيح ان الشكر اقرار بالنعمة مقرون بالتعظيم الا انه قد يعني اظهار وجوه الطاعة للتباين بين نعمه تعالى واحسان الآخرين، فشكره سبحانه لابد وان يختلف في سنخيته ولو في الجملة.

الثامنة : ﴿ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ أي حصر العبادة به تعالى لأن تقديم المفعول به يفيد الحصر والإختصاص وكأن الشكر فرع العبادة وأحد أهم مصاديقها.

التاسعة : وورد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "يقول الله تعالى: اني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر غيري".

العاشرة : كما يقيد ظاهر الآية الشكر بالقصد والإرادة، فأنه يقيده ايضاً بالعبادة والاسلام، خصوصاً مع تنزيل الشكر منزلة العبادة لأن العبادات لا تقبل الا مع قصد القربة.

وفي باب البلاغة جاءت جملة ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾ متقدمة على اداة الشرط وتصلح ان تكون جزاء، والأقوى عدم الحاجة الى التقدير وهو مذهب مدرسة الكوفة النحوية باعتبار ان المقدم هو الجواب بخلاف مدرسة البصرة.

قولـه تعـالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية ١٧٣

القراءة

قرأ ابو جعفر (الميتة) مشددة في كل القرآن اذ جاءت في ستة مواضع منه، وقرأ اهل الشام والكسائي (فمن) بضم الميم.

وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي (فمن أُضطر) بضم النون، والباقون بالكسر وهو المرسوم في المصاحف.

الإعراب واللغة

وما: الواو حرف عطف، ما: اسم موصول منصوب.

اهل: فعل ماض مبني للمجهول.

غيرَ باغ، غير: حال لقوله تعالى (فمن)، باغ: مضاف اليه وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة.

فلا: الفاء رابطة لجواب الشرط، لا: نافية للجنس.

والميت: الحيوان الذي فارقته الحياة من غير ان يذكى او يذبح على الطريقة الشرعية، اذ ان الموت يستحيل معه النمو والاحساس وهو مناف للحياة، ويجب ان تقع التذكية على الحيوان حال الحياة ولو المسمى منها كما ياتي تفصيلاً في البحوث الفقهية، والموت: السكون، وكل ما سكن فقد مات.

اهل لغير الله: أي ذبح للآلهة والأوثان، واصل الإهلال: رفع الصوت ومنه سميت التلبية بالإهلال.

الإضطرار: الإلتجاء الى الشيء عن حاجة، والبغي: الظلم والفساد والإعتداء على الناس.

في سياق الآيات

بعد ان أمر تعالى بالأكل من الطيبات جاءت هذه الآية للبيان وحصر المحرمات وللإعانة على الشكر وحسن العبادة.

الأول: صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ...﴾[1]، وفيها مسائل:

الأولى: إتحاد جهة الخطاب وتوجه كل من الآيتين إلى أجيال المسلمين والمسلمات إلى يوم القيامة.

الثانية: جاءت الآية السابقة بالأوامر التي تتكفل الحياة الكريمة للمسلمين في الحياة الدنيا فضلاً وجزاءاً من عند الله، أما آية البحث فتضمنت النواهي في باب الأكل.

الثالثة: من أسرار العطف والتداخل بين الآيتين أن كلاً من الأمر بأكل الطيبات والنهي عن أكل الخبائث رحمة وإكرام للمسلمين، وشاهد على اللطف الإلهي بهم إذ جعل الله كفايتهم وحاجتهم في الطيبات فلا تصل التوبة إلى أكل ما حرم الله.

الرابعة: يفيد الجمع بين الآيتين توجه المسلم بالشكر لله على أمور:

---

(١) سورة البقرة ١٧٢.

الأول : أكل الطيبات .

الثاني : الأمر بالشكر لله .

الثالث : الهداية إلى مقامات الشكر لله.

الرابع : الإخلاص في عبادة الله.

الخامس : التنزه عن أكل الخبائث.

السادس : التقيد بإجتناب المحرمات.

السابع : الرخصة في أكل المحرمات عند الضرورة.

الخامسة : يفيد الجمع بين الآيتين ذكر اسم الله عز وجل على الذبيحة.

وكان الكفار يجادلون في الميتة وأنها ذبيحة الله زكاها بيده الكريمة بسكين من ذهب، فنزل قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[1].

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ...﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : يفيد الجمع بين الآيتين تفقه المسلمين في الدين ومعرفة أحوال الناس، فجاءت آية البحث في المعاملات وأحكام الذباحة والأكل، بينما جاءت آية السياق في ذم الذي كفروا بصيغة المثال المتعلق بالحواس.

---

(١) سورة الأنعام ١٢١.

(٢) سورة البقرة ١٧١.

الثانيـة : بيـان التبـاين بـين المسـلمين والكفـار، بـأن يعـي ويفقـه المسـلمون الحكـم الشـرعي، ويتلقـو الأوامـر في بـاب التذكيـة والحليـة والحرمة.

الثالثـة : ترغيـب النـاس بالإسـلام وأحكامـه، وبعـث النفـرة في نفوسهم من أكل الميتة والخبائث.

الرابعـة : تنميـة ملكـة ذكـر الله علـى الأكـل عنـد المسـلمين، وقـد وردت السنة بالتسمية على الأكل وتدارك الإتيان بها عند النسيان، وعـن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: مـن نسـي أن يـذكر اسـم الله في أول طعامـه فليقـل حـين يـذكر : بسـم الله في أولـه وآخـره ؛ فإنـه يستقبل طعاما جديدا ، ويمنع الخبيث ما كان يصيب منه[1].

الثالــث : صــلة هــذه الآيــة بقولــه تعــالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : تضـمنت آيـة السـياق الـدعوة لإتبـاع التنزيـل، وبينـت آيـة البحـث وجوهـاً مـن التنزيـل تتعلـق بالطعـام وحليتـه أو حرمتـه، وذكرت أطعمة محرمة على المسلمين وهي:

الأول : الميتة أي من الحيوانات البرية.

الثاني : الدم.

الثالث : لحم الخنزير.

الرابع : ما أهل به لغير الله.

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢٨٧/١٠.

(٢) سورة البقرة ١٧٠.

الثانية : يدل الجمع بين الآيتين على النفع العظيم من إتباع التنزيل ففيه تنظيم للأكل وتعيين نوعيته بما يفيد صحة البدن.

الثالثة : تحريم أطعمة مخصوصة إمتحان للمسلمين وتعاهدهم له شاهد على تقيدهم بأحكام الشريعة، وباب لنزول البركات.

الرابعة : بيان التنزيل للرخصة في باب الأطعمة، وجواز أكل الطعام المحرم في حال الضرورة مما يدل على أن التنزيل الذي يدعى له الناس يتضمن التخفيف والتيسير، وهو باب لترغيب الناس بدخول الإسلام.

الخامسة : أختتمت آية البحث بالإخبار بأن الله غفور رحيم بينما أختتمت آية السياق بذم الذين أورثوا أبناءهم الكفر والجحود، وفيه إنذار ووعيد للكفار وان المغفرة يوم القيامة لاتدركهم، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾[1].

السادسة : الثناء على المسلمين بأنهم لم يقولوا نتبع ما ألفينا عليه آباؤنا بل عملوا بالتنزيل أحكامه، ففازوا بالأجر والثواب.

الثاني : صلة هذه الآية بالآيات المجاورة التالية، وفيها وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ...﴾[2]، وفيها مسائل :

---

(١) سورة النساء ٤٨.

(٢) سورة البقرة ١٧٤.

الأولى : يفيد الجمع بين الآيتين لزوم بيان أحكام الحلال والحرام الواردة في القرآن وعدم إخفائها.

الثانية : دعوة أهل الكتاب لبيان المحرمات في الكتب السماوية السابقة كتحريم الخمر وبعض الأطعمة، وقيل أن اليهود يحرمون الجري مثلاً، وعن التوراة سفر إشعياء١٦-١٧ : لأن الرب بالنار يعاقب وبسيفه على كل بشر، ويكثر قتلى الرب الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم في الجنات وراء واحد في الوسط، آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ، يفنون معا، يقول الرب.

الثالثة : الثناء على المسلمين والمسلمات لأنهم لم ولن يخفوا آيات التنزيل بل تعاهدوا التنزيل بالتلاوة والعمل وتقيدوا بما حرم الله من الطعام، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الرابعة : تضمنت آية البحث النهي عن أطعمة مخصوصة، أما آية السياق فأخبرت عما هو أقبح وأكثر ضرراً على البدن من هذه الأطعمة، إذ أن قبض بدل على كتمان الآيات يعني ناراً تدخل البطون.

الخامسة : دعوة المسلمين للتقيد بأحكام آية البحث وأجتناب الرجس والمحرمات، لأن الإمتناع عن أكلها مقدمة كريمة للفوز بكلام الله يوم القيامة.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

بِالْحَقِّ...﴾[١]، وفيه مسائل:

الأولى : تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من الحق النازل من عند الله، أي يجب التقيد بأحكامه وتوارث المسلمين لهذا التحريم موضوعاً وحكماً.

الثانية : دعوة المسلمين لتعاهد تحريم ما ورد في آية البحث لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، فتنزيل التحريم من عند الله بالحق يعني أنه سر من أسرار الخلق.

الثالثة : الثناء على المسلمين لأنهم لم يختلفوا في الأطعمة المحرمة كما إختلف بعض أهل الملل السابقة في الكتاب، وفيه نكتة وهي بيان التحريم في القرآن بما يمنع الخصومة والخلاف، وتفضل الله بحفظ التنزيل من الزيادة والنقصان، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ...﴾[٣].

الرابعة : أختتمت آية البحث بثلاثة أسماء لله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وفيه دعوة للناس للتصديق بالتنزيل والعمل بأحكامه لأنه الطريق الوحيد للفوز بمصاديق من رحمة الله في الدنيا، ونيل المغفرة والعفو في الآخرة.

الخامسة : ما ورد من الرخصة في حال الضرورة والإضطرار شاهد على الإعجاز في أحكام القرآن وصيغ التخفيف فيه.

---

(١) سورة البقرة ١٧٦ .

(٢) سورة البقرة ٢١٦.

(٣) سورة الحجر٩.

إعجاز الآية

في بيان المحرمات وعلى نحو التعدد البياني والتفصيلي تظهر سعة رحمة الله واباحته للأشياء، ومن اعجازها ايضاً استيعاب حكم الضرورة لتناول المحرمات من غير عقوبة.

وتدل في مفهومها على الترغيب بالطيبات وما يجوز اكله الا ما ورد دليل اضافي حاكم يضيق محرمات اخرى مستقرأة من السنة والأدلة الشرعية، والإستثناء بعد الإباحة من اعجاز القرآن ودلالة صدق الرسالة وان المباح فيه امتحان، وفيها توكيد على اكل الطيبات واخبار ضمني بان المحرمات ضارة وليست من الطيبات، وتدل الآية بالدلالة الإلتزامية على ضمان الرزق الكريم.

ومن اعجاز هذه الآية انها من آيات التحدي المستمر، ولها مستقبل مشرق في الدلالة على صدق سماوية القرآن بما ستظهره الدراسات الطبية والعلمية من الاضرار الخفية فيما نهى الله عنه في هذه الآية وأوانها لم يحن بعد، ولعله متعلق بالدراسات الدقيقة والاكتشافات الطبية والاجهزة التقنية المستحدثة، ليطل علينا القرآن في كل زمان وتفصيل وانقلاب حال بكنوز وأسرار جديدة.

وقد تحول بعض الاسباب او تحصل المعوقات لتأخير كشف هذه الحقائق كالمصالح الاقتصادية في بعض الاطعمة المحرمة والتي اعتاد غير المسلمين تناولها كلحم الخنزير والخمور، او يؤثر سلباً ولكن ضياء الشمس لا تحجبه الغيوم.

إبتدأت الآية بأداة الحصر(إنما) لإفادة معنى عقائدي وشرعي وهو أن كل الأطعمة حلال على المسلمين إلا أفراداً معدودة ذكرتها الآية بالاسم والتعيين وفيه إكرام للمسلمين من وجوه:

الأول : الحلية والحرمة في طعام المسلمين أمر بيد الله عز وجل.

الثاني : تشريف المسلمين بحلية الأطعمة إلا ما ندر وذكر بالإسم.

الثالث : دعوة المسلمين للإلتفات إلى الحكم الشرعي للطعام قبل أكله.

فصحيح أن الحرمة تتعلق بأربعة أفراد مذكورة في الآية الكريمة إلا أنها تجعل المسلم يستحضر قانون الحلية والحرمة في أي طعام ينوي أكله ليكون في هذه النية الأجر والثواب مع أن الأكل من المباحات.

ومن إعجاز نظم الآيات أن آية البحث لم تأت إلا بعد الإطلاق في الإباحة ولم يقيد إلا بصيغة الطيبات لتحبب فضل الله إلى النفوس، وترغيبهم بالأكل.

ويتجدد إعجاز الآية بالإكتشافات العلمية التي تبين الأضرار الصحية والبيئية في ذات الخبائث التي حرمها القرآن، وفلاح المسلمين في التقيد بأحكام الآية تعبداً بالنص وإتباعاً للتنزيل.

وأختتمت الآية باسمين من أسماء الله ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في دلالة على العفو عمن إرتكب المحرم والإثم ولجأ إلى الإستغفار والتوبة قال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [1]، والترتيب بين الأفراد الأربعة من المحرمات له دلالات تتعلق بموارد الإبتلاء ومراتب الضرر.

---

(1) سورة آل عمران ١٣٣.

ويمكن تسمية هذه الآية بآية (إنما حرم عليكم) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا مرتين وبذات الموضوع[١].

الآية سلاح

منافع الآية متعددة منها حصر المحرمات على القول بأن ﴿ إِنَّمَا ﴾ تفيد الحصر الا ان تتم توسعتها بدليل آخر، ويدل في مفهومه على معرفة المباحات ومنها الضرورة واحكامها، وهي تأديب للمسلمين يتجدد كل يوم ويتعلق بأهم غرائز الإنسان وحاجته الى الأكل والشرب.

إختصت آية البحث بالمحرمات، وفيه آية في البيان والهداية ومنع الجهالة والغرر، وجاءت أفرادها جلية واضحة كيلا يختلف المسلمون في عدد ونوع وماهية المحرمات، ولم يأت التحريم إلا بعد الفضل الإلهي بالإباحة المطلقة للطيبات ليفيد الجمع بين هذه الآية والآية السابقة على أن الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله ليست من الطيبات ولا من الرزق الكريم لتكون آية البحث من مصاديق وصف عيسى عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبشارة به، كما ورد في التنزيل ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾[٢]، وقد وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التأكيد والتشديد في النهي عن الخمر قال صلى الله عليه وآله وسلم إجتنبوا الخمر أن الخبائث فمن لم يجتنبها فقد عصى الله(وله عذاب مهين).

ويدل الحديث على تعدد الخبائث وأنها على مراتب وتكون

---

(١) انظر سورة النحل١١٥.

(٢) سورة الأعراف ١٥٧.

الخمـر مـدخلاً ومقدمـة، وجـاءت آيـة البحـث بتنزيـه المسـلمين بمخـاطبتهم بصـفة الإيمـان بلحـاظ عطفهـا علـى الآيـة السـابقة ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١).

وجـاء الكتـاب والسـنة بحليـة أكـل صـيد البحـر، ويحـل مـن غـير تذكية السمك والجراد والجنين والصيد.

وأباحـت آيـة البحـث أكـل الميتـة عنـد الضـرورة وخشـية المـوت أو المـرض، فيأكـل المكلـف بمـا يحفـظ فيـه حياتـه ومقـدار مـا يقـيم صـلبه ويصـلحه بالمشـي والسـعي، ولا يشـبع منهـا إلا مـع الضـرورة للشـبع كرجحان عدم وجود طعام في القادم من الوقت أو الطريق.

مفهوم الآية

مـن الآيـات ان تـرى المـؤمن يستحضـر الوظيفـة الشـرعية في كـل فعل يقـوم بـه خصوصـاً وان الأحكـام التكليفيـة الخمسـة مسـتوعبة لكـل نـواحي الحيـاة لـذا يـأتي القـرآن ليبين لـه جميـع مـا يحتاجه ويمنـع عنه الـتردد والـتحير في العبـادات والمعـاملات والأحكـام، ويعتـبر الأكـل والشـرب مـن اهـم الإبـتلاءات اليوميـة للإنسـان تنـاولاً وشـراء وبيعـاً والتفاتـاً وشـهوة وحاجـة وحرصـاً وطمعـاً وحكمـاً، وكلمـا جعـل الإنسـان الشـريعة هـي الفيصـل والمـلاك في بـاب الأكـل والشـرب والتجـارات ازداد بصـيرة وانعـدم سـلطان الشـهوات عنـده ولم يغلـب على اوقاته الركون الى زخرف الدنيا.

وهـذه الآيـة جـزء مـن عمومـات نظريـة الوسـط في الإسـلام بلحـاظ تأثيرهـا النفسـي والمعنـوي فانهـا تطـرد الشـك وتمنـع مـن الإسـراف مـن

(١) سورة البقرة ١٧٣.

وسوسة الشيطان وهي رحمة بالإخبار عن مستثنيات المباح من الطيبات وعمومات الإذن في الآية السابقة.

ان خروج افراد بعدد اصابع اليد من الحكم اللامحدود من اصناف الزاد فضل الهي على المؤمنين وباب للإبتلاء سهل الإجتياز لقلة افراده ووضوح معالمه خصوصاً وان الدراسات الحديثة ساهمت في استبانة امره وانكشاف الأضرار الفادحة في تناول هذه المحرمات ومع هذا فان الآية الكريمة رفعت القلم والإثم عمن اضطر او اكره للأكل منها لبيان سعة فضله واحسانه تعالى على المؤمنين وللتخفيف ونفي الحرج، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1].

ويلاحظ في افراد المحرمات خلوها من انواع النباتات والفواكه، فليس من الثمار والفواكه والأشجار ما هو محرم اكله وتلك آية اعجازية تظهر حب الأرض للإنسان فقد خلق منها فلم يحرم عليه منها شيء، وهذه الآية دعوة لصلة الرحم والبر بالوالدين وعطف الوالدين على ولدهما.

الآية لطف

كان المشركون يذكرون أسماء الأوثان على ذبائحهم ويتقربون بها للأصنام زلفى، فجاء الإسلام ليدخل التشريع نواحي الحياة كلها ويكون ذكر الله على الذبيحة حرباً على الشرك والضلالة، وباباً للهداية والرشاد لذا تضمنت الآية تحريم ما ذكر عليه غير اسم

---

(1) سورة الحج ٧٨.

الله، ولم يـذكر عليـه اسـم الله عنـاداً واسـتكباراً، ويتجلـى اللطـف الإلهي في الآية بأمور:

الأول : ذكر المحرمات على نحو التعيين.

الثـاني : قلـة إبـتلاء المسـلم وحاجتـه للأكـل ممـا ذكرتـه الآيـة الكريمـة فقـد أنعـم الله عليـه بالطيبـات مـن الـرزق الكـريم، والميتـة والـدم مـثلاً لـيس مـن الطيبـات ولأن الـرزق الكـريم الـذي أعـدّه الله للمسـلم قريـب منـه، وفي التنزيـل ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[1].

الثالـث : مجئ آية المحرمات هـذه متعقبـة للآيـة الـتي تبـيح الطيبـات ممـا لايعـد ولا يحصـى مـن فضـل الله في الأنعـام والثمـار والزراعـات وغيرها.

الرابـع : إرادة تعظـيم شـعائر الله في هـذا التحـريم كمـا في التنـزه العـام مـن المسـلمين عـن أكـل مـا لم يـذكر اسـم الله عليـه، وفيـه بيـان للنـاس يتعلـق بموضـوعية ذكـر الله علـى الأنعـام عنـد ذبحهـا وهـو مـن الشـكر لله خصوصـاً وان المـراد مـن الإهـلال في الذبيحـة رفـع الصـوت بالتسمية.

الخامس : إستثناء مـوارد الإضـطرار والضـرورة مـن أحكـام تحـريم الميتـة ونحوهـا، مـع لـزوم عـدم البغـي أي الإفـراط في الأكـل، أو بمعنـى البغي على امام المسلمين أو العودة في المعصية.

---

[1] سورة الذاريات ٥٨.

وحصر المحرمات دليل على إباحة غيرها من الأنعام قال تعالى في ذم أهل الجاهلية ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾[١]، إذ جعلوا[٢]، بحيرة[٣]، وسائبة[٤]، ووصيلة[٥]، وحاميا[٦]، مما لا أصل له في الشريعة.

إفاضات الآية

لقد جعل الله الحياة الدنيا دار إمتحان وإبتلاء، وليس من حصر لموضوع الإمتحان في الدنيا، ولكن الرجحان فيه للنعم المتوالية وأسباب الهداية وسبل الرشاد بما يقرب العبد من منازل التقوى ويصلحه لمقامات النسك، ويبعده عن الضلالة، فجاءت هذه الآية بحصر وتقييد المحرمات، والأصل فيها أن النفس تعافها وتتنزه عن أكلها بالذات وبالميل لأكل الطيبات.

---

(١) سورة الأنعام ١٤٠.

(٢) انظر سورة المائدة ١٠٣.

(٣) البحيرة: هي المولود الخامس للناقة، فاذا كان ذكراً نحروه فأكله الرجال والنساء، وان كان انثى (بحروا) أي شقوا اذنها وكان لحمها ولبنها حراماً على النساء، فاذا ماتت حلت للنساء.

(٤) السائبة : البعير الذي ينذر فيترك يرعى ولا يركبه أحد.

(٥) الوصيلة : وهي الشاة التي تلد سبعة أبطن، فاذا كان السابع ذبحوه فاكله الرجال والنساء، وان كانت انثى تركت في الغنم، وان كان ذكراً وانثى قالوا وصلت أخاها فلم تذبح وكان لحمها حراماً على النساء وكذا لبنها.

(٦) الحام: وهو الفحل من الأبل إذا ركب ولد ولده وقيل إذا انتج من صلبه عشرة أبطن قالوا ممن ظهره فلا يركب ولا يمنع من كلأ ولا ماء.

وفي الخبر عن أبي سعيد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الفأرة تقع في السمن والزيت قال استصبحوا به ولا تأكلوه[١].

وفي رواية أخرى تفصيل، عن ابن عباس عن ميمونة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الفأرة تموت في السمن ، فقال : إن كان جامدا فألقوها وما حولها وكلوه ، وإن كان ذائبا فلا تقربوه[٢].

ولا تعارض بين الحديثين لأن القدر المتيقن من النهي عن الإقتراب منه هو المنع من الأكل وليس الإستعمال الخارجي.

لقد أراد الله عز وجل للمؤمنين التمييز بالإكرام ومنه إجتنابهم الخبائث طاعة لله عز وجل، والإكتفاء بالطيبات والتنعم بما لذّ من الطعام سواء من الحبوب أو اللحوم أو صيد البر أو البحر، وفي الأنعام قال تعالى ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾[٣].

وتبين الآية حب الله للعبد، ودفعه عن المؤمن، وعدم جعله في حرج وجوع وظمأ، فمع الضرورة تباح له المحظورات إلى أن تزول أسباب الإضطرار ويدفع شبح الجوع والمجاعة شخصية كانت أو نوعية لتتغشى رحمة الله عز وجل المسلمين والناس جميعاً في حال الإختيار والإضطرار.

---

(١) السنن الكبرى ٩/٢٥٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٦/٢٩٣.

(٣) سورة النحل ٦٦.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بأداة الحصر(إنما) لأن الأمر يتعلق بالمحرمات وفيه بعث للسكينة في نفوس المسلمين بأنها قليلة ومعينة وبينة بأسمائها، فلا يذهب بعض المسلمين إلى الإحتياط المخالف للإحتياط في التنزه عن مباحاة لم تذكر في المحرمات.

ولما أختتمت الآية السابقة بقوله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]، إبتدأت هذه الآية بذكر التحريم بصيغة المبني للمعلوم، ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾ أي أن الله نفسه هو الذي حرم على المسلمين الخبائث من الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله بغياً، ولأن الحلية والحرمة لها موضوعية في الحياة اليومية للمسلمين وعباداتهم ومعاملاتهم فان الله عز وجل أخبر في هذه الآية بأنه هو الذي يحرم عليهم نوح الخبائث ولم تأت الآية بصيغة المبني للمجهول ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ﴾.

وقد أخبرت الآية السابقة عن تفضل الله عز وجل برزق المسلمين الطيبات وتهيئتها لهم ثم أمرهم بأن يأكلوا منها وتأخر التحريم في هذه الآية عن الأمر بالعبادة في الآية السابقة كي يثاب ويؤجر المسلم عند الإمتناع عن المحرمات لأن هذا الإمتناع من عبادة الله، قال سبحانه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقدمت الآية في الحرمة الميتة لأمور:

---

(١) سورة النحل ١١٤.

(٢) سورة آل عمران ١٣٢.

الأول : قبح أكل الميتة بالذات.

الثاني : وجود الميتة الأكثر إبتلاءً من أفراد التحريم الثلاثة الأخرى خاصة عند القحط وإرتفاع الأسعار.

الثالث : تعرض الميتة للإنسان في كل زمان ومكان.

الرابع : موضوعية الحياة في التذكية وأثرها على نكهة الطعام، والله عز وجل يحب للمسلمين أن يأكلوا الطيبات وقد سخّرها لهم كما تدل عليه الآية السابقة.

وبعد التحريم جاء الإستثناء الخاص بالأفراد والشامل لجميع المحرمات بلحاظ حال المسلم من الضرورة والإضطرار إذ أباح الله له دفع الجوع الشديد عن نفسه، وأكل المحرمات للنجاة من الهلكة مع تأكيد الآية على إنتفاء الإثم عنه.

وأختتمت الآية بقوله تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وفيه بشارة بشارة زوال حال الإضطرار والحاجة إلى أكل إحدى الخبائث المذكورة في الآية أو غيرها فالضرورة تبيح المحظورات.

وهل يختص موضوع خاتمة الآية بمضامينها أم أنه شامل لمضامين الآية السابقة وأكل الطيبات الجواب هو الأول، وفيه تجديد للرجاء والأمل في نفوس المسلمين، والإنقطاع إلى العبادة والإنشغال بالذكر بعد إخبار هذه الآية والآية السابقة مجتمعتين ومتفرقتين عن حب الله عز وجل للمسلمين والفيض عليهم من ملكه المطلق للأرض والسماء.

---

(1) سورة البقرة ١٧٣.

من غايات الآية

في الآية مسائل:

الأولى : بعد ذكر الطيبات في الآية السابقة لتكون مضامين هذه الآية دعوة للشكر لله على نعمة الطيبات في الآية السابقة وكفاية وغنى المسلمين بها.

الثانية : لم يأت التحريم في الأكل إلا بعد أن ذكرت الآية السابقة الإباحة في الرزق ليكون تلقي المسلمين للمحرمات بالقبول والرضا والإمتناع عن أكلها، والتنزه عن قصدها، وهل يلزم الأمر دفع أسباب المجاعة والضرورة.

الجواب نعم ولكنه ليس من جهة الإضطرار لكل المحرمات لأن الله أباحها عند الضرورة وهو الغفور الرحيم، ولكن من جهة التخفيف عن النفس والتنعم بالطيبات، وجلب المصلحة ودفع المفسدة ومقدمات قاعدة لاضرر ولا ضرار في الإسلام.

الثالثة : تفقه المسلمين في الدين، ومعرفتهم لأحكام الشريعة وأفراد المحرمات بتلاوة آية البحث والإستماع لها.

الرابعة : من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] أن المسلمين والمسلمات كباراً وصغاراً يعرفون المحرمات المذكورة في آية البحث ويحفظون أسماءها وتنفر نفوسهم منها، ومنهم من يتردد ويمتنع عن أكلها حتى في

---

(١) سورة آل عمران ١١٠.

حال الضرورة ولكن آية البحث حاكمة وحجة عليه لذا أختتمت بالإخبار عن مغفرة ورحمة الله عز وجل.

الخامسة : هداية المسلمين لسبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعيين موضوعات كل منها.

السادسة : بيان فضل الله في إنتفاء الإثم والعقاب عمن يأكل المحرمات عند الضرورة التي يصدق عليها أدنى أفرادها دون الإنتظار إلى الإشراف على الهلكة.

السابعة : ترغيب الناس بالصدور عن التنزيل في باب الأكل والشرب.

الثامنة : دعوة المسلمين للشكر لله عز وجل على إباحة الطيبات، وحصر وتعيين المحرمات.

التاسعة : حينما تفضل الله وحرم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح من غير ذكر اسم الله عليه عن عمد وجحود فانه تعالى ضمن للمسلمين الحصول على الطيبات.

العاشرة : إتخاذ المسلمين إجتناب المحرمات بلغة لبلوغ الطيبات والحصول عليها وأكلها من غير عناء وشدة.

الحادية عشرة : ترغيب المسلمين بسلاح الدعاء وسؤال الطيبات والإعانة على عدم أكل المحرمات، والإستجارة بالله من حال الضرورة التي تضطرهم لأكل الميتة والدم ونحوها، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾[1].

---

(١) سورة غافر ٦٠.

التفسير

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾

لقد جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار وبيّن للناس احكام الحلال والحرام، فكما تفضل واباح الطيبات وامر بالأكل منها فانه تعالى اختبرنا بتحريم بعض الأشياء.

فبعد ان أكدت الآية السابقة بالدلالة الإلتزامية إمكان الإسترزاق من الحلال، جاءت هذه الآية لتخبر بذات الدلالة ان الحرام أمر مستغن عنه لا يحتاج اليه الإنسان ولكنه الإبتلاء والإختبار وطريق الثواب او العقاب.

والدم معروف وما ورد من حلية الدم المتخلف في الذبيحة فلأنه متداخل مع اللحم، ولقاعدة نفي الحرج والنص والإجماع فخرج من موضوع الحرمة بالتخصص، ولحم الخنزير ذكر على نحو الخصوص مع ان الخنزير نجس العين فلا يحل منه شيء لأن اللحم هو الفرد الأهم فيه والذي يطلبه الإنسان للأكل.

الآية صريحة بتحريم أربعة من الطعومات هي:

الأول : الميتة.

الثاني : الدم.

الثالث :لحم الخنزير.

الرابع : ما أكل لغير الله.

ولا يعني هذا حصر المحرمات بها لوجود تحريم في آيات أخرى كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ

رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

ومن الإعجاز في التفريق بينهما التباين الموضوعي والحاجة في موارد المأكولات في آية البحث، واختلف في السباع والحمر والبغال، وقيل ادلة تحريها أخبار آحاد تتعارض مع الدليل القطعي أي حصر المحرمات بالأربعة أعلاه ولكن ليس من تعارض إذا ثبت التحريم بالسنة النبوية، لن الحصر في الآية (أنما) يفيد معنى التأكيد والتحريم بخصوص موضوعه، بدليل حرمة الخمر بدليل قطعي من القرآن ولكن موضوعه مختلف فهو ليس من اللحم والطعام فلذا لاتشمله أداة الحصر وهو نوع إعجاز قرآني، وباب للتحقيق في النصوص الواردة في تحريم غير الأربعة أعلاه، فالتوسعة في المقام ليس نسخاً للقرآن باخبار آحاد إنما هو زيادة في التحريم جاءت لاحقة وبالسنة النبوية في حال ثبوتها قال تعالى﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا...﴾[٢]، والمختار أن حكم القرآن لاينسخ بالسنة وليس من دليل في موضوع مخصوص يثبت نسخ القرآن والأصل هو الأباحة العقلية، وأصالة الإباحة وهي عدم تحريم شئ إلا بالدليل وروي عن ابن عمر أنه سئل عن لحوم السباع فقال: لابأس بها، فقيل له حديث أبي ثعلبة الخشني فقال: لا ندع كتاب الله ربنا لحديث أعرابي يبول على ساقيه[٣]، وحديث أبي ثعلبة الخشني باسناده أنه نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع.

كما أخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي محمد صلى الله عليه

---

(١) سورة المائدة ٩٠.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) تفسير القرطبي ١٠٢/٧.

وآله وسلم: أكل كل ذي ناب من السباع حرام[١]، وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن كل ذي ناب من السباع ، وعن كل ذي مخلب من الطير[٢]. وهو مذهب أحمد والشافعي وأبي حنيفة وداود، ونسب إلى مالك قولان ومشهور مذهبه الكراهة، والأكثر حرم لحوم الخيل واحتج بقوله تعالى﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[٣]، أي أنها للركوب والنفع العام وليس للأكل.

وقيل بأن الآية في سورة النحل مكية ، بينما أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر في السنة السادسة للهجرة بأكل لحوم الخيل مما يدل على أن الآية لا تفيد حصر الإنتفاع منها بالركوب إلى جانب حديث جابر بن عبد الله قال:ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن البغال والحمير، ولم ينهنا عن الخيل[٤]، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك عباده ، واحل لهم ما سواه من رغبة منه تبارك وتعالى فيما حرم عليهم ولا زهد فيما احل لهم لكنه خلق الخلق وعلم ما يقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحله وأباحه تفضلا منه عليهم لمصلحتهم ، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه حرمه عليهم ثم أباحه للمضطر ، واحله له في الوقت الذى لا يقوم بدنه الا به ، فامره ان ينال منه بقدر البلغة لا غير ذلك ، ثم قال : اما الميتة فانه لا يدنو منها أحد ولا يأكلها الا ضعف بدنه ونحل جسمه ووهنت قوته وانقطع نسله ، ولا يموت

---

(١) تفسير البغوي ١٩٩/٣.

(٢) الدر المنثور ١٥١/٤.

(٣) سورة النحل٨.

(٤) تفسيرابن كثير ٥٥٩/٤.

آكل الميتة الا فجأة ، واما الدم فانه يورث الكلب ،والقسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة لا يؤمن ان يقتل ولده ووالديه ولا يؤمن على حميم ، ولا يؤمن على من صحبه ، واما لحم الخنزير فان الله مسخ قوما في صورة شئ شبه الخنزير والقرد والدب وما كان من الامساخ ، ثم نهى عن أكل مثله لكى لا ينفع بها ولا يستخف بعقوبته ، واما الخمر فانه حرمها لفعلها وفسادها وقال : ان مدمن الخمر كعابد وثن ، ويورثه ارتعاشا ويذهب بنوره ويهرم مروته ، ويحمله علي أن يكسب على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا ، ولا يؤمن اذا سكر أن يثب على حرمه وهو لا يعقل ذلك والخمر لم يرد شاربها الا إلى كل شر[1].

بحث لغوي

تأتي (ما) بعد الأحرف المشبهة بالفعل، تلغي اختصاصها للأسماء وتجعلها صالحة للدخول على الجملة الفعلية كما في هذه الآية، وقد تكون كافة لها من العمل كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[2]، والكافة تمنع الذي تدخل عليه من التأثير كما كان قبل دخولها.

و(ما) الكافة تأتي لزيادة التوكيد الذي تدل عليه (ان) وكذا التشبيه كما في قوله تعالى ﴿ كأنما ﴾، وغير الكافة تأتي لزيادة التوكيد من غير ان تغير الاستعمال، والغالب في دخول (ما) على (ان) انها كافة لها.

---

[1] تفسير العياشي ٣٠٩/١.

[2] سورة فاطر ٢٨.

وقيل بـ(ان) للاثبات و(ما) للنفي ولعدم جواز توجههما مجتمعتين لشيء واحد لذا تفيد (انما) الحصر، أي ان ما فيها من الاثبات يتوجه للمذكور، وما فيها من النفي يتوجه الى غير الذي يذكر بعدها.

وأدعي اجماع النحويين على خطأ هذا القول، الا ان (ان) تفيد التوكيد وليس الاثبات سواء كان اثباتاً او نفياً، ولكن النزاع صغروي لأن التوكيد وجه من وجوه الاثبات وان لم يكن على نحو الابتداء.

و(انما) عند الجمهور تفيد الحصر، وعن أبي حباب وجماعة انها لا تفيد الحصر، أقول: الاصل انها تفيد الحصر الا ان يدل دليل او قرينة على عدم افادتها الحصر، وفي الآية تفيد الحصر ولكن عدمه وموضوع توسعة المحرمات يأتي بدليل شرعي آخر تكون له الحكومة أي توسعة المحرمات.

مسائل فقهية

الأولى: الميتة من كل ما له دم سائل نجسة وعليه الاجماع والنصوص المستفيضة، ويلحق بها اجزاؤها البائنة منها وان كانت صغيرة.

الثانية: لا يلحق بالميتة اجزاؤها التي لا تحلها الحياة كالصوف والشعر والوبر والعظم والقرن والمنقار والظفر والمخلب والريش والظلف والسن والبيضة اذا اكتسبت القشر الاعلى سواء كان من الحيوان الحلال او الحرام، واخذت بعد الموت بجز او نتف ولكنها تغسل من رطوبات الميتة ان وجدت، هذا كله في الميتة الطاهرة العين، اما ميتة نجس العين كالكلب والخنزير فلا يطهر منها شيء

وان غسل بالماء.

فالحيوان قسمان:

الأول : ما يحل اكله.

الثاني : ما لا يحل اكله، وهو ينقسم الى قسمين: طاهر العين كالسنور، ونجس العين كالكلب.

الثالثة: الأجزاء المبانة من الحي مما تحله الحياة كاليد والرجل يكون حكمها حكم الميتة من حيث النجاسة ولا يشمل الحكم الأجزاء الصغار كالجلدة التي تنفصل من الأصبع والبثور ونحوها لقاعدة نفي الحرج وللنص.

الرابعة: يلحق بالميتة ما ذبح على غير الوجه الشرعي.

الخامسة: ما تأخذه من يد المسلم من اللحم والجلد وغيره محكوم بالطهارة والحلية ولا يجب السؤال عنه وعليه الإجماع وسيرة المتشرعة والعقلاء والنص وفيه قاعدة يد المسلم الا ان يعلم سبق يد غير المسلم عليه او يعلم عدم التذكية وظهور اماراته.

السادسة: سوق المسلمين أمارة كاشفة على الحلية والطهارة الا ان يثبت خلاف ذلك.

السابعة: سوق المسلمين وقاعدته لا تشمل ما كان مستورداً من خارج البلاد الإسلامية، وما علم ان المنشأ والذابح غير مسلم وان كان داخل البلاد الإسلامية، او ما ثبت ان ذبحه تم بطريقة غير شرعية ولا بأس بالمستورد الذي علم انه ذبح على الطريقة الشرعية.

الثامنة: قاعدة يد المسلم وسوق المسلمين شاملتان لكل المسلمين

وبلادهم من غير اعتبار للمذهب او الرأي.

التاسعة: الدباغة لا تطهر جلد الميتة ولا يصلى فيه، وبه قال أحمد بن حنبل، وقال أبو حنيفة بطهارتها بالدبغ الا جلد الخنزير.

العاشرة: لا يجوز بيع الميتة وهو المشهور لعدم المالية وللنصوص ويجوز الإنتفاع بها فيما لا يشترط الطهارة على الأقوى، نعم لو اخذت من اجل منفعة عقلائية محللة شرعاً فالأقوى حينئذ جواز البيع واخذ الثمن خصوصاً وان الصناعات والأعمال تتفرع وتتشعب.

قوله تعالى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾

الإهلال: رفع الصوت بالتسمية وفيه قولان:

الأول : ما ذكر غير اسم الله عليه، فقد ذكر ان المشركين يذكرون اسم الأوثان على الذبيحة.

الثاني : ما ذبح لغير الله وهو ما كان يذبح للأصنام أي تكون مقصودة ومتقرب اليها بالذبح.

والقول الأول اخص من الثاني، وظاهر الآية هو القول الأول لأن فيه شركاً وتعدياً وتحدياً فيكون وبالاً على صاحبه، وهل يمكن الأخذ بالمعنى الأعم ليشمل القول الثاني لأنه ايضاً ليس من الطيبات خصوصاً وان الفرق بين القولين ليس بكبير اذ انهم حينما يذبحون للأصنام لا يذكرون اسم الله عليه ظاهراً ومن شرائط التذكية التسمية على الذبيحة، الجواب: نعم، بل يشمل قسماً ثالثاً وهو الذبح من غير التسمية ومن غير ارادة صنم او وثن ونحوه لذا تشترط التسمية على الذبيحة.

بحث فقهي في ذبيحة الكتابي

اركان الذباحة:

الأول : الذابح.

الثاني : آلة الذبح.

الثالث : كيفية الذبح.

الأولى : يشترط في الذابح ان يكون مسلماً ومن هو بحكمه كابنه المميز، ولا تحل ذبيحة الكافر الوثني والمشرك والمرتد.

الثانية : هل تحل ذبيحة الكتابي ، اختلفت الأخبار والأقوال فيها:

الأول :لأكثر ذهب الى الحرمة واستدل بجملة من الأخبار.

الثاني : القائل بحليتها وهو ايضاً يستند الى نصوص عديدة،

الا ان اخبار الحل اصح سنداً واظهر دلالة، وحملها القائل بالحرمة على الضرورة وهو بعيد لأن الضرورة تبيح الميتة بينما وردت بعض النصوص بقيد التسمية اما من الذابح الكتابي او من المسلم، ولعلها تفسير لظاهر قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾[1] الا ان يراد من الضرورة الحرج العرفي وهو خلاف المتعارف لغة واصطلاحاً، كما حملت على التقية وهو الآخر لا يتم.

الثالث : حلية ذبيحة الكتابي مع سماع التسمية لأن اصالة الصحة لا تجري في عمل غير المسلم فلابد من احراز شرط التسمية، وحليتها اذا جاء المسلم بالتسمية المقصودة على الذبيحة لأن غيره

(1) سورة الأنعام ١١٨.

يكون حينئذ كالآلة وللجمع بين النصوص.

وقال ابن رشد: فأما أهل(الكتاب) فالعلماء مجموعون على جواز ذبائحهم، وإستدل على حلية ذبيحة الكتابي بقوله تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾[1] .

وتجب التسمية(بسم الله) على الذبيحة عند مذاهب المسلمين مع الذكر والقدرة، إلا الشافعية فلا تجب عندهم التسمية.

الثالثة : لا يشترط في الذابح الذكورة او البلوغ، فتحل ذبيحة المرأة وان كانت حائضاً او نفساء كما تحل ذبيحة الصبي المميز، والأعمى والأغلف وولد الزنا ممن اظهر الاسلام او كان بحكم المسلم.

الرابعة : يشترط في الذبح ان يكون بالحديد مع الإختيار، ويلحق بالحديد كل ما قام مقامه وشابهه من المعادن الحادة التي يصنع منها السكين، وصحيح ان النصوص وردت بالحديد ولكن لا لموضوعيته بل لإنحصار اسباب قطع الأوداج الصحيحة به آنذاك بدليل المقارنة احياناً في لسان الروايات بينه وبين الحجر والقصبة والعود، وورود لفظ السكين، وتحمل السكين على الاطلاق والصدق العرفي وان لم تكن مصنوعة من الحديد .

ويصح الذبح بالإستيل والنحاس والصفر ونحوها من المعادن المنطبعة اذا صدق عليها انها سكين وتؤدي نفس وظيفة الحديد في قطع الأوداج لقاعدة نفي الحرج ولوجود المقتضي وفقد المانع.

---

[1] سورة المائدة ٥.

بحث بلاغي

من علوم القرآن البلاغية علم المتشابه وهو ورود الموضوع والقصة الواحدة بهيئات وصيغ لفظية متعددة وفواصل متباينة في الطول والقصر ونحوهما، وغالباً ما تراه في القصص والأنباء.

وقيل ان حكمته التصريف في الكلام واتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرراً[1].

والظاهر ان الحكمة منه اعم من ان تحصيها عقول البشر وان ما ذكره هو ادنى مصاديق الإعجاز في هذا الباب خصوصاً وان بلغاء العرب يستطيعون الإتيان بالقصة الواحدة بصور متعددة، اما في القرآن فان التعدد في الألفاظ له دلالات اضافية ذاتية واضافية تترشح من المعنى السياقي ودلالاته كما ان التقديم والتأخير بالإلفاظ له مفاهيم اخرى متجددة، ثم اننا بحاجة الى علم جديد يتني على الجمع بين الإلفاظ المتعددة للقصة ومعانيها وتفسيرها اذ انه من الثابت عقلاً وسمعاً عدم التعارض بينها.

وللمتشابه امثلة عديدة في القرآن منه هذه الآية، مع انه ورد في مواضع اخرى من القرآن بقوله تعالى ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[2] ولكن هذا الإختلاف لابد وان تكون له معاني اضافية وان لم ترق عقولنا الى ادراكها وتأويلها كما في الحروف المقطعة التي نعجز عن بيانها وهي الأخرى تحثنا على البحث والتحقيق، ففي سورة المائدة مثلاً قال

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/١١٢.

(٢) سورة المائدة ٣.

تعالى ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾[1] فقد اخبرت الآية على انه فسق ثم جاء البيان الإضافي بنية الإهلال به، اما هذه الآية فقد جاء الوصف مطلقاً وبلحاظ نية الإهلال وتقديم الجار والمجرور مما يدل على التفاتهم الى سوء النية والقصد وما فيه من التعدي والجحود ومخالفة احكام الشريعة.

ولا ينكر ان للتعدد ابعاداً بلاغية متعددة واعجازاً في الكيفية والصيغة والفن والصناعة.

وقد بينا في مباحث مستقلة ان الآية وان جاءت متكررة فان لكل منها معنى مغايراً لمعنى الأخرى بحسب اللحاظ والقرائن والدلالات، انها مدرسة القرآن وذخائره العلمية التي لا تنفذ وان اوغل العلماء في استقصاء درره، وفي الحديث: "ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق".

قوله تعالى ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾

أي احتاج الأكل منها من غير ان تكون له قدرة على الإمتناع كما لو كان جائعاً بحيث لا يحتمل الصبر وليس من بديل اختياري او اضطراري مما لم يعتد أكله لدفع الجوع واسباب الموت، فحينئذ يرجع الى هذه الأمور المحرمة لسد الرمق لا ليشبع منها، وفي الآية حذف، أي من اضطر الى الأكل من المحرمات.

---

(١) سورة الأنعام ١٤٥.

بحث كلامي

مما هو ثابت ومعروف عقلاً وشرعاً ووجداناً وعرفاً ان ما سوى الله ممكن ومخلوق، والممكن الذي يفتقر في وجوده الى غيره ويتساوى طرفاه من الوجود والعدم ولا يترجح احدهما الا بمرجح، ولا يستطيع في ماهيته اضافة الوجود لذاته وتلازمه الحاجة وعدم الإستغناء، ومنه الإنسان فانه يحتاج الى الرزق والى الأكل والشرب وما ينتفع به في بقائه، ولأن التقلب من حال الى حال من صفات الممكن فانك ترى حاجات الإنسان في ازدياد مطرد ومتشعب، وفي بدايات الإسلام وعند الفتح عاش المسلمون في بحبوبة وسعة ومعها تزداد الحاجة الى النفقة ونفاذ احكام الشريعة في مسالك الحياة.

واهم وجوه الحاجة بالنسبة للانسان بل الحيوان مطلقاً هو الغذاء الذي فيه بقاء الشخص والنوع مع استمرار النمو والإحساس، لذا خلق الله عز وجل ما على الارض من الأشياء وسخرها للإنسان وجعل الأصل فيها الإباحة فضلاً منه تعالى لعموم الأدلة ولقبح العقاب بلا بيان وادلة البراءة الشرعية والعقلية، ومن النصوص: "كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهي"، وأصالة الإباحة هو المشهور شهرة عظيمة وهو المختار ، ومنهم من ذهب الى "ان الاصل عقلاً في الافعال الحظر الا ان تثبت الإباحة" كالشيخ الطوسي والإمام الغزالي وهو خلاف المشهور بين علماء المسلمين وظاهر الأدلة النقلية والعقلية.

وتحريم الخبائث ثابت في النظام الكوني وفي سيرة العقلاء وتميل اليه النفوس فجاءت الشريعة لتضع له الحدود السماوية السليمة وتحكم وتحدد خصائصه وفق قواعد كلية ثابتة خصوصاً لفظ الطيب

والخبيث فهما من الأمور التشكيكية.

في رواية المفضل "قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم حرم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال: ان الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده واحل لهم ما سواه رغبة منه فيما حرم عليهم ولا زهد فيما أحل لهم، ولكنه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحله لهم وأباحه تفضلاً عليهم لمصلحتهم، وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرمه عليهم ...".

والحديث يفتح آفاقاً من العلوم والدراسات عن منافع الطيبات والأضرار الكامنة فيما نهى الله عز وجل عنه مما ورد في هذه الآية، فلو اجريت تجارب على عدة حيوانات لا تأكل وتشرب الا الدم فماذا سيكون اثره السلبي عليها، وما ينتج عنه من امراض وآفات شخصية ونوعية وتغير واختلاف في طبائعها نحو القسوة والبطش والبلادة.

ولم يترك الشارع تعيين المحرمات وتحديدها فقد تفضل سبحانه ببيانها في القرآن وحددت السنة بعضاً آخر منها لأنه من الاحكام الشرعية، فلا يرجع في تحديده الى العقل او العرف وما فيهما من الإفراط او التفريط، فالمتهاون في احكام الشريعة يسرف في التمادي، والوسواسي يميل الى التضييق والتشديد على النفس، والمترفون يتركون الحسن الى الأحسن، بينما الطيب عند اهل الحاجة والفاقة مدار الإصابة والقدرة.

والآية لا تمنع من حرمة بعض الأشياء بدليل آخر تكون له الحكومة أي التوسعة في الدليل كالمحرم بالسنّة، والذي تطرأ عليه الحرمة بالعارض، وان كان في الأصل محلل الأكل كالحيوان الجلال الذي لا يأكل الا العذرة محضاً.

قوله تعالى ﴿ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾

الأولى : أي غير معتد او قاصد للذة، فالرخصة لا تشمل من خرج للصيد لهواً وقام بمتابعة الصيد الى ان ضل الطريق واشرف على الهلاك، فانه يؤثم بتعديه واثناء اكله الميتة.

الثانية : لا يعتبر متعد من اكل لسد رمق الجوع، أي لا يأكل الا بمقدار دفع شبح الموت جوعاً، وبه قال الإمام الشافعي وأبو حنيفة واصحابه، وقال مالك: يأكل منها حتى الشبع ويتزود.

الثالثة : هذا التقييد للإبقاء على حكم الحرمة سارياً وان تلبس بعضهم بمخالفته في الواقع.

الرابعة : تلك المخالفة والإذن والإباحة المحدودة والمشروطة خارجة من اصل الحكم بالتخصص ومتعلقة بدفع شبح الموت، أي ان الإلتجاء الى هذه المحرمات عن اضطرار يصاحبه استحضار حرمتها والإقرار والإلتزام بالحكم في حال الاختيار.

الخامسة : في الآية اكرام للمسلمين وتعاهد لشخص المسلم وحفظه وان الأولوية في الشريعة لسلامته ودرء الأخطار عنه.

السادسة : الواو في ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ عاطفة ولا يكفي ان يكون غير باغ بل ان يكون ناوياً عدم العودة باذلاً الوسع في الحصول على الرزق الحلال مجتنباً مقدمات الضرورة والإضطرار الى الحرام.

السابعة : الضرورات تبيح المحظورات وتقدر بقدرها.

الثامنة : وفي حديث الرفع المشهور عند عامة المسلمين مع اختلاف جزئي في بعض افراده انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: "رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا

يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا اليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة".

التاسعة : القدر المتيقن بالنسبة للمضطر رفع الحكم التكليفي وانتفاء العقاب الاخروي للبراءة الشرعية.

العاشرة : ورد عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام قالا: "غير باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين"، وبه قال الإمام الشافعي، أي تحمل الآية على اطلاقها وهو الاصل واكل الحرام من فروعها، وان الإباحة الإضطرارية ليست مطلقة لجميع الناس، بل يستثنى منها الباغي والعادي لأنها رحمة وتدارك لا يستحقانها، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الآية قال: "الباغي باغي الصيد، والعادي السارق، ليس لهما ان يأكلا الميتة اذا اضطرا اليها، هي حرام عليهما، ليس عليهما كما هي على المسلمين، وليس لهما ان يقصرا في الصلاة" .

أي كما ان التقصير في الصلاة حال التلبس في السفر تخفيف لا يستحقه العاصي والمسافر سفر معصية ، كذا جواز اكل الميتة عند الإضطرار.

الحادية عشرة : ان الباغي والمعتدي يخرجان بالتخصص من نص الآية الكريمة، فلا يشملهما حكم الضرورة وتنطبق عليهما القاعدة الأصولية (الإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار) وقد تم شرحها[1].

الثانية عشرة : الآية ردع ونهي عن الصيد للهو، والبغي والخروج على الإمام ومنع من التمادي في المحرمات.

---

(1) انظر معالم الإيمان في تفسير القرآن للمؤلف ٣٩/١١.

الثالثة عشرة : اعترض علي بن عيسى على هذا التفسير للآية اذ قال: "ان الله لم يبح لأحد قتل نفسه"، والتعرض للقتل قتل في حكم الدين، ولأن الرخصة لأجل المجاعة لا لأجل سفر الطاعة، وهذا القول يناقش بوجوه:

الأول : ان القرآن حمال اوجه فاذا ثبت او ترجح ظاهراً وجه من وجوه التفسير للآية فلابد من الإجتهاد في اسقاط التعارض والخروج بالقدر المتيقن منه.

الثاني : ان الإستثناء في هذا التفسير صدر من ائمة الهدى ومع صحة سند بعضها فلابد من الإلتزام به لحديث الثقلين المتواتر عند المسلمين وغيره، نعم يمكن حمله على النهي التكليفي والتأديبي للباغي والمعتدي.

الثالث : ان عدم شمول الباغي والعادي باكل الميتة عند الإضطرار الذي تم بالإختيار اما انه مقدمة لبحثه عن غيرها من البدائل الإضطرارية الأخرى وان كان مما اختص بأكله الحيوان، او المراد ان الباغي والعادي عليهما ان يفكرا ملياً في الاضطرار الى اكل الميتة، ومع احتماله ينصرفان عن المعصية فتكون الآية رادعاً لهما.

الرابع : جاء النهي التكليفي بالنسبة للباغي والعادي، فالباغي او العادي حينما يأكل الميتة اضطراراً فانه يؤثم وكأنه يأكلهما في حال الإختيار لأن الجواز والإباحة الاضطرارية حكم تسهيلي وامتناني لا يستحقه الباغي والعادي، فالآية لا تمنع تماماً اكل الباغي والعادي للميتة ولا تدعوه لقتل نفسه، لأنه اختار المعصية اصلاً، ولعله لم يتورع من اكل الحرام حال الضرورة وان لم يرخص به.

الخامس : على القول بان الرخصة لاجل المجاعة، فانها لا تمنع من التفصيل بين المضطر من غير تعد وبين المضطر بالإختيار.

السادس : الإستثناء من الرخصة في هذه الآية مدرسة في الإعجاز والفضل الإلهي، وفصل وتمييز دقيق بين المؤمن والفاسق وتأديب وارشاد للجميع.

السابع : في علم الأصول مقدمة الحرام حرام، بالإضافة الى ما يترتب على التسبيب والمسبب مع ضعف المباشر.

الرابعة عشرة : الآية ردع ونهي عن الصيد للهو، والبغي والخروج على الإمام، ومنع من التمادي في المحرمات.

الخامسة عشرة : في هذا الشطر من الآية الكريمة قاعدة كلية تستنبط منها عدة مسائل ويمكن تطبيقها على مصاديق كثيرة سواء تلك التي تتعلق بالموضوع ام التي تتعلق بالحكم ويستدل بها في احكام الضرورة في العبادات، وعن الباقر عليه السلام: "عن الرجل والمراة يذهب بصره فيأتيه الأطباء فيقولون: نداويك شهراً او اربعين ليلة مستلقياً كذلك يصلي؟ فرخص في ذلك وقال: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾".

السادسة عشرة : للآية الكريمة عمومات تتعلق باحكام الإضطرار والضرورة تخفيفاً ونفياً للحرج ولأن احكام الشريعة مبنية على التخفيف والدقة العرفية وليس الدقة العقلية والحرج.

السابعة عشرة : اعتبار النية والقصد، فأكل الميتة او الدم او لحم الخنزير في حال الإضطرار يكون بقصد البقاء ودفع الموت، واستبقاء المؤمن لنفسه عز وقوة للإسلام وفرصة متجددة لإكتنازه

الصالحات باتيان العبادات.

الثامنة عشرة : الآية رحمة وتخفيف وتوكيد لسماحة الشريعة، وفيها منع للتشديد على النفس.

التاسعة عشرة : الضرورة من الكلي المشكك ويكفي فيها تحقق صدقها العرفي، ولا تحتاج الى الدقة العقلية لما فيها من احتمال مباغتة التلف.

العشرون : كما اننا نستدل بقاعدة كلية وهي قبح العقاب بلا بيان، كذلك جاء في هذه الآية بيان لإقحام النفس في الهلكة بالالتزام بالعمومات في مقام خرج منها بالتخصيص أي بالوضع والدليل الخاص للحث على الإلتجاء الى الرخصة الموقوتة.

الحادية والعشرون : ما ورد في الآية من افراد الضرورة من باب المثال الأهم والا فأن احكام الضرورة عامة، وعن الإمام علي عليه السلام: "المضطر يأكل الميتة ويأكل كل محرم اذا اضطر عليه".

بحث فقهي

يدل على جواز أكل المحرمات عند الضرورة الكتاب والسنّة والإجماع والعقل، فمن الكتاب هذه الآية وآيات اخرى مثل قوله تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2].

وبذا يظهر التكافل بين آيات القرآن في تيسير الأحكام ومنع الإرباك والتعدد والتنافي في وجوه الإجتهاد، ولتبقى الحجة على

([1]) سورة البقرة ١٨٥.

([2]) سورة الحج ٧٨.

العالمين دليلاً ومرآة على صدق النبوة.

ومن السنّة أحاديث كثيرة ومتفرقة في أبواب الفقه المتعددة منها حديث الرفع وحديث نفي الضرر، بالاضافة الى قواعد عديدة منها "كل ما غلب الله على العباد فهو أولى بالعذر".

ووفق تقديم الأهم على المهم أولوية حفظ النفس ودفع شبح الموت عنها بإباحة المحرم عند الضرورة والإضطرار، وفيما يلي جملة من مسائل احكام الضرورة:

الأولى : من مصاديق الضرورة تناول ما فيه حفظ النفس وانحصار سد الرمق به او طرد المرض الشديد الذي لا يتحمل عادة بتركه، او بلحوق التلف على الغير في حال ترك تلك الإباحة كما في الحامل التي تخشى على جنينها او المرضعة التي تخاف على من ترضع، ويكفي الخوف الحاصل بالظن ولا عبرة بما يبتنى على الوهم والإحتمال المرجوح.

الثانية : من الضرورات المبيحة للمحرمات المزبورة الإكراه والتقية ممن يخاف منه على نفسه او على نفس محترمة او على عرضه او عرض محترم او مال محترم يجب عليه حفظه.

الثالثة : في كل مورد يتوقف حفظ النفس على شرب او أكل محرم يجب التناول لدفع ما يخشى من التلف على النفس فلا يجوز للمكلف التنزه والحال هذه، والأقوى عدم الفرق بين الخمر والطين وبين سائر المحرمات مما يؤكل او يشرب في هذا الحكم فاذا دار الأمر بين شرب الخمر او الهلاك من العطش جاز شربه وكذا بالنسبة لأكل الطين، ولو دار الامر بين الخمر والطين مثلاً يقدم الطين لعدم جواز تناول الخمر الا عند الضرورة والانحصار،

وذهب جمع الى عدم تناول الخمر مطلقاً أي وان كان عن اضطرار.

الرابعة : اذا اضطر الى المحرم فليقتصر على مقدار الضرورة ولا يجوز له الزيادة فاذا اقتضت الضرورة ان يأكل الميتة لسد رمقه فليقتصر على ذلك ولا يجوز له ان يأكل الى حد الشبع الا اذا فرض ان ضرورته لا تندفع الا بالشبع.

الخامسة : جواز اكل المحرم في مورد الضرورة يختص بغير الباغي والعادي، واما فيهما فيبقى على حرمته وان ارشده عقله الى الإرتكاب.

السادسة : يجوز التداوي لمعالجة الأمراض بكل محرم اذا انحصر به العلاج، وليس من دليل على اطلاق النهي عنه حتى في هذه الصورة ويكفي فيه حكم الطبيب الحاذق الثقة وان كانت هذه المسألة مما قل الإبتلاء بها بسبب علوم الطب والمستحضرات الدوائية الحديثة.

السابعة : يجوز تناول الإنسولين ونحوه من الأدوية وان احتوت على النجس والمحرم للإستحالة وتغير الموضوع واحكام الضرورة، نعم على الاطباء المسلمين وغيرهم المبادرة الى تصنيع علاج خال من النجاسة والحرمة.

الثامنة: الأقوى عدم جواز التداوي بالخمر وبكل مسكر مع عدم الانحصار للآيات والنصوص التي تنهى عن ذلك بالتشديد في امر الخمر مما يعني ظاهراً عدم انحصار العلاج به ولإنتفاع المؤمن من التطور الحاصل في هذا الزمان في ميادين الطب والصيدلة واصناف الدواء.

التاسعة : و اضطر الى اكل طعام الغير لسد رمقه وكان المالك حاضراً فان كان هو ايضاً مضطراً لم يجب عليه بل لا يجوز له بذله وليس للمضطر قهره وانتزاعه منه، اما لو كان المالك غير مضطر فيجب عليه بذله للمضطر وان امتنع عن البذل جاز له قهره، والأحوط ان لا يكون الأخذ قهراً والمالك في معرضية الإضطرار، ولا يتعين على المالك بذله مجاناً فله ان لا يبذله الا بالعوض لقاعدة السلطنة، واذا لم يقدر العوض بمقدار كان على المضطر ثمن ما اكله او مثله ان كان مثلياً، وللمالك ان يقدره باكثر من ثمنه، فاذا كان المضطر قادراً على دفعه يجب عليه الدفع اذا طالبه به، وان كان عاجزاً يكون في ذمته ويتبع تمكنه هذا اذا كان المالك حاضراً، واما اذا كان غائباً فللمضطر الأكل منه بمقدار سد رمقه وتقدير الثمن وجعله في ذمته ولا يكون اقل من ثمن المثل، والأحوط الرجوع الى الحاكم في تقديره ما دام المالك غائباً ومع عدمه فإلى اهل الخبرة من عدول المؤمنين الا ان يكون في الرجوع ضرر لا يحتمل، وبذا يظهر عدم التعارض بين قاعدة السلطنة واحكام الضرورة.

قوله تعالى ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾

الأولى : فلا يعتبر هذا الأكل حراماً عليه وذنباً لأن الحرمة ملازمة لحال التكليف والإختيار.

الثانية : يرتفع النهي عند الضرورة فكأن مقدار الحاجة من المحرم حينئذ من المباح.

الثالثة : هل يمكن اعتباره من المباح حينئذ، الظاهر انه يلحق عرضاً بالمباح بلحاظ حكم الضرورة والرخصة وليس من المباح وعلى نحو القضية الشخصية العرضية.

الرابعة : المباح يأكله الإنسان من غير حرج او تردد لأصل الاباحة، اما هذا فقد طرأت الرخصة بجواز اكله مع ادراك انه منهي عنه.

الخامسة : الرخصة أخص من الإباحة وان كانت عرضية مؤقتة، كما انها في المقام متزلزلة ومقيدة، فمتزلزلة لأنها ترفع حالما يجد المضطر ما ليس بمحرم، ومقيدة بان لا ينال من الميتة ونحوها الا ما يسد الرمق وساعة الإضطرار فقط.

السادسة : الآية تخفيف عن المسلمين وحاجز دون اهلاك النفس بسبب الورع والتقيد باحكام الشريعة، فمن الورع الأخذ بالرخصة وعدم التشديد على النفس.

قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الأول : انه سبحانه الذي يغفر الذنوب جميعاً لمن استغفر واناب اليه فمن باب أولى انه سبحانه لا يؤاخذ من اذن له باحكام الضرورة.

الثاني : الآية جواب ونهي عن القول اني اتقرب اليه تعالى بعدم اكل الميتة عند الضرورة تمسكاً باصل التحريم.

الثالث : في الآية اكرام للمسلمين بتوكيد الشريعة على أولوية حفظه وصيانته ودفع شبح الموت عنه.

الرابع : ان الله عز وجل يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه ومن رحمته تعالى احكام الضرورة والتخفيف والسعة في الدين بالإضافة الى القواعد الإمتنانية.

الخامس : تؤكد الآية ان احكام الشريعة رحمة في كل الاحوال

وان اختلف الحكم عند الضرورة.

السادس : هل يمكن القول ان في الآية اشارة الى الباغي والعادي على نحو ايجابي وهو ان باب التوبة لا يغلق عليهما، وان استثنائهما من الرخصة منحصر في حال بغيهما وتعديهما، اما لو تابا واانابا واستغفرا فان عمومات الرخصة تشملهما بالمغفرة اللاحقة، الجواب: نعم لأن صفة الغفور وردت في الآية على نحو الإطلاق من غير تقييد بحال دون حال او شخص دون آخر.

السابع : لو فرضنا ان احدهما كان يستغفر اثناء أكله للميتة وهو باغ او عاد ففيه وجهان:

الأول: انه تاب توبة نصوحاً حينئذ كما لو رأى اشرافه على الهلاك واضطراره الى اكل الميتة فندم وتاب فان الله غفور رحيم، وهذه الصورة من مصاديق الآية أي ان خاتمة الآية هذه دعوة للتوبة والتدارك.

الثاني: انه يستغفر الله مع اصراره على البغي والتعدي كما لو انه يستغفر من أكل الميتة ولكنه لا زال متلبساً بالبغي عن اصرار، فهذا يخرج عن مضمون الآية بالتخصص ولا يشمله حينئذ حكم العفو والمغفرة لأن المغفرة وعد عند الإستغفار والإنابة، والآية الكريمة دعوة للإستغفار والندم مطلقاً، وفيهما اخبار للمؤمنين برفع الحرج عند الضرورة وعدم خشية العقاب حينئذ، للتباين الموضوعي بين حال الإختيار وحال الإضطرار، والحكم دائماً يتبع الموضوع.

الثامن : في الآية تنزيه للمسلمين وغلق لأبواب الطعن عليهم والمؤاخذة بسبب أكل المحرم عند الضرورة.

التاسع : ان الله عز وجل يحب ان لا يخرج العبد عن احكام

الشريعة حتى بأحكام الحاجة القصوى والضرورة.

فهذه الآية الكريمة من اعظم وجوه الفضل الإلهي اذ انها اعلان سماوي بان حكم الإضطرار غير حكم الإختيار وفيه من التخفيف ما يفوق التصور لأن رحمة الله عز وجل لا تدركها اوهام البشر.

بحث بلاغي

قد تقدمت في الآية صفة الغفور على الرحيم في آيات لما في المغفرة من محو للخطايا وتجاوز عن الذنوب وسلامة مما يترتب على الإثم من الأوزار، والرحمة نعمة وغنيمة فكأن المغفرة باب ومدخل للرحمة واحد اهم مصاديقها فجاء الخاص متقدماً على العام، ليبقى الإنسان بعدها متطلعاً الى المزيد من رحمته، وفي آية واحدة تقدمت صفة الرحيم في قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[1] ولابد لهذا التقديم من خصوصية واحكام استدلالية منها ان الرحمة المذكورة في الآية متعددة تشمل اجناس المخلوقات ولا تنحصر بالمكلفين، ومن البلاغة التقديم والتأخير وما يدل عليه من البراعة وحسن النظم الا ان موضوع التقديم الأهم هو المعاني الكلامية والشرعية، فان الرحمة احياناً تكون سبباً للتوبة والمغفرة، وانه تعالى يرزق الناس كي يعبدوه ويتدبروا في مخلوقاته.

والقاعدة في علم البيان تقديم الأبلغ ولكن صفاته تعالى تخرج بالتخصص عن هذه القاعدة، فكل صفة من صفاته هي أبلغ من غير تزاحم بينها.

---

(١) سورة سبأ ٢.

بحث ايماني

ومن أسماء الله تعالى (الغفار) وقيل معناه الساتر لذنوب عباده، ولكنه في الحقيقة اعم من ذلك فهو الذي يمحو الذنوب ويمن على المسيئين بالصفح والتجاوز عن خطيئاتهم تفضلاً منه تعالى، (وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: وانا استغفر الله سبعين استغفارة).

ولا يعني هذا عن حاجة من ذنب ونحوه فهو المعصوم من الذنوب صغائرها وكبائرها بل هو درس لتأديب الأمة وتعليمها المواظبة على الاستغفار الذي يعتبر بصرف طبيعته خضوعاً وعبادة واقراراً بالربوبية.

والثناء على الله ، قال تعالى ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[1].

والله عز وجل رب كل شيء ومالك الاشياء جميعاً وهو مدبر الامور ومصلحها، وفي اللغة رب الشيء: سيده ومالكه وصاحبه ومصلحه ومدبره ومربيه والقيّم والمنعم عليه، ولا يأتي الرب بالتعريف والاطلاق الا لله عز وجل، نعم قد يأتي هذا الاسم مع الاضافة لغير الله فيكون مقيداً ك(رب الدار) و(رب الناقة)، ولاسم الرب قدسية خاصة باعتباره من امهات الأسماءالمقدسة، كما وفيه خصوصية وشأن في نشأة الخلائق وترتيب عالم التكوين وتنظيم شؤون الموجودات بالتدبير الاكمل والنظام الامثل.

ومن اسمائه تعالى (الملك) و(الجبار)، والملك هو القادر على والتصرف والتدبير والسياسة في حدود مملكته وسلطانها، والملك

---

(1) سورة المائدة ١٦.

يـوم القيامـة خـالص لله عـز وجـل فلـيس لأحـد يومئـذ نـوع ملكيـة اعتباريـة او مجازيـة، حيـث تنعـدم هنـاك عـروش ملـوك الارض وينفـرد البـاري بالسـلطان والعظمـة والجـبروت، وهـو الجبـار أي المتكـبر وانـه تعـالى قهـر عبـاده على قبـول التكـاليف الشرعية، ومجاورتـه تعـالى كنايـة عـن النـزول في ظـل رحمتـه وكنفـه والكـون في حفظـه وثوابـه واتصـال احسانه والزلفى لديه.

قولـــه تعـــالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية ١٧٤.

الإعراب واللغة

إن الذين : إن وإسمها، يكتمون : فعل مضارع مرفوع.

الـواو : فاعـل، والجملـة الفعليـة لا محـل لهـا مـن الإعـراب لأنها صلة الموصول.

مـا : اسـم موصـول، مفعـول بـه ليكتمـون، أنـزل : فعـل ماض.

اسـم الجلالـة : فاعـل، والجملـة الفعليـة لا محـل لهـا مـن الإعراب لأنها صلة الاسم الموصول(ما).

مـن الكتـاب : جـار ومجـرور متعلقـان بمحـذوف حـال مـن الضـمير المحـذوف وتقـديره : مـا أنـزل الله كتابـاً حـال كونـه مـن

الكتاب.

ويشـترون : الـواو : حـرف عطـف، يشـترون جملـة معطوفـة على جملة أنزل الله، به : جار ومجرور متعلقان بيشترون.

ثمناً : مفعول به، قليلاً : صفة.

أولئك اسم الإشارة مبتدأ.

مـا : نافيـة، يـأكلون : فعـل مضـارع مرفـوع، والجملـة خـبر اسـم الإشـارة، في بطـونهم : جـار ومجـرور متعلقـان بيـأكلون إلا: أداة حصر.

النـار : مفعـول بـه منصـوب بالفتحـة، وجملـة(أولئك يـأكلون) خبر إن في قوله تعالى(إن الذين).

ولا يكلمهــم : الــواو حــرف عطــف وإســتئناف بلحــاظ إرادة أكل الخبيث في الدنيا ولهيب النار في الآخرة.

يكلمهــم : فعـل مضـارع والضـمير مفعـول بـه، اسـم الجلالـة : فاعل مرفوع بالضمة.

يـوم : ظـرف زمـان متعلـق بـيكلمهم، وهـو مضـاف، القيامـة : مضـاف إليـه، ولا يـزكيهم : جملـة مـن فعـل وفاعـل ومفعـول بهـم معطوفة على جملة(لا يكلمهم الله).

ولهـم : الـواو : حـرف عطـف، لهـم : جـار ومجـرور متعلقـان بمحـذوف خـبر مقـدم، عـذاب : مبتـدأ مـؤخر مرفـوع، ألـيم : صـفة مرفوع بالضمة.

وذكـر أن المـراد مـن القلـة في قولـه تعالى(ثمنـاً قلـيلاً) الحرمـة في مقابـل الحليـة، (قيـل إنـما قـال : قليـل لأنـه حـرام)[1]، ولكـن هـذا خـلاف المعنـى الحقيقـي مـن اللفـظ ومـا يتبـادر إلى الأذهـان مـن لفـظ

---

(١)مجمع البيان ٢٥٦/١.

قلة وما يدل عليه من النقص والضآلة في ذاته وكبدل وعوض، نعم تترشح عنه معاني الحرمة والمنع.

في سياق الآيات

تظهر الآيات الكريمة موضوعية نظم الآيات وسياقها، فبعد أن خاطبت المسلمين وحثتهم على أكل الطيبات والشكر لله عز وجل وبينت أحكام التخفيف الخاصة بهم كمسلمين أي بتجرد وتنزه عن البغي والعدوان، عادت هذه الآية إلى بيان حال الذين يخفون الآيات والحجج والبراهين الإلهية.

الصلة بين هذه الآية والآيات المجاورة لها على شعبتين :

الأولى : صلة هذه الآية بالآيات السابقة، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة(إنما حرم عليكم) [١]، وفيها مسائل :

الأولى : مجيء الآية أعلاه خطاباً للمسلمين، وجاءت هذه الآية بصيغة الجملة الخبرية لبيان حال الذين يخفون الآيات.

الثانية : لن يستطيع أهل الكتمان إخفاء أحكام الآية أعلاه لأنها جاءت في القرآن الذي كتب الله عز وجل له الحفظ والسلامة من التحريف، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحافظون﴾ [٢].

الثالثة : بيان إستحقاق المسلمين لمنزلة(خير أمة) [٣] لأنهم لم يكتموا الآيات وأحكام التنزيل، بل يقومون بتلاوة آياتها في

---

(١)الآية ١٧٣.

(٢)سورة الحجر ٩.

(٣)سورة آل عمران ١١٠.

الصلاة اليومية، وفيه ندب للعمل بها، وعدم تجاوزها.

الرابعة : يفيد الجمع بين الآيتين عدم ترتب الأثر على كتمان الآيات في باب النبوة ودلائل التنزيل وبطلان سحر الذين كفروا، فقد نزلت آيات القرآن في بيان الحلال والترغيب فيه، وبيان الحرام والزجر عنه.

الخامسة : بيان المندوحة والرفعة للمضطر من غير أن يلجأ للتحريف والتغيير ، فيتقيد بأحكام الشريعة ، ويأخذ بالرخصة.

السادسة : أختتمت آية (إنما حرم) بمضامين العفو والرحمة بقوله تعالى(أن الله غفور رحيم) لأنها خطاب للمسلمين في باب أحكام التذكية وأختتمت هذه الآية بالإنذار والوعيد(ولهم عذاب أليم) لأنها جاءت في ذم الذين يخفون الآيات وبشارات الكتب السماوية السابقة التي تتضمن البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

السابعة : أيهما أشد إثماً وجناية، أكل الميتة من غير إضطرار أو كتمان التنزيل، الجواب هو الثاني، لأن فيه إضرار بالنفس والغير، ولا ينحصر هذا الإضرار بالموجود بل يشمل المعدوم ومن سيولد أيضاً، وتوبة آكل الميتة تصح بين العبد وربه، أما التوبة من إخفاء الآيات فلا تصح إلا بالبيان وإظهار التنزيل وكشف التحريف، قال تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[1].

---

(١)سورة البقرة ١٦٠.

الثانيـة : صـلة هـذه الآيـة بآيـة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ..﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : جـاءت آيـة السـياق خطابـاً للمسـلمين، يتضـمن الإكـرام والتشـريف والإذن بـالتنعم بالطيبـات، أمـا آيـة البحـث فتتضمن الذم للذين يخفون ما أنزل الله على الأنبياء السابقين.

الثانيـة : جـاءت كـل مـن الآيـتين بموضـوع الأكـل، مـع التبـاين فيـه موضـوعاً وحكمـاً، فالمسـلمون يـأكلون الطيبـات، أمـا الـذين يخفـون الآيـات فيـأكلون مـا فيـه الضـرر والعـذاب، قـال تعـالى﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

وظلمهم لأنفسهم في المقام مركب من وجوه :

الأول : حرمـان الـنفس مـن الطيبـات الـتي سـخّرها الله للمؤمنين.

الثاني : قبح ما يأكلون من العذاب .

الثالـث : مـا يصـاحب أكـل النـار ومقـدماتها مـن الحسـرة والألم.

الرابـع : تحمـل وزر مـن أوزار الـذين يغـررون بهـم، ويضـلونهم بكتمـان وإخفـاء الآيـات، وتبـديل صـفات الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم الـتي جـاءت بهـا الكتـب السـماوية السابقة.

الثالثة : ذكـر نعـم الله عـز وجـل علـى المسـلمين في آيـة السـياق ترغيـب لأهـل الكتـاب والنـاس بـدخول الإسـلام، ونبـذ إخفـاء

---

(١)الآية١٧٢.

(٢)سورة الأعراف١٦٠.

الآيات لأن الأمر الإلهي بأكل الطيبات آية ظاهرة تستلزم من العقلاء إتباعها وقصدها والسعي إليها.

وتلك آية في فلسفة خطابات القرآن للمسلمين بأن تكون حجة على الناس وحثاً لهم لإنتهاج سبل الهداية، ويتلو المسلمون كل يوم على نحو متكرر وهم وقوف بإصطفاف وخشوع بين يدي الله عز وجل ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١).

لتكون هذه التلاوة ومضامينها مرآة للإيمان ودعوة للناس للإسلام.

الرابعة : في ذم القرآن للذين يخفون الآيات وأسرار التنزيل التي جاءت في الكتب السابقة نوع تحد لهم بأن المسلمين لم ولن يخفوا ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾.

وهو من الدلائل على أمور :

الأول : سلامة القرآن من التحريف.

الثاني : عصمة القرآن من النقص.

الثالث : تنزه المسلمين عن إخفاء وكتمان الآيات، رسماً وتلاوة وتأويلاً، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٢).

الخامسة : تكرر لفظ(الذين) في الآيتين، مع التباين في الجهة فجاء في آية البحث لإرادة فريق من أهل الكتاب يخفون الآيات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١)سورة الفاتحة٦.

(٢)سورة آل عمران١١٠.

وظهوره على الكفار، وجاء في آية السياق بذكر المسلمين على نحو العموم الإستغراقي بما فيه الثناء عليهم والوعد الكريم لهم.

السادسة : جاءت آية البحث بالذم والوعيد للذين أنكروا الآيات، وسعوا في إخفائها.

أما آية السياق فتضمنت الأمر الإلهي للمسلمين بالشكر لله عز وجل على النعم.

السابعة : أكل المسلمين للطيبات وشكرهم لله عز وجل وأداؤهم للفرائض مناسبة متعددة ومتجددة للثواب والخلود في النعيم.

أما إخفاء فريق من الناس الآيات والبشارة فانه سبب لحرمانهم من تزكية الله لهم يوم القيامة، وهو باب لنزول العذاب.

الثامنة : شكر المسلمين لله عز وجل علة لجلب الزيادة من النعم بفضل من الله قال تعالى﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

وأما الذين يخفون الآيات فانهم محرمون من الزيادة والمضاعفة في النعم.

التاسعة : مجيء الآية بالمدح والثناء على المسلمين بالخطاب التشريفي بصفة الإيمان، والأمر بالتنعم بالطيبات، بينما جاءت الآية محل البحث بذم، الذين يخفون الآيات، ويحرفون التنزيل طمعا بالثمن القليل.

العاشرة : مع الإيمان يأتي الفضل العظيم ، والرزق الواسع الكريم في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يرزق الله المسلمين السكينة والطيبات ،أما أهل الضلالة فأنهم يحرمون أنفسهم من هذه النعمة

(١)سورة إبراهيم٧.

لقاء ثمن قليل يكون وبالاً عليهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾

الحادية عشرة : تقدير الجمع بين الآيتين (يا أيها الذين آمنوا إن الذين يكتمون ما أنزل الله) وفيه وجوه :

الأول : بيان منزلة المسلمين في الأرض وأنهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] إذ يتفضل الله بإخبارهم عن حال الذين يخفون المعجزات.

الثاني : لقد تفضل الله وأخبر الملائكة عن جعل خليفة في الأرض قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

وتفضل الله سبحانه وأخبر النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين عن الذين يكتمون الآيات، وما ينتظرهم من العذاب.

الثالث : الذين يكتمون الكتاب لا يستطيعون إخفاء الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومعجزاته العقلية والحسية.

الرابع : تحذير المسلمين من الذين يخفون الآيات والمعجزات.

الخامس : المدد السماوي للمسلمين بالحجة والبرهان ، وفضح الذين يكتمون و يخفون الآيات.

---

(١)سورة آل عمران ١١٠

(٢)سورة البقرة ٣٠

السادس : حث المسلمين على تعاهد آيات القرآن، ومنع وصول يد التحريف إليها، وأخذ الحيطة والحذر في الأحكام الشرعية.

الثانية عشرة : السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع،لأنها وحي، قال تعالى﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى◆إِنْ هُوَإِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1] وهل هي من الكتاب، الجواب : لا، لأن القدر المتيقن من لفظ الكتاب هو التنزيل بالنص على النبي، كما في القرآن المحصور بين الدفتين إذ أن كلماته وآياته نزلت بالنص التعييني الذي لا يقبل التعدد والتخيير، وأسماء سوره وترتيبها توقيفيان من عند الله عز وجل.

الثالثة عشرة : ترغيب أهل الكتاب جميعا ومنهم الذين يقومون بالتحريف بدخول الإسلام والفوز بالتنعم بالطيبات.

الرابعة عشرة : الشكر من مقامات العارفين، ونال المسلمون مرتبة الشكر لله، وهو من خصائص﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]، ولم يمنع تحريف الكتب المنزلة من وجود أمة مؤمنة شاكرة الله، تعرض عن التحريف، وتنفر منه.

الخامسة عشرة : من أسماء الله (الشاكر) وهو الذي يشكر للمسلمين إيمانهم وشكرهم له على النعم، وشكره تعالى هو الجزاء الحسن في الدنيا والآخرة.

ولم يستطع الذين يخفون الآيات منع المسلمين من الشكر لله عز وجل لأنه تعالى هدى المسلمين الى سبيله، وهذه الهداية

---

(١)سورة النجم٣-٤.

(٢)سورة آل عمران ١١٠.

النوعية العامة برهان وحجة وهو من عمومات قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(١).

الثالث : صلة هذه الآية بآية ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ بهذه الآية، وفيها مسائل :

الأولى : تشترك الآيتان في ذم الكافرين والجاحدين.

الثانية : تحريف الكتاب وإخفاء معجزات النبوة مقدمة وسبب للتضليل على فريق من الناس ،فجاء القرآن بفضحه والوعيد لأهله، فالذين يكتمون التنزيل لا ينحصر ضررهم بأنفسهم فقط ، إذ يضرون أسرهم وأتباعهم وذراريهم ليلحقهم أثم ووزر آخر، ويجعلونهم يتوارثون التحريف، ويعجزون عن معرفة ما كتموه وأخفوه إلا أن يهديهم الله فتفضل الله عز وجل بالقرآن وجعله سالما من التحريف لخزيهم ،ومنع إستمرار سلطانهم على الناس.

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين تعدد صيغ الإنذار للذين يخفون التنزيل، ويحرفون صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة في الكتب السماوية السابقة.

الرابعة : بين الذين كفروا الذين تذكرهم آية السياق أعلاه وبين الذين يكتمون ما أنزل الله عموم وخصوص مطلق،إذ أن الكافربن أعم.

الرابع : صلة ﴿وإذا قيل لهم﴾ بهذه الآية، وفيها مسائل :

الأولى : يفيد الجمع بين الآيتين ذم الذين لا يؤمنون بالتنزيل ويجحدون به، وعن أبي ميسرة قال : مرّ رسول الله صلى الله

---

(١)سورة الأنعام ١٤٩.

عليه وآله وسلم على أبي جهل فقال : والله يا محمد ما نكذبك أنك عندنا لمصدق ولكنا نكذب بالذي جئت به، فأنزل الله {فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}(1).

الثانية : تكرر في الآيتين قوله تعالى (ما أنزل الله) مع ذم الكافرين به، وفيه بيان لغنى الله عز وجل عن الناس.

ولما قام فريق من الناس بكتمان التنزيل تفضل الله عزو جل وأنزل القرآن الذي لا تصل إليه يد التحريف ،فإمتنعوا عن إتباعه.

الثاني : بيان حقيقة وهي عدم ترتب الأثر من كتمان هؤلاء مضامين الكتب السماوية السابقة، إذ أنعم الله عز وجل على الناس جميعاً بنزول القرآن، وتشمل هذه النعمة العظيمة الذين يكتمون التنزيل وهو من مصاديق قوله تعالى في حق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(2)، وفيه إشارة إلى إمهال الكفار كما جاء في خاتمة هذه الآية بالوعيد بعذابهم فقد أضروا بالكتمان أنفسهم، قال تعالى(وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(3).

الشعبة الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية وهي على وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) (4)، وفيها مسائل :

(1)الدر المنثور ٤/٤٩.

(2)سورة الأنبياء١٠٧

(3)سورة النحل ١١٨

(4)سورة البقرة ١٧٥

الأولى : إتحاد موضوع الآيتين ،وتعلق أحكامهما بالذين يخفون التنزيل والبشارات بالنبي صلى الله عليه وأله وسلم،

الثانية : توكيد ذم الذين يخفون المعجزات ، ودعوة الناس لإجتنابهم، وأخذ الحائطة منهم.

الثالثة : بيان حاجة الإنسان لطلب الهدى، والسعي لنيل المغفرة ومخالفة أهل الكتمان لوظائفهم، ولزوم جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وبذل الوسع في فصل الصالحات،وإجتناب الزور في الشهادة أو كتمانها.

الرابعة : بيان الملازمة بين إخفاء الآيات و الضلالة وسوء العاقبة.

الخامسة : توكيد الحجة على الكفار ، وزجرهم عن الإقامة على إخفاء حقائق التنزيل، ودعوتهم للتوبة والإنابة وتذكيرهم بالهدى والذكر كفعل وجزاؤه العفو والمغفرة من عند الله.

السادسة : لما أختتمت الآية السابقة بالوعيد بالعذاب الأليم فإنه مجمل أختتمت الآية التالية ببيان ماهية العذاب وإنه المكث الدائم في النار.

الثانية : صلة هذه الآية بآية ﴿اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : تشترك الآيتان في الموضوع وهو ذم الذين يخفون آيات التنزيل.

الثانية : تأكيد الظلم والتعدي بكتمان الآيات إذ أن الله عز وجل أنزلها بالحق لتكون رحمة للناس، وسبيل هداية لهم،

(١)سورة البقرة ١٧٦

والـذي يخفـي البشـارات بـالنبي محمـداً صـلى الله عليـه و آلـه وسـلم يظلـم نفسـه، ويسـعى لظلـم غـيره بحجـب الحـق عنـه، فجـاءت الآيتـان لفضــحه وتحــذير النــاس منــه، ودعــوتهم للتــدبر في آيــات القــرآن بالذات والأثر.

الثالثـة : التنزيـل خـير محـض سـواء الكتـب السـابقة أو القـرآن، وكتمان الآيات حجب لوجوه الخير عن الناس.

الرابعـة : بيـان رحمـة الله عـز وجـل بأهـل الكتـاب والنـاس في ذم الـذين يخفـون الآيـات، ودعـوتهم للتوبـة والإنابـة ،وجعـل النـاس ينتفعـون مـن التنزيـل، وقـد تفضـل الله سـبحانه وجعـل القـرآن كافيـاً وافياً لأمور الدين والدنيا.

الخامسـة : مـن مفـاهيم نـزول الكتـاب بـالحق بلحـاظ الصـلة بـين الآيتين وجوه:

الأول : فضح كتمان التنزيل، وبيان قبحه.

الثـاني : إنـذار الـذين يخفـون البشـارات الـتي وردت في نبـوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

الثالـث : تفضـل الله عـز وجـل وأنـزل القرآن،وجعلـه جامعـاً مانعـاً جامعـاً لأحكـام التنزيـل، ومانعـاً مـن ترتـب الأثـر علـى كتمـان الآيـات، قـال تعـالى﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وكتمـان هؤلاء الآيات من البيان الذي جاء في القرآن .

الرابـع : بيـان عقوبـة الـذين يخفـون الآيـات، وإخبـارهم النـاس جميعاً عنها في الحياة الدنيا، وفي هذ الإخبار مسائل :

الأولى : إنه حجة على الظالمين الذين يكتمون الآيات.

الثانية : دعوة الناس للإعراض عن الذين يخفون الآيات.

---

(١)سورة النحل ٨٩

الثالثة : جعل النفوس تنفر من كتمان التنزيل لما فيه من العذاب الأليم.

الخامس : كشف موضوع كتمان الآيات،بلغة التوبيخ لأهله.

السادسة : ذكر موضوع آخر وهو إختلاف الأمم السابقة بالكتب السماوية مع أنها نازلة من السماء،وكلها حق وصدق .

الرابع : صلة هذه الآية بقوله تعالى﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾[1]، وفيه مسائل :

الأولى : بين الآيتين من حيث الموضوع وجهته عموم وخصوص مطلق، إذ جاءت آية السياق في ذم الكفار الذين أصروا على إتباع ما عليه أياؤهم من الكفار.

أما آية البحث فانها تتعلق بالذين يخفون الآيات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثانية : من إعجاز القرآن بيان تعدد جهات الكفر التي يتوجه إليها الذم والتقبيح من غير خشية وتقية منهم، وفيه وجوه :

الأول : إنه من النصر الإلهي للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : فيه شاهد بأن النبي محمداً لم ينتصر بالسيف بل بالحجة والحكمة وجهاد الكفار بالحق والتنزيل، قال تعالى﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

---

(١)الآية١٧٠.

(٢)سورة النحل١٢٥.

الثالث : إنه مدد للمسلمين في سعيهم في سبل الهداية والصلاح.

الرابع : فيه تأديب وإرشاد للمسليمين في باب الإحتجاج وإقامة الحجة على الكفار، وهو من مصاديق إظهار وبيان الآيات التي سعى هؤلاء لإخفائها وكتمانها، قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾(١).

الثالثة : يؤكد الجمع بين الآيتين العناد والأذى الذي يلاقيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون في مواجهة صيغ التشكيك والعناد، وهل هذا الأذى خاص بالصحابة وأهل البيت أيام التنزيل أم أنه شامل للمسلمين في أجيالهم المتعاقبة.

الجواب هو الثاني، ويدل عليه الوجدان والشواهد العملية، لذا فان كلاً من الآيتين مدرسة لتفقه المسلمين، ومناسبة لبعث الصبر في نفوسهم، قال تعالى ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً﴾(٢).

وفيه بشارة للمسلمين في تحمل الأذى الذي يأتي من الذين يخفون الآيات، والذين يجحدون بها وإن تآزروا على الإضرار

---

(١)سورة الشورى١٦.

(٢)سورة آل عمران١٢٠.

بالمسلمين، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾[1].

والآية أعلاه وان جاءت بخصوص واقعة أحد إلا أن الوارد لا يخصص المورد، والمدار على عموم اللفظ وليس سبب النزول، فصحيح أن آية البحث والسياق جاءتا في ذم الذين كفروا وأصروا على العناد إلا أنهما يدلان بالدلالة الإلتزامية على البشارة للمسلمين بدفع الأذى والكيد الذي يأتي منهم، وهذا الدفع مقدمة للنصر والظفر للمسلمين.

الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : بعد أن جاءت هذه الآية بالإخبار عن وجود فريق من الناس يخفون آيات التنزيل، ويمتنعون عن كشف البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإخبار عن عالم الغيب فيما ينتظرهم من العذاب في الآخرة جاءت آية السياق لبيان حالهم وصفتهم وسوء إختيارهم العمى على الهداية والرشاد، وفيه منافع من وجوه :

الأول : جذبهم إلى سبل التوبة.

الثاني : تذكيرهم والناس بحقائق التنزيل وأنها غير غائبة عن الوجود الذهني لهم.

---

(١)سورة آل عمران١٢٦.

(٢)الآية١٧٥.

الثالث : وهن وتفريق جمع الذين يكتمون التنزيل باعلان فريق منهم البشارات التي وردت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية السابقة.

الثانية : بعث السكينة في نفوس المسلمين، والرضا بحسن إختيار الإسلام لدلالة الجمع بين الآيتين على قبح فعل وإختيار الكفار، قال تعالى﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1].

الثالثة : في وصف الذين يخفون الآيات بالضلالة وأنهم سعوا إليها وبذلوا لها عوضاً أمور :

الأول : إنه دليل على خسارتهم في النشأتين.

الثاني :تحذير الناس من الذين يخفون البشارات النبوية.

الثالث : إنه شاهد على عدم فلاحهم في الدنيا والآخرة.

الرابعة : إجتماع الضلالة مع كتمان الآيات برهان على الخيبة والخذلان للذين يكتمون ويخفون الآيات، فحينما قالت آية السياق أنهم إشتروا الضلالة فانها تدل بالدلالة التضمنية على أن هذا الكتمان لن ينفع أصحابه ولن يكون مانعاً من هداية الناس وإنجذابهم للإسلام والمعجزات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامسة : من إعجاز سياق الآيات أن كلاً من خاتمتي الآيتين تتعلق بعذاب الكفار يوم القيامة.

ويحتمل وجوهاً :

الأول : إرادة الموضوع المتحد فكل العقاب وشدته على إخفاء الآيات.

(١)سورة آل عمران ٨٥.

الثاني : التفصيل وان العذاب يأتي مرة بسبب إخفاء الآيات، وأخرى بسبب شراء الضلالة بالهدى.

الثالث : إستحقاق أولئك الكفار العذاب لإصرارهم على المعاصي، والذنوب التي يرتكبونها أعم مما ذكر في آية البحث والسياق.

ولا تعارض بين هذه الوجوه وفي التنزيل بخصوص أهل النار وهم في العذاب الأليم ووسط وهجها وشدة غيظها ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[1].

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ...﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : ذكرت آية البحث ما أنزل الله من الكتاب، أما آية السياق

فذكرت (الكتاب) وتحتمل النسبة بين (ما انزل الله) وبين (الكتاب) وجوهاً:

الأول : التساوي لأن ما أنزل الله هو الكتاب، والكتاب هو المحصور بين دفتين.

الثاني : بين(ما انزل الله) و(الكتاب) نسبة العموم والخصوص المطلق، فالأول أعم لأن منه الصحف والوحي للأنبياء، قال تعالى في النبي محمد صلى الله عليه وآله

---

(١)سورة المؤمنون ١٠٦.

(٢)الآية١٧٦.

وسلم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[(١)].

وهل يدخل فيما أنزل الله ما أوحى الله عز وجل للأولياء والصالحين من غير الأنبياء، كما في قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾[(٢)]، الجواب قد جاء ذكر هذا الوحي وموضوعه في القرآن فلا سبيل إلى كتمانه وإخفائه، والقدر المتيقن من المقصود مما أنزل الله آيات التنزيل على الأنبياء.

الثالث : الكتاب هو الأعم مما أنزل الله.

والصحيح هو الثالث، وليس كل نبي عنده كتاب وشريعة مبتدأة، وجاءت آية البحث مقيدة بالتبعيض لقوله تعالى ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ لإفادة ما أخفى هؤلاء وأنه جزء من الكتاب لإرادة المعنى الأعم للكتاب والتنزيل.

وهل فيه إشارة بأنهم يستطيعون إخفاء كل الكتاب إلا أنهم أخفوا جزء منه لايتلائم والمنافع الدنيوية الحاضرة، الجواب لا، ليكون التبعيض في الآية دلالة إعجازية بأنهم لا يقدرون على إخفاء التنزيل، ولابد له من يظهره، قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[(٣)].

(١)سورة النجم٣-٤.
(٢)سورة القصص٧.
(٣)سورة المدثر٣١.

لقد جعل الله عز وجل الأنبياء وسائط الوحي والتنزيل بينه وبين العباد فاخبرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولزوم التصديق به، لذا فمن إعجاز قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، أن منافع وبركات نبوته لا تنحصر بزمانها وما بعده فلها منافع عظيمة على الصالحين وأتباع الأنبياء من الأمم السابقة بتلقي البشارة بنبوته بالقبول، والإستعداد لإتباعه ونصرته.

وتوارثت الأجيال من المؤمنين وأبنائهم تلك البشارات بالرضا، ولكن فريقاً من ذراريهم قاموا باخفائها وسترها حباً لحطام الدنيا، فجاءت آية السياق لتؤكد أن الله عز وجل أنزل الكتاب بالحق.

ومن معاني الحق في المقام الثبوت قال ابن منظور(وأَحقَّ عليك القَضاء فحَقَّ أي أَثْبتَ فثبت والعرب تقول حَقَقْت عليه القضاء أَحُقُّه حَقّاً وأَحقَقْتُه أُحِقُّه إِحْقاقاً أي أوجبته)[2].

لتأكيد حقيقة وهي أن كتمان هؤلاء لشطر مما أنزل الله عز وجل لم يضر النبوة والمؤمنين لأن الله عز وجل نزّل القرآن وجعله بين دفتين وثبته واوجبه ومنع يد التحريف من الوصول إليه.

الثانية : من معاني تنزيل الله للكتاب بالحق هو حفظه وسلامته من التبديل والضياع فالذين يكتمون الآيات لا يستطيعون إخفائها لأن وجودها في الأرض لم ينحصر بهم.

---

(١)سورة الأنبياء١٠٧.

(٢)لسان العرب١٠/٥٢.

ولم تختص فرقة من الناس بأمر إذاعة وإظهار الآيات، وجاء في الكتاب أمر الله عز وجل لكل مسلم ومسلمة باداء الصلاة خمس مرات في اليوم، وتكون تلاوة آيات الكتاب فيها واجبة كيلا يضيع القرآن ولا يترك المسلمون تلاوته، وليسمعه الناس طوعاً وقهراً وإنطباقاً على نحو يومي متجدد وهو من عمومات قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١).

الثالثة : لله عز وجل ملك السموات والأرض ، وهو الذي انزل القرآن من السماء ليكون إماماً في الأرض، فلا يقدر الذين يشترون بالآيات ثمناً قليلاً أن يحولوا بينه وبين إمامته للناس لأن الله عز وجل أنزله بالحق وجعله سبيل الهداية والصلاح.

وقد ورد في معنى(الصراط المستقيم) انه القرآن ،ومن الخصائص التي يمتاز بها من بين الكتب المنزلة لغة البيان المطلق ، قال تعالى﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٢).

الرابعة : جاءت آية السياق بذم الذين إختلفوا في الكتاب، وهل كتمان الآيات من الإختلاف في الكتاب.

الجواب نعم، وهو مقدمة لهذا الإختلاف، لذا يتضمن الجمع بين الآيتين ذم المقدمة وذي المقدمة، ويدعو أهل الكتاب إلى إجتناب إخفاء الآيات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن هذا الإخفاء سبب في الإختلاف، وموضوع للإمتناع عن التصديق بالمعجزات.

---

(١)سورة آل عمران١١٠.

(٢)سورة النحل ٨٩.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾(١)، وفيها مسائل :

الأولى : تفيد آية السياق في مفهومها دعوة أهل الكتاب إلى عدم إخفاء الآيات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أنها تبين وتهدي إلى مصاديق البر، وما فيه إعلاء كلمة التوحيد، وإظهار معجزات النبوة، والتصديق بنبوة محمد التي جاءت بها الكتب السماوية السابقة.

الثانية : إذا كان البر لا يتعلق بالتوجه في الإستقبال إلى المشرق والمغرب، فمن باب الأولوية أن كتمان ما أنزل الله من الدلالات البينات ليس من البر، وهذا الكتمان ضد البر، وعداوة مع أهل الإيمان، ومحاولة لصد الناس عن مصاديق البر، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(٢).

لذا جاءت آية السياق لتكون حرباً على الذين يخفون ما أنزل الله ودعوة للناس لعدم الإصغاء للذين يكتمون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم تأت هذه الدعوة مجردة بل هي مقدمة ووسيلة لجذب الناس لمنطوق آية السياق وما فيها من التعدد والكثرة لمصاديق البر التي تدل عليها وتدعو إليها، وتمنع من التفريط بأي فرد منها.

---

(١)الآية ١٧٧.

(٢)سورة الأعراف ٤٥.

الثالثة : إذا كان الثمن القليل الذي يكسبه الذين يخفون الآيات والتنزيل يصبح ناراً في بطونهم، فان الإقرار بآيات النبوة، وفعل مصاديق البر يجعل الدنيا حديقة ناضرة، وداراً للغبطة والسعادة وأكل الطيبات.

الرابعة : أختتمت آية البحث بالوعيد للذين يكتمون البينات التي أنزلها الله عز وجل في الكتب السابقة وعلى لسان أنبيائه السابقين بقوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وفيه إشارة إلى دخولهم النار، قال تعالى ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

وأختتمت آية السياق بالوعد الكريم للمسلمين لفعلهم الصالحات، وتعاهدهم لأفراد البر في باب الإعتقاد والإمتثال لأوامر الله واتيان الواجبات إذ قالت ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وفيه إشارة إلى إتباع الناس لأهل الإيمان لأن الإنسان بفطرته يميل إلى الحق، ويحرص على إكتشاف الحقيقة التي تكون لها موضوعية في حياته، وهذه الفطرة من عمومات قوله تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾[2]، وأسرار خلافة الإنسان في الأرض.

فحينما إحتج الملائكة على جعل أدم خليفة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[3]، جاء الرد من الله عز وجل

(١)سورة الفرقان٣٧.
(٢)سورة السجدة ٩.
(٣)سورة البقرة٣٠.

بانه سبحانه يعلم ما لا يعلمه الملائكة فخروا له ساجدين لإقرارهم بما جعل الله عند الإنسان من الفطرة الحميدة والعقل للتمييز بيت الحق والباطل، ومن الباطل إخفاء البشارات، فجاءت آية السياق لتظهر مصاديق الحق، وتمنع الباطل وأهله من كتمانها وإخفائها.

لقد جعل الله عز وجل الإنسان رقيباً على نفسه ،قادراً على الإقتباس والإستنباط، تنفر نفسه من القبيح ومنه إخفاء البينات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أن هذا الإخفاء ذنب ومعصية .

أخرج ابن أبي حاتم وصححه عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإيمان فتلا ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ حتى فرغ منها، ثم سأله أيضاً فتلاها، ثم سأله فتلاها وقال: وإذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك[1].

الخامسة : جاءت الآية محل البحث بلغة الذم للذين يخفون آيات التنزيل ومعجزات النبوة،وجاءت الآية أعلاه بلغة الخطاب والإكرام للمسلمين.

السادسة : من مصاديق البر التخلص من كتمان الآيات، والتبرأ منه موضوعاً وحكماً.

السابعة : تعاهد المسلمين لآيات التنزيل، والعمل بمضامينها.

(١)الدر المنثور١/٣٤١.

الثامنة : بيان التباين والتضاد في العاقبة بين المسلمين والكفار، فكما أنه ليس من برزخ بين الإيمان والكفر، فكذا في الآخرة فليس هناك إلا الجنة للمطيعين، والنار للكافرين.

إعجاز الآية

تخبر الآية عن الأسباب الكامنة وراء إخفاء شطر من أهل الكتاب للآيات والبراهين وكيف أن الثمن الذي يتقاضون عرض قليل في ذاته ويكون وبالاً عليهم يوم القيامة جاء العقاب الأخروي على منهجهم في الدنيا بصيغة الأكل والكسب، ويمكن إعتبار هذه الآية من (آيات الإنذار والوعيد).

لقد أنزل الله عز وجل القرآن لتكون آيات الله ظاهرة للناس إلى يوم القيامة، لا تستطيع أمة أو أهل ملة أو دولة سترها وإخفاءها، ومع هذا تفضل الله عز وجل وذكر حال الذين يخفون آيات التنزيل، لأن الله أراد للقرآن أن يكون﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

وتحتمل الآية وجوهاً :

الأول : ذم إخفاء آيات التنزيل قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : المقصود قبح إخفاء صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحريفها وتبديلها بما يجعلها لا تنطبق على شخصه الكريم لصد الناس عنه.

---

(١)سورة النحل٨٩.

الثالـث : الإعـراض والصـدود عـن معجـزات الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم الـتي صـارت حـديث المنتـديات والقوافل، فأمتنع فريق من الكفار عن الحديث عنها.

الرابـع : الجـدال في آيـات القـرآن والتشـكيك في نزولهـا مـن الله عز وجل.

ولا تعـارض بـين هـذه الوجـوه، وكلـها مـن مصـاديق الآيـة الكريمة.

وعـن السـدي في الآيـة قـال: كتمـوا اسـم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، وأخـذوا عليـه طمعـاً قلـيلاً. وأخـرج ابـن جريـر عــن أبــي العاليــة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ قـال: أهـل الكتـاب كتمـوا مـا أنـزل الله علـيهم في كتـابهم من الحَق، والهدى، والإِسلام، وشأن محمد ونعته[1].

لقـد جـاءت آيـة البحـث بصـيغة الجمـع والمضـارع (يكتمـون) وفيه أمور:

الأول : الإخبـار عـن تجـدد هـذا الكتمـان والإخفـاء وأنـه لا ينتهـي عنـد نصـر المسـلمين في معـارك الإسـلام الأولى بـالمعجزة والمدد الملكوتي، قال تعالى﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[2].

الثـاني : لا يكـف أهـل الحسـد عـن إخفـاء وكتمـان الآيـات حتـى مـع رؤيـتهم دخـول النـاس الإسـلام عـن رضـا وإيمـان، قـال

(١)الدر المنثور١/٣٣٩.

(٢)سورة آل عمران١٢٣.

تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1].

الثالث : مواساة المسلمين بأن كتمان هؤلاء الآيات لن يضر الإسلام والمسلمين، ولا يمنع من بلوغ الرسالة الناس.

الرابع : في الآية حجة على الذين كفروا.

الخامس : دعوة الناس للإعراض عن الذين يخفون الآيات، وبعثهم للتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

السادس : جعل المسلمين في حال من اليقظة والحيطة من مكر الذين يخفون الآيات لأن هذا الإخفاء يحتمل وجوهاً:

الأول : إنه مطلوب بذاته، وليس له غاية إلا الثمن القليل الذي ذكرته الآية الكريمة.

الثاني : إنه حرب على الإسلام والنبوة.

الثالث : إنه مقدمة للتعدي على الإسلام، وفيه تحريض للكفار على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

الرابع : إرادة إرتداد شطر من المسلمين عن الإسلام بتكذيب آيات النبوة.

وبإستثناء الوجه الأول فان الوجوه الثلاثة الأخرى صحيحة، قال تعالى ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾[2]، ليكون إخفاء الآيات والبشارات التي جاءت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذا الود، ليكون من

(١)سورة الفتح ١-٢.

(٢)سورة البقرة١٠٩.

مفاهيم آية البحث تحذير المسلمين من الذين يكتمون آيات التنزيل والمقاصد من هذا الكتمان.

لقد أخبرت الآية عن أكل الذين يخفون الآيات النار، وهي تحرق الأبدان ولا يمكن للإنسان أن يجعل النار في جوفه، وصحيح أن الآية جاءت من باب المجاز والتغليظ وإرادة عذاب الآخرة والتذكير بحال الكفار يوم القيامة في نار جهنم، إلا أن مجاز القرآن يتصف بخصوصية وهي عدم إنقطاعه عن الحقيقة والواقع، فلابد من صلة وحصة له في ذات الحقيقة، ليكون من إعجاز الآية الإخبار عن إتصاف ما يأكل الذين يخفون الآيات المعجزات لغرض حطام الدنيا بأمور:

الأول : هذا الإخفاء مقدمة للإبتلاء بالأمراض.

الثاني : مصاحبة الأذى والألم للكسب الحرام الذي يأتي من إخفاء المعجزات.

الثالث : إنعدام اللذة والرغبة في الأكل والشرب عند الذين يخفون البينات.

الرابع : الآية إنذار باستحداث أمراض بدنية ونفسية عند هؤلاء، ودعوة للمسلمين والناس لرؤية مصاديق الآية وشواهد البلاء التي تظهر على الذين يخفون المعجزات مجتمعين ومتفرقين، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[1].

وفي الآية دعوة للناس للنفرة من الذين يأكلون النار، وهذه النفرة من بركات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على

(١)سورة الروم٤٢.

الناس ومنعهم من الإفتتان بالذين يجحدون بالمعجزات، فقد يكون هذا الكتمان والجحود سبباً لإعراض شطر من الناس عن القرآن وما فيه من الإعجاز فيحرم الناس من حقهم في إتباع الحق.

لتكون آية البحث تحذيراً للناس جميعاً منهم، ودعوة لهم للصدور عن القرآن والتدبر في معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(١).

وتحتمل الصلة بين الثمن القليل الذي يقبضون أزاء كتمان الآيات وبين ما يأكلون من النار وجوهاً:

الأول : التساوي فلا يكون أكل النار وما عاقبته النار إلا بخصوص كتمان الآيات لقاء ثمن بخس.

الثاني : إستحقاق أكل النار على ما هو أشد في الضلالة من كتمان التنزيل كتحريفه ومحاربة المؤمنين.

الثالث : أكل النار من أفراد عذاب الذين يخفون الآيات والبشارات كما تدل عليه الآية الكريمة بأن الله عز وجل لايكلمهم ولا يطهرهم وأن عذاباً أليماً في الآخرة ينتظرهم.

لقد ورد قوله تعالى في الذي يأكلون أموال اليتامى ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾(٢).

وجاءت آية البحث بحصر اكل الذين يكتمون الآيات بالنار لأنهم جعلوا ثمناً لهذا الكتمان والإخفاء فيأكلون الثمن فيكون

---

(١)سورة الأنبياء١٠٧ .

(٢)سورة النساء١٠.

نــارا، وكــذا بالنســبة للــذين يــأكلون أمــوال اليتــامى لأداة الحصر(انما).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفـواههم نـاراً فقيـل لـه: يارسـول الله مـن هـؤلاء فقـرأ الآيـة أعلاه)[1].

ومجئ الآية بلفظ الأكل له دلالات، فالأكل هو المضغ والإبتلاع فكيف يتجرع الظالمون إبتلاع النار، وفيه زجر عن إخفاء الآيات والبشارات بالحق وبارادة معنى النار في الآخرة، قال تعالى ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[2].

وفي قوله تعالى ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[3]، ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من سره أن يزحزح عن النار و يدخل الجنة فليأته منيته و هو يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يحب أن يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه[4].

وصحيح أن الآية أعلاه جاءت بخصوص أكل أموال اليتامى، والخشية من إبتلاء الأبناء والعقب بوقوع الظلم عليهم

---

(١)مجمع البيان ٢١/٣.
(٢)سورة الحج١٩-٢٠.
(٣)سورة النساء٩.
(٤)مجمع البيان٢٠/٣.

إلا أنها تتضمن الحث على قول الصواب والوصية بالحق وعدم الإجحاف بالورثة.

إن الله عز وجل يحفظ التنزيل،ويذب عنه ،ويفضح الذين يكتمونه، وينذرهم بعذاب أليم، فقد أنزل الله الكتب السماوية،وجعل الناس عاجزين عن إخفائها،وهو من الإعجاز في التنزيل وفضحه للذين يخفونه ليدل على حقيقة وهي خيبة هؤلاء وعدم حصول الكتمان واقعاً، قال تعالى ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١)،

ومن معاني الربوبية المطلقة لله عز وجل تعاهد التنزيل وحفظ النبوة،وقد تجلى بنزول القرآن على النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم،وخروج للمسلمين للناس كخير أمة،قال تعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢)،

ومن إعجاز الآية بيان قلة الثمن والمنافع الدنيوية التي ينالها أهل التحريف والكتمان،وتحتمل القلة في المقام وجوهاً :

<u>الأول :</u> أنها قليلة مقابل الثواب العظيم لبيان الآيات.

<u>الثاني :</u> هي قليلة عند أهل الإيمان.

<u>الثالث :</u> هي قليلة بذاتها وماهياتها في العرف.

<u>الرابع :</u> قليلة بلحاظ الثمن والمعصية التي يرتكبون بإخفاء الآيات.

<u>الخامس :</u> سرعة تلف هذا الثمن وإنعدام البركة فيه.

<u>السادس :</u> هذا الثمن سحت وحرام.

<u>السابع :</u> قليل لأنه يجلب الذم والتوبيخ والعار.

---

(١)سورةالبقرة١٦٥

(٢)سورةالحجر ٩

الثاني : قليل أزاء ما تركوه من الثمن الدنيوي والأخروي الذي يترشح عن إظهارالآيات وبيان المعجزات والبشارات التي جاءت بالنبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم في الكتب السماوية السابقة، ولا تعارض بين هذه الوجوه، وكلها من مصاديق الآية الكريمة، ومن أسرار الآية أنها تدل على علم الله عز وجل بما يخفي الكفار، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾[1].

وقد تفضل الله وأخبر النبي محمداً صلى الله عليه و آله وسلم والمسلمين بإخفاء فريق من أهل الكتاب للآيات، وعدم إنتفاعهم منها، وسوء عاقبته، وتتضمن الآية البشارة بدفع أذى أهل الكتمان لنعت الثمن الذي يقبضون بأنه قليل.

ومن إعجاز الآية أنها نعتت فعلهم بأنهم قصدوا شراء الثمن ،وأنهم جعلوا هذا الثمن القليل غاية لهم،ولم يلتفتوا لسوء فعلهم.

ويمكن تسمية الآية الكريمة آية (**يكتمون ما انزل الله**) ولم يرد هذا اللفظ في القرآن إلا في هذه الآية الكريمة.

الآية سلاح

تبين الآية العقاب الشديد الذي ينتظر الكفار والمعاندين الذين يخفون عن عمد البشارات بالنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذا الوعيد والإخبار سكن وتخفيف عن المسلمين كما أنها تجعل الكفار منشغلين بأنفسهم.

لقد إنتصر الإسلام والمسلمون بالقرآن، فهو السلاح السماوي الذي يتضمن الإخبار عن أمور :

الأول : أعداء النبوة والإسلام.

---

(١)سورةال عمران١٦٧

الثاني : موضوع العداوة.

الثالـث : كيفيـة الإحـتراز منـه، قـال تعـالى ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾(١).

وأثـر السـيف والسـلاح شخصـي وقضـية فرديـة ومحـدودة في موضعها وزمانهـا، وقـد لاينتفـع مـن السيف ونحوه مـن السـلاح إلا شخص واحد عند الحاجة.

أمـا آيـة البحـث فانهـا سـلاح عقائـدي عـام بيـد المسـلمين، يتصف بالبركة بحيث يستعمله كل مسلم ومسلمة في زمان واحد ومواضع متعددة ومتباعدة.

وليس من حصر لصيغ وكيفية هذا الإستعمال، ومنها:

الأول : تـلاوة المسـلم لهـذه الآيـة في الصـلاة وخارجهـا قـال تعـالى ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾(٢).

الثـاني : الإحتجـاج علـى أهـل الكتـاب بمـا ورد في الكتـب السـماوية السـابقة مـن البشـارة بـالنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم فـان قلـت إن هـؤلاء كتمـوا الآيـات فكيـف يكـون الإحتجـاج بها عليهم.

الجواب من وجوه:

الأول : إن المعجـزات والآيـات أكثـر وأعظـم مـن أن يسـتطيع فريق من الناس إخفاءها.

(١)سورة المائدة ٤٢.

(٢)سورة الأسراء ٤٥.

الثاني : إذا كان جماعة من أهل الكتاب يكتمون الآيات فان غيرهم من علماء بني إسرائيل أظهروا الآيات، وأعلنوا البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، مثل عبدالله بن سلام وأخيه.

الثالث : من خصائص المعجزة أنها حجة قاهرة تجعل الناس عاجزين عن محاربتها، فيميل أهل الحسد وأرباب المنافع الدنيوية العاجلة إلى كتمانها وإخفائها، ومحاولة التستر والتعتيم عليها.

فجاءت هذه الآية على وجوه:

الأول : بقاء الآية عونا للناس جميعاً في فضح إخفاء كنوز التنزيل.

الثاني : إنها سلاح بيد المسلمين.

الثالث : تحذير أهل الحسد.

الرابع : الزجر عن كتمان الآيات لقاء ثمن قليل وما فيه من العناد والجحود، قال تعالى ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾[1].

ومن إعجاز هذه الآية أنها تفضح وتذم الذين يخفون البينات من وجوه:

الأول : مجئ الآية بصيغة الجملة الخبرية التي تفيد التصديق والتقدير لكتمانهم الآيات.

ولم يستطع الذين تذمهم الآية إنكار نعتهم بأنهم أخفوا الآيات.

---

(١)سورة التوبة٩.

الثاني : بيان عوض وبدل كتمانهم الآيات والبينات وهو ثمن قليل من حطام الدنيا، والأكلة والهداية الراتبة التي لهم على أتباعهم.

الثالث : تسمية الثمن الذي يتقاضونه على كتمان الآيات بأنه قليل وفيه زيادة في ذمهم وأنهم أبدلوا خير الدنيا والأخرة بنزر يسير من متاع الدنيا، وقيل: إنما قال: قليل لأنه حرام[1].

الرابع : ترتب الضرر الشخصي الدائم والمتصل على كتمان الآيات.

الخامس : الوعيد المتعدد للذين يكتمون الآيات بما يلاقونه يوم القيامة من العذاب الدائم.

وهذه الآية نصر متجدد للمسلمين في ميادين الجدال والمنتديات والأسواق وهي سلاح ذوحدين، إذ تزيد الآية المسلمين إيماناً وتكون واقية لهم من أذى كتمان الآيات وأهله.

لقد أنعم الله عز وجل على الناس ببعثة النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم ونزول القرآن كتاباً خالداً، ولأجل أن يكون أهل الكتاب ناصرين له للتصديق المتبادل بين التوراة والأنجيل وبين القرآن .

فجاءت هذه الآية لتحذير المسلمين، وبعث الصبر في نفوسهم،وعدم القنوط بسبب خذلان الذين يخفون الآيات،وهو من عمومات قوله تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ)[2]، فيقابل المسلمون أرباب الجحود والإنكار بالتقوى والصلاح وشواهد التصديق بالتنزيل.

---

(١)مجمع البيان١/٢٥٦.

(٢)سورة البقرة ٤٥

وتحث الآية المسلمين على تعاهد آيات التنزيل والتدبر في دلالاتها ، وحفظ معجزات وسنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) [١]

والأصل أن يكون في الثمن أطراف هي :

الأول : البائع الذي يقبض الثمن

الثاني : الثمن والبدل العوض المدفوع نقداً أو عرضاً أو آجلاً

الثالث : المشتري الذي يدفع الثمن ويقبل المثمن.

الرابع : المثمن والعين المباعة.

ترى من الذي يدفع الثمن لأهل التحريف والكتمان على ما يقومون به، الجواب : ليس في البين عقد للبيع أو الشراء إلا أن الثمن أطلق في المقام وصفاً مجازياً لما يقبضون من الأكلة والمنافع التي يأخذونها من الأتباع والأنصار إلى جانب مفاهيم الرياسة والجاه التي يتنعمون بها.

وتجعل الآية المسلمين يرتقون في سلم المعارف الإلهية بمعرفة أسباب الصدود عن بعثة النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم ،وعدم الإفتتان بأهل الشك والريب،قال تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) [٢]ليكون عند المسلمين سلاح في أمور :

الأول : الإحتجاج والجدال ودفع الشبهات.

الثاني : دعوة الناس إلى الإسلام بالحجة والبرهان، قال تعالى(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [٣]

---

(١)سورة المائدة ٤٤

(٢)سورة الشورى٢٤

(٣)سورة النحل ١٢٥

الثالث : فضح وإزاحة أسباب الجهالة والضرر.

أسباب النزول

قيل نزلت الآية في جماعة من علماء بني اسرائيل وهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وكعب بن أسلم، وكانوا يتلقون الهدايا الكثيرة من أتباعهم، ويتطلعون الى بعثة خاتم النبيين ويرجون أنه منهم، فلما بعث من غيرهم خشوا زوال النعم والجاه ومميزات الرياسة فقاموا بتحريف صفاته المذكورة في التوراة والإنجيل فانزل الله عز وجل الآية).

وهذا الموضوع متكرر في الجملة كسبب نزول في أكثر من آية، والظاهر أن أسباب نزول الآية أعم، وموضوعها وأحكامها جارية حتى يوم القيامة.

وأخرج الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس قال : سألت الملوك اليهود قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ما الذي يجدون في التوراة؟ قالوا : إنا نجد في التوراة أن الله يبعث نبياً من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الزنا ، والخمر، والملاهي، وسفك الدماء، فلما بعث الله محمداً ونزل المدينة قالت الملوك لليهود: هذا الذي تجدون في كتابكم؟ فقالت: طمعاً في أموال الملوك: ليس هذا بذاك النبي. فأعطاهم الملوك الأموال، فأنزل الله هذه الآية [(١)].

وأخرج الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس قريبا من هذا المعنى.

---

(١) أنظر الدر المنثور ٣٣٩/١.

مفهوم الاية

تعتبر الآية جهاداً ضد اقطاب الكفر والضلالة، فهي بمفردها سيف إنذار موجه صوب نفوسهم وإعلان سماوي يفضح سوء فعلهم وتعديهم، وهذا التعدي ظلم مركب وعلى شعب :

الأولى : إنذار الناس جميعاً لما في كتمان الحقائق والبشارات من التضليل والغرر والجهالة وبخس الناس حقهم ، قال تعالى ﴿وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ (١)، وفي إستقامة وصلاح ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين والمسلمات وتعاهدهم للإيمان شاهد على تفضيل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء السابقين وفي التنزيل ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(٢).

وفي الآية أعلاه بشارة ثبات أهل بيت النبوة وذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الإسلام ومودة المسلمين جميعاً لهم.

الثانية : الكتب المنزلة لأنها نزلت للناس جميعاً نوراً سماوياً يضيء دروب السالكين.

الثالثة : الأنبياء في جهادهم وتبليغهم خصوصاً وان أكثر الذين يقولون بالكتمان من اتباعهم وذرياتهم، بتقريب ان آيات التنزيل رحمة للناس جميعاً ، وهم فيه شرع سواء.

الرابعة : الإسلام والأديان السماوية السابقة له لما في الكتمان من التحريف والتغيير والتبديل ومحاولات إظهار وجود تناقض

---

(١)سورة الاعراف٨٥ .

(٢)سورة الشورى٢٣.

وهمي بينها والتمويه والتعتيم على حقيقة تكوينية عقائدية ثابتة وهي وحدة السنخية بين الملل والأديان السماوية وأن الإسلام المتمم لها والخاتم.

الخامسة : كما يقع ظلم الكاتمين على أنفسهم لأنهم يحجبون عنها رؤية النور ويمتنعون عن الفرائض والطاعات ويصمون آذانهم عن الآيات والبراهين التي تترى مطابقة لما يخفون، وتؤكد لهم واحدة بعد الأخرى ان كتمان الآيات لن يؤدي إلى إخفائها ،ولن يكون مانعاً من ظهورها وإنجلاء أمرها بل بالعكس فان هذا الكتمان سبب في تثبيتها الى يوم القيامة لأنه يقف معارضاً ومعانداً للآيات فيدفع الناس عامة وأهل العلم إلى التحقيق والإستقصاء لتنكشف لهم حقيقة الكتمان وأسبابه وضرره خصوصاً وأن الله عز وجل كسى القرآن من نوره وجعل ماهيته الظهور، ويبعث في النفس الضياء ويهديها الى سبل النجاة كما يهدي ضوء الشمس الناس في دروب الحياة قال الشاعر :

كالشمس يمنعك اجتلاء وجهها

فاذا إكتست برقيق غيم أمكنا

السادسة : لن يسبب الكتمان القصور والضعف او الفتور والنقص عند أهل التوحيد في الأرض، لأن أرباب الكتمان ضعفاء قاصرون مشغولون بأنفسهم يتنامى الداء في ابدانهم لأنهم لا يأكلون الا النار، واهية أسلحتهم منكشف أمرهم.

وتبين الآية الضرر العام لكتمان الآيات والبشارات باجتماع العقاب الدنيوي والأخروي، وتدل على علة خروج الكفار من عمومات قوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[1] فبالإضافة إلى

(١)سورة طه ٨١.

عدم إيمانهم فانهم يحاربون الإسلام بفعل وجودي وهو الكتمان ونحوه من وجوه التعدي والإضرار.

وتمنع الآية الكفار والمنافقين من التمادي في الأمل بنيل رحمة وعفو الله تعالى يوم القيامة لأن الوعيد في الآية جاء على نحو الحقيقة وذكر علته الإختيارية وهي اخفاء الآيات.

ويدل حرمان الكفار من كلام الله لهم يوم القيامة في مفهومه على رحمة الله عز وجل بالمؤمنين يؤمئذ من وجوه :

الأول : تكليم الله عز وجل للمؤمنين يوم القيامة من عمومات قوله تعالى ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

الثاني : حجب تحية الملائكة للكفار، تلك التحية التي يفوز بها المؤمنون والمقرونة بأسباب السكينة والبشارة بدخول الجنة، وفي التنزيل ﴿يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

الثالث : بيان التباين والتضاد بين المؤمنين والكافرين في مواطن يوم القيامة.

الآية لطف

لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً ذا شريعة تخاطب المكلفين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3].

---

(١)سورة البقرة ٦٢.

(٢)سورة النحل ٣٢.

(٣)سورة سبأ٢٨.

ومن الإعجاز في التنزيل والنبوة تعدد مصاديق اللفظ منطوقاً ومفهوماً.

وفي فلسفة النبوة أن البشارة التي يأتي بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين هي إنذار للكفار في مفهومها، وكل إنذار للكفار هو بشارة للمسلمين في مفهومه ودلالاته، وآية البحث من آيات الإنذار والتخويف.

وهي بشارة للمسلمين لأنهم لم ولن يخفوا البينات والدلالات الواضحات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحقيقة يوم القيامة والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب.

ومن بركات نبوته تمام أحكام الشريعة وحصول تمام التبليغ، وتوارث المسلمين للعمل بسنن الإسلام،وإنتفاء النقص في الدين ، قال تعالى﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[1].

ومن كمال الدين إمتناع أحكام الإسلام على الإخفاء والكتمان، ومن تمام النعمة أن المسلمين في حرز وأمن من كتمان الآيات فهم قد صدّقوا وآمنوا بها، ويجاهدون في تبليغها للناس.

قال القرطبي : (وهذه الآية وإن كانت في الأخبار فإنها تتناول من المسلمين من كتم الحق مختارا لذلك بسبب دنيا يصيبها وقد تقدم هذا المعنى[2].

---

(١)سورة المائدة٣.

(٢)تفسير القرطبي٢/٢٣٠.

ولكن هذا المعنى لا دليل عليه، وهو خلاف منطوق ومفهوم الآية الكريمة، التي هي لطف بالمسلمين، ورحمة خصهم الله بها إلى يوم القيامة.

لقد جاءت الآية في ذم الذين يخفون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمدار على عموم اللفظ وليس سبب النزول، فيكون موضوع عموم اللفظ هو إخفاء وكتمان الآيات ، وإتخاذ هذا الكتمان مادة للجدال ومحاربة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الذين جاء ثناء الله عليهم في القرآن ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، واقية من كتمان الآيات.

ترى ماذا يخفي الذين تذمهم الآية، فيه وجوه :

الأول : ما ورد في الكتب السماوية السابقة من البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : صفات ونعت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية السابقة.

الثالث : دعوة الأنبياء السابقين لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال: لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني[2].

الرابع : غلبة ونصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أعدائه.

الخامس : سوء عاقبة الذي يجحد بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويحاربه.

---

(١)سورة آل عمران١١٠.

(٢)الدر المنثور٢/٣٨٢.

السادس : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يدل على صدق نبوته، وأنه نبي آخر الزمان.

وهذه الآية مدرسة في علم الكلام لبعث السكينة في نفوس المسلمين، ومنع حدوث الفتن والإقتتال بسبب كتمان الآيات بعد كشفه وفضح أهله، وما في هذا الكشف من صدّ الناس عن أهل الكتمان وإخفاء التنزيل، ووقايتهم من الإفتتان بهم، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾(١).

لتكون هذه الآية لطفاً من وجوه :

الأول : انها لطف بأهل الكتاب بتحذيرهم من إخفاء الآيات والبشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : الآية لطف بالناس جميعاً بدعوتهم لعدم الإصغاء للذين يخفون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاءت هذه الآية لتتعارض مع إخفاء فريق من الناس البشارات بنبوته.

وهذا التعارض على جهات:

الأولى : غلبة هذه الآية القرآنية لأنها حجة سماوية.

الثانية : تقدم تأثير الذين يخفون الآيات على الناس.

الثالثة : إفادة التعادل وعدم وجود رجحان في التأثير.

والصحيح هو الأول من وجوه:

الأول : الآية سلاح سماوي.

الثاني : الآية نعمة أنزلها الله عز وجل للناس لبطلان أثر إخفاء الآيات.

---

(١)سورة الأعراف٤٥.

الثالث : مجئ الآية بعد التالية بالإخبار، عن نزول القرآن وأنه حق وصدق من عند الله ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[1].

إن تجلي هذه الآية وثبوتها وسلامتها من التحريف إلى يوم القيامة باعتبار سلامة الكل وهو القرآن شاهد على غلبة الآية القرآنية، وعدم بقاء أثر وإعتبار يذكر لكتمان الآيات، بالإضافة إلى حقيقة وهي إذا كان الذين يخفون الآيات يفتقرون إلى الناصر فان هذه الآية لها ناصر ومدد من الله عز وجل بالمعجزات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتلك آية إعجازية في القرآن، وفيها دعوة الناس إلى التدبر في ذات المعجزات والدلالات التي جاء بها، ليسلموا بصدق نبوته ولا يلتفتوا إلا إفتراء ومكر الذين جحدوا بالآيات الذين لايحصدون إلى الخيبة والإضرار بانفسهم في النشأتين، قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ﴾[2].

الثالث : الآية لطف بالذين يخفون الآيات أنفسهم، إذ أنها تبين حالهم، والدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تقصد أشخاصاً باعيانهم، بل جاءت لذم فعل وبيان قبحه ، كي ينفر منه العقلاء، ويهربوا منه ويكرهوا الإقامة فيه وإن كانوا منقسمين فيه.

وتلك آية في فلسفة الإنذار والوعيد القرآني ، ولزوم إحتراز الناس جميعاً من الظلم والمعصية التي تؤدي بهم إلى العذاب الأليم في الآخرة.

---

(١)سورة الشورى١٧.

(٢)سورة البقرة١٤٠.

ومن مفاهيم الآية أنها باب للتوبة والتدارك، ومعرفة قبح إخفاء وكتمان الآيات، وإنعدام الفائدة والنفع من هذا الكتمان، قال تعالى﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾(١).

الرابع :الآية لطف بالمسلمين من وجوه :

الأول : في الآية فضح لأعداء النبوة.

الثاني : الآية عون للمسلمين للإرتقاء في سلم المعارف الإلهية.

الثالث : في الآية تنمية لملكة الجدال عند المسلمين.

وقد يفاجئ المسلم باخفاء المعجزات ويعجز عن الرد فجاءت هذه الآية للإخبار بوجود بشارات سماوية لنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر لصفاته في التوراة والإنجيل، فيدعو إلى إظهارها وبيانها لتكون تعضيداً للمعجزات العقلية والنقلية التي تجلت على يديه الكريمتين.

والآية مناسبة لسعي المسلمين بين الناس في الدعوة إلى الله، وإثبات حقيقة وهي وحدة موضوع التنزيل وأن أوله بشارة بآخره، وآخره تصديق لأوله، وفي هذه الوحدة والإتصال بين الكتب السماوية مسائل مباركة منها:

الأولى : التداخل والإتحاد في التنزيل نعمة وحجة من عند الله بالناس.

الثانية : فيه ضياء متجدد ينير دروب الهداية إلى الناس جميعاً.

---

(١)سورة فاطر٣٩.

الثالثة : إنه سبيل لوجود أمة مؤمنة في كل زمان لا تفارق عبادة الله والتصديق بالتنزيل، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الرابعة : إنه من الشواهد على وراثة المسلمين لكنوز التنزيل وتركة النبوة.

في الآية رحمة وفضل من الله عز وجل، وفيها وجوه :

الأول : الآية لطف بالمسلمين ،وفيه مسائل :

الأولى : تكشف الآية ما أصاب الكتب السماوية السابقة من الإخفاء والكتمان .

الثانية : دعوة المسلمين للإحتراز والحيطة وحفظ آيات القرآن على نحو الوجوب اليومي المتكرر والمتعدد أما الوجوب فلأن قراءة آيات القرآن في الصلاة أمر واجب على كل مسلم ومسلمة ،وأما اليومي فلأن الصلاة واجب يومي ،فلابد لكل مكلف نطق الشهادتين يومياً من الصلاة، وأما المتكرر فإن الصلاة تؤدى من قبل المكلف خمس مرات يومياً، وأما المتعدد فإن الصلاة واجب عيني على كل مسلم ومسلمة.

ليلتقي المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بتلاوة الآيات كل يوم، فلا تمر دقيقة على الأرض إلا وفيها عدد من المسلمين والمسلمات يتلون آيات القرآن ويقفون بين يدي الله عز وجل خاشعين خاضعين، وهو من خصائص ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2] إذ أن إنتشار المسلمين في أصقاع الأرض من مصاديق خروجهم للناس

---

(١)سورة الذاريات ٥٦.

(٢)سورة آل عمران ١١٠

وتذكيرهم بالله عز وجل،وكشفهم عن الكتمان الذي وقع للكتب السماوية السابقة .

الثاني : الآية لطف بأهل الكتاب : لقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه و آله وسلم للناس جميعاً ، قال تعالى(وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً) (١)

ومن مصاديق رسالة النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم مجيء هذه الآية بالإخبار عن كتمان آيات الكتب السماوية السابقة، وهو لطف بأهل الكتاب ، فالذين يكتمون الآيات فريق من الناس ، فجاءت الآية بالتحذير من وجوه :

الأول : منع المسلمين من الإصغاء لأهل الكتمان.

الثاني : تحذير عموم أهل الكتاب من الإصغاء لأرباب الكتمان.

الثالث : إنذار الذين يتولون كتمان الآيات ، وإخفاء البشارات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم.

الرابع : نفي الجهالة والضرر عن الناس بالتنبيه إلى وجود كتمان وإخفاء للآيات.

الخامس : ندب وبعث الذين يخفون الآيات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى إظهارها وإخبار الناس عنها.

السادس : دعوة الناس للتوجه إلى المعجزات الحاضرة التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم سواء العقلية منها أو الحسية.

وهذه الآية موضوع للإحتجاج على أهل الكتاب وبرزخ دون الشك والريب بآيات القرآن فمن إعجازها الذاتي أنها تثبت

---

(١)سورة النساء ٧٩

بمضامينها القدسية صدق نزولها من عند الله.ومن إعجازها الغيري أنها تفضح كتمان آيات من الكتب السماوية السابقة، وتبين ماهية الآيات التي تم كتمانها وتحريفها، وهذا البيان من أسباب جعل الثمن الذي كسبه أهل الكتمان قليلاً بقوله تعالى(وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً)[1].

الثالث : الآية لطف بالناس جميعاً،ولقد جعل الله عز وجل العقل رسولاً باطنياً عند الإنسان ، يميز به بين الحق والباطل، فجاءت هذه الآية تخاطب الناس بما هم عقلاء وتخبرهم بأن هناك كتباً أنزلها الله عز وجل بواسطة سفراء كرام ،إتخذهم من بين الناس أنفسهم، وفي التنزيل في خطاب لسيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه و آله وسلم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[2].

ومن مصاديق اللطف بالناس في الآية أنها تدعوهم إلى التدبر بمعجزات النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم، وترك الوسائط ، لأن البشارات بنبوة محمد صلى الله عليه و آله وسلم في الكتب السابقة قد جرى إخفاؤها بثمن بخس قليل.

إفاضات الآية

لقد جعل الله عز وجل التنزيل حبلاً محدوداً بين السماء والأرض ورحمة نازلة على نحو دائم من الله، ومفزعاً يلجأ إليه المؤمنون لإمتلاء النفوس بالسكينة، وواقية من الظالمين الذين يصرون على الجحود بآيات النبوة.

---

(١)سورة البقرة ١٧٤

(٢)سورة الكهف ١١٠

إن قولـه تعـالى﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ تأكيـد للتنزيـل، وبعـث للشـوق عنـد النـاس جميعـاً لمعرفـة أحكـام الكتـاب، وإنكـار إخفـاء الآيـات ظلـم للـذات والغـير ، إذ أنهـا مـن الكلـي الطبيعـي الـذي يكـون النـاس فيـه شـرعاً سـواء الأب والابـن والـزوج والزوجـة والسـيد والعبـد، والغـني والفقـير، وإخفاؤهـا محاولـة للإضـرار بهـم جميعـاً وحجـب لنـور مـن أنـوار الهدايـة، فتفضـل الله عـز وجـل بهـذه الآيـة لإبطـال سـعي أهـل الجحـود والإخفـاء وإرشـاد المسـلمين والنـاس إلى الآيـات، مـع بيـان قلـة ثمـن الإخفـاء، وهـو مـع قلتـه ضـرر محـض في ذاتـه وأثـره إذ انـه نـار تدخل البطون.

ومـن الإعجـاز في الآيـة أن صـيرورة مـا يـأكلون نـاراً إنمـا هـو خـاص بالـذين يكتمـون الآيـات وحقـائق التنزيـل، بـدليل التقييـد بالإضافة في قوله تعالى﴿فِي بُطُونِهِمْ﴾ .

فـلا يشـمل الحكـم كـل مـن يأكـل مـن هـذا الـثمن عرضـاً وجهـلاً كالعيـال والمستضـعفين والضـيف الـذين لا يعلمـون كنـه الأمـر ، وسـر الكتمـان، نعـم هـذا الآيـة إنـذار وتحـذير للجميـع مـن الـذين يخفـون الآيـات ويبيعـون أسـرار التنزيـل الـتي عنـدهم بـثمن قليل.

بينمـا جـاءت آيـة حرمـة الربـا في النهـي عـن أكلـه مطلقـاً ، قـال تعـالى﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا﴾[1]، لمـا فيـه مـن تنزيـه المسـلمين والمسـلمات مـن أكـل الفائـدة الزائـدة علـى القـرض، روي عـن

---

(١)سورة آل عمران١٣٠.

علي عليه السلام أنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في الربا خمسة : آكله و موكله و شاهديه و كاتبه [(١)].

وتتجلى القلة بقوله تعالى (ويشترون به ثمناً قليلا) من وجوه:

الأول : التباين بين منافع إظهار الآيات وأضرار كتمانها.

الثاني : المطعم والمشرب قليل ذاتاً وأثراً لأنه متاع في الدنيا، وحياة الإنسان فيها مدة وجيزة، قال تعالى ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَى﴾[(٢)].

الثالث : إنعدام البركة في الأجر والبدل الذي يأخذه أهل الكتمان من الأتباع.

الرابع : تأكيد الغبن والإضرار بالنفس بسبب كتمان الآيات.

الخامس : بيان حقيقة وهي أي ثمن يتم قبضه لإخفاء الآيات هو ثمن قليل زهيد.

إن إختيار التفريط بالآيات لقاء ثمن قليل يبعث الحسرة في النفس، وجاءت هذه الآية لجعل الذين يخفون الآيات والمعجزات في حال من الندامة لما يصرون عليه من الإقامة على ستر وإخفاء البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الندامة مقدمة للتوبة.

ومن عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[(٣)]، رؤية الكافر الناس يدخلون في الإسلام عن بصيرة بحيث لم يعد

(١)مجمع البيان١٨٤/٢.

(٢)سورة النساء ٧٧.

(٣)سورة الأنبياء ١٠٧.

إخفـاء الآيـات والبشـارات برزخـاً دون هـدايتهم، فتحدثـه نفسـه بالتوبـة والإنابـة وإظهـار مـا أنـزل الله عـز وجـل، وقـد دخـل عـدد مـن علمـاء بـني إسـرائيل الإسـلام فصـاروا حجـة وعونـاً للتصـديق بمضـامين هـذه الآيـة الشـريفة، وأنهـا نازلـة مـن عنـد الله، قـال تعـالى ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾(١).

وتـبين هـذه الآيـة نعمـة الله عـز وجـل علـى المسـلمين والنـاس بنـزول القـرآن، والعنايـة الإلهيـة بتعاهـده وحفظـه، ولـيس مـن حصـر لأسـباب وكيفيـة حفـظ الله عـز وجـل للقـرآن وأحكامـه هـو الواسـع الكـريم،ولا تستعصي عليه مسألة،وفي التنزيل (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ) (٢).

وهـذه الآيـة الكريمـة أي آيـة البحـث مـن مصـاديق حفـظ القـرآن بفضـح الـذي يخفـون البشـارات بـالنبي محمـد صـلى الله عليـه و آلـه وسـلم،ويحرفون الكتـب السـماوية السـابقة ،وتلـك آيـة إعجازيـة في الإرادة الكونية.

ومـن فضـل الله علـى المسـلمين بـأن يكـون كتـابهم سـالماً مـن التحريـف ، وبـه يكشـف التبـديل والتغـيير الـذي طـرأ علـى الكتـب السـابقة، وفيـه توكيـد لحقيقـة وهـي أن أربـاب هـذا التحريـف لم يضـروا إلا أنفسـهم، وأن النـاس يـدخلون الإسلام،ويسـتقبلون آيـات التنزيـل بـالتلاوة والتـدبر وتجعـل الآيـة للـثمن مراتـب وأنـه مـن المتضـادات فمنـه ما يكون خيراً، ومنه ما يكون شراً.

(١)سورة الأنعام ١٣٠.
(٢)سورة المدثر٣١

وتجعل النفوس تميل الى الأول ،وتنفر من الثاني، والثمن إنما مرآة وإنعكاس للمثمن، وجاءت الآية ببيان القبح الذاتي لكتمان الآيات ،وكيف أنه فعل مذموم لم يجن منه أصحابه إلا الخزي والضرر في النشأتين.

وجاءت الآية لبيان قلة ثمنه وبعث الأسى والحزن في نفوسهم ولمنعهم من إيذاء النبي محمد صلى الله عليه و آله وسلم والمسلمبن،فمن خصائص ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] أن الله عز وجل وجل يكفيها شر أعدائها،ويبعث الحزن والأسى في نفوسهم.

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية بذكر الذين يخفون الآيات البينات التي أنزلها الله عز وجل لهداية الناس لوظائفهم العبادية، وعمارة الأرض بذكره تعالى.

لقد أراد الله عز وجل أن يكون التنزيل حجته في الأرض، وإماماً يقود الناس في مسالك الرشاد، وبروخاً دون الغواية والضلالة، فغلبت النفس الشهوية والغضبية على جوارح فريق من الناس فقاموا بكتمان تلك الآيات طمعاً في ثمن بخس لقاء هذا الكتمان، يظنونه متاعاً وهو ضرر محض.

وذكرت الآية فعلين مذمومين هما :

الأول : كتمان التنزيل.

الثاني : شراء ثمن قليل بهذا الكتمان.

وتلك آية في إعجاز القرآن، فلو أنهم إكتفوا بكتمان التنزيل، وإنزوا في بيوتهم، وتركوا الناس وشأنهم يتفحصون ويتدبرون في شواهد التنزيل، ومعجزات النبي محمد صلى الله

---

(١)سورة آل عمران ١١٠

عليه وآله وسلم لمكان أهون عليهم وعلى الناس، ولكنهم سعوا إلى فعل قبيح آخر مصاحب لكتمان التنزيل وهو شراء الثمن القليل، وهذا الشراء مركب من شعبتين :

الأول : دفع الأمانة وديعة التنزيل التي تركها عندهم ميراث الأنبياء وأتباعهم عوضاً لثمن قليل، قال تعالى ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1]، (وشرى الشيء : باعه)[2]، والشراء من الأضداد وجاء في الآية بمعنى الشراء وطلب الثمن القليل والمتاع، وكتمان التنزيل هو الثمن.

الثاني : ظهور الرغبة عند أهل الكتمان بشراء متاع قليل وجعل كتمان الآيات وإنكار البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثمناً له.

وهل من فرق بين الشراء في هذه الآية(ويشترون به ثمناً قليلاً) وبين الشراء في قصة يوسف عليه السلام ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[3]، الجواب نعم، فالسيّارة إبتغوا يوسف وجعلوه مثمناً ودفعوا لهم دراهم قليلة في إشارة إلى الزهد فيه مع مقام النبوة التي لا يعلمون بها.

أما الذي يكتمون التنزيل فقد دفعوا ثمناً عظيماً لا يعادله ملك الدنيا، إذ أنهم جعلوا هذا الكتمان، وإنكار البشارات ثمناً لما إشتروه ورغبوا فيه وهو الثمن القليل، وعلى فرض أن الذين شروا يوسف هم أخوته وإرادة معنى البيع فأيضاً يختلف المعنى

---

(١)سورة مريم ٥٩.

(٢)لسان العرب ٤٢٧/١٤.

(٣)سورة يوسف ٢٠.

على نحو جهتي لأنهم أرادوا بيع يوسف، والتخلص منها ورغبوا عنه أما الذين يكتمون الآيات فإنهم أرادوا شراء الثمن القليل ورغبوا فيه.

فصحيح أن الآية ذكرت لفظ(ثمناً قليلاً) ولكنه هنا ليس ثمنا قبضوه لمبيع ومثمن دفعه الذين يكتمون الآيات، بل إن المثمن هو الثمن القليل الذي قصدوه وسعوا إليه وفيه نكتة عقائدية هي أن قوله تعالى(ثمناً قليلاً) ليس مالاً فقط بل يتضمن الجاه والرياسة والإمامة، وحفظ المقامات الإجتماعية والشأن الرفيع وإنقياد الأتباع والهدايا التي يدفعونها على نحو راتب ومتجدد فأخبرت الآية عن أكل الذين يكتمون الآيات النار، وعما ينتظرهم من العذاب الأليم في الآخرة، ليس على المال وحده بل على الجاه الزائف والرياسة بالباطل التي هي ثمن قليل ومثمن جعلوا بدله وعوضه وثمنه كتمان التنزيل وتحريف البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وجاءت الآية التالية لبيان مصداق لهذا الشراء بمعناه الأعم وأنه لا ينحصر بالمال بقوله تعالى﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾[1]، بلحاظ أن ما أنزل الله هو الهدى والرشاد.

لقد سعوا إلى الثمن القليل بما لا يصلح أن يكون ثمناً وعوضاً لأمر من أمور الدنيا وهو وديعة التنزيل، التي خصهم الله عز وجل بها، وأكرمهم بجعلها أمانة عندهم، ولا يؤتمن الإنسان على أمر إلا لثقة فيه، وخصال حميدة يتصف بها، والأمانة من

(١)سورة البقرة ١٥.

الله نعمة وفضل، قال تعالى ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[1].

والتنزيل تفضيل وإكرام، ويترتب عليه وجوب التبليغ والنقل إلى الغير ومنه الوارث بالمعنى الأعم أي ليس وارث التركة والمال من مراتب الإرث الثلاث، بل للتنزيل والعلم من الأجيال الذين يتلقون التنزيل كتركة للنبوة، وأمانة السماء في الأرض، وقد أثنى الله عز وجل على الأنبياء وأتباعهم الذين يقومون بتبليغ الرسالات، قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾[2]، وقد تقدم في باب الإعراب أن الواو في(ويكلمهم) للعطف والإستئناف من غير تعارض بينهما.

والتقسيم الذي أعتمد في صناعة النحو لحرف الواو إستقرائي وليس قانوناً ثابتاً، فقد جاءت الآية للمجاز والحقيقة بوصف عوض كتمان الآيات بأنه نار في قبضه وأكله، والأكل في المقام مطلق ولا يختص بإدخال الطعام في الجوف، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾[3]، ليكون زمان قوله تعالى ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ على وجهين:

<u>الأول :</u> في الحياة الدنيا وهو يقومون بإخفاء الآيات وتحريف البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عوضاً وبدلاً لما

---

(١)سورة البقرة ٤٧.

(٢)سورة الأحزاب ٣٩.

(٣)أنظر الأجزاء٨٠-٨١-٨٢-٨٣من تفسيرنا التي جاءت خاصة بتفسير هذه الآية الكريمة.

يطلبون من الثمن القليل، قال تعالى في ذم الذين يستحوذون على أموال اليتامى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[1].

الثاني : في الآخرة عندما يدخلون النار، والمتعارف في التفسير إرادة أكل ما كان عاقبته النار(نظرت فلم تنظر بعينك منظرا {إلا النّارَ} يعني إلاّ ما يوردهم النّار، وهو الرّشوة والحرام وثمن الدّين والإسلام، لمّا كانت عاقبتهُ النار، سماه في الحال ناراً)[2]، وإستدل جمع من المفسرين بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنّما يجرجر في بطنه نار جهنّم)[3]، ولكن المعنى يختلف، ويفيد هذا الحديث أن كتمان الآيات عذابه أشد وهو حال وكذا في المآل.

فإن قلت إن إختتام الآية بقوله تعالى(ولهم عذاب أليم) إخبار عن دخولهم النار فيكون تفسير أكلهم النار بإرادة عالم الآخرة معه تحصيل ما هو حاصل، والجواب بينهما بلحاظ إرادة أكل النار في الدنيا تباين موضوعي وزماني، وبينهما بلحاظ الآخرة عموم وخصوص مطلق لأن العذاب الأليم أعم من أكل النار.

لقد أراد الله عز وجل إقامة الحجة في الدنيا والآخرة على الذين يخفون الآيات، فالنار التي يعذبون بها في الآخرة إنما هي عقاب للطعم الخبيث الذي يأكلون في الدنيا، ولوجوه الشبه بين ما

(١)سورة النساء ١٠.

(٢)الكشف والبيان ١/٣٠٨.

(٣)الكشف والبيان ١/٣٠٨، تفسير ابن كثير١/٤٨٤.

يـأكلون في الـدنيا والنـار في الآخـرة، قـال تعـالى ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾[1]، فيكـون المـال شـاهداً علـى سـوء المـآل، ليكـون المـآل في الآخرة تذكيراً بحال الدنيا، وكل منهما موعظة وعبرة للناس جميعاً.

ومـن الإعجـاز في إرادة الإطـلاق في لفظ(يـأكلون) مجيـؤه بصـيغة المضـارع والجمـع لإسـتمرار وإتصـال أكـل النـار في الـدنيا والآخـرة، أمـا الجمـع فـلإرادة العمـوم الإسـتغراقي والمجمـوعي إذ أنهـم يشـتركون في أكـل النـار، فقـد يـأتي الـثمن الـذي يقبضـون علـى الكتمـان عامـاً شـاملاً لهـم وللحـي والميـت مـنهم كالجـاه والرياسـة والإجـلال والتقـديس بـين الأتبـاع مـع أنهـم أخفـوا حقـائق التنزيـل، وحجبـوا ضياء البشارات عنهم.

فجـاءت هـذه الآيـة الكريمـة لأولئـك الأتبـاع بـالإعراض عـنهم، والتوجـه إلى مصـابيح القـرآن، وأنـوار رسـالة محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم، والتبرء في الـدنيا مـن الـذين يخفـون الآيـات قبـل أن يـأتي يـوم القيامـة، فيرغبـون بـالعودة إلى الـدنيا للتـبرء مـنهم، قـال تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾[2].

ومـن معـاني أكـل النـار في الـدنيا الحـرام والسـحت، وجـاء لفظ(البطون) لبيان حبهم للدنيا، وسعيهم للمطعـم الـذي لا نفـع فيـه ولا تكـون عاقبتـه إلا النـار، وقيـل(ذكر الـبطن هاهنـا للتوكيـد؛ لأن

---

(١)سورة محمد ١٥.

(٢)سورة البقرة ١٦٧.

الإنسان قد يقول أكل فلان مالي إذا أفسده وبذّره، ويُقال: كلمة من فيه؛ لأنّه قد يكلمه مراسلة ومكاتبة، وناوله من يده ونحوها)[1].

ولا تعارض بين إرادة المعنى الحقيقي والمجازي في الآية التي يتغشى مضمونها كلاً من المعنيين.

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : إخبار المسلمين عن وجود فريق من الناس يخفون الآيات البينات وتأكيد قبح هذا الفعل، وليس من عاقل يرضى به فلا بد من وجود سبب وعلة لهذا الفعل، فجاءت الآية الكريمة بأمور :

الأول : البيان وطرد الوهم والشك.

الثاني : الإخبار بأن هذا الفريق يريد عرض الدنيا، ويلهث وراء حطامها.

الثالث : وجود تنزيل وبشارات متوارثة عند فريق من الناس يتعمدون إخفاءها وكتمانها.

الثانية : تحذير المسلمين والناس جميعاً من الذين يخفون البشارات ومنع الإصغاء إليهم، وبعث النفرة في النفوس من الجلوس معهم والإستماع إليهم، قال تعالى ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2].

الثالثة : ذم الذين لا يظهرون التنزيل ويصرون على كتمانه وإخفائه، وبيان الضرر النوعي العام الذي يؤدي إليه هذا

---

(١)الكشف والبيان ١/٣٠٨.

(٢)سورة الأنعام ٦٨.

الكتمان لولا أن الله عز وجل تفضل على الناس ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومجيء هذه الآية في كشف هذا الإخفاء وما في هذا الكشف من صرف الضرر ودفع الأذى، قال تعالى ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾(١)، ليكون من إحاطة المكر السيء بهم أنهم ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾.

الرابعة : بيان شدة عذاب الذين يخفون التنزيل لأنه على وجوه :

الأول : إنه كفر وجحود.

الثاني : فيه صد للناس عن الإسلام.

الثالث : في الكتمان محاربة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحريض ولو بالواسطة على قتله.

الرابع : فيه عداء للمسلمين، وإيذاء لهم، وتعريض بهم بغير حق، وفي التنزيل ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾(٢).

الخامسة : بيان سوء عاقبة الذين يخفون الآيات، وأن العذاب يأتيهم على نحو العموم الإستغراقي، وفي الحديث (عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر")(٣).

ويمكن إستقراء مسألة من الجمع بين آية البحث والحديث النبوي أعلاه وهي أن ورود الحديث بذكر صفة أو حال لا يعني

---

(١)سورة فاطر ٤٠.

(٢)سورة البقرة ١٢.

(٣)تفسير ابن كثير ٤٨٤/١.

الحصر، فإن إثبات شيء لشيء لا يدل على نفيه عن غيره، وتكون الحكومة والتوسعة للآية القرآنية، ولم يذكرها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوجوه :

الأول : تجلي هذه العقوبة للذين يخفون ويكتمون الآيات بنص هذه الآية التي هي بيان سماوي، وحجة قاطعة.

الثاني : خيبة أمل الذين يخفون الآيات وقيام دولة الإسلام، وتلقي الناس معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقبول والتصديق.

الثالث : هلاك عدد من كبراء الذين يكتمون الآيات سواء عند محاربة المسلمين أو نقضهم العهود والمواثيق مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو بالموت، وإنحسار أثرهم بين الناس.

الرابع : يبين الحديث أن دولة الإسلام في حال البناء وتشريع الأحكام.

الخامس : جاء الحديث لإصلاح المجتمعات، وتهذيب النفوس، وتنمية ملكة الأخلاق الحميدة.

السادس : حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه من الأمور والحقائق التي يكتمها الذين ذكرتهم بالذم الآية الكريمة لأنهم أرادوا منع الناس من الإنصات له، بإنكار نبوته وتبديل صفاته الواردة في التوراة والإنجيل، فهم يمنعون الناس عن الإستماع للوحي الذي يجري على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1]، وهذا المعنى آية في البيان والصلة بين الآية الكريمة والحديث النبوي أعلاه.

---

(١)سورة النجم ٣-٤.

السابع : بيان غضب الله عز وجل على أهل الجحود والمعصية، وما يلقون من شدة العقاب يوم القيامة، وإنغلاق باب الرحمة الإلهية عليهم في الآخرة.

الثامن : الإخبار عن عالم الغيب وأهوال الآخرة وذكر عذاب الذين يخفون التنزيل ومنه البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا العذاب على وجوه :

الأول : الحرمان من كلام الله في الآخرة، قال تعالى﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1]، وفيه إشارة إلى فوز المؤمنين يوم القيامة بتكليم الله عز وجل لهم والثناء عليهم.

الثاني : إن الله عز وجل لا يزكي الذين يكتمون الآيات، ولا يطهرهم من أدناس الكتمان بل يجعله مصاحباً لهم في مواطن الآخرة، والحساب، وعند الميزان ويكون سبباً للتخلف عن العبور على الصراط.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في حديث قال : فيما ناجى موسى ربه فيما وهب الله لمحمد وأمته حيث قرأ التوراة وأصاب فيها نعت النبي وأمته قال: يا رب من هذا النبي الذي جعلته وأمته أولاً وآخراً؟ قال: هذا محمد النبي الأمي العربي الحرمي التهامي من ولد قاذر بن اسمعيل، جعلته أوّلاً في المحشر، وجعلته آخراً ختمت به الرسل، يا موسى ختمت بشريعته الشرائع ، وبكتابه الكتب، وبسنته السنن، وبدينه الأديان قال: يا رب إنك اصطفيتني وكلمتني؟

قال: يا موسى إنك صفيّ وهو حبيبي أبعثه يوم القيامة على كوم أجعل حوضه أعرض الحياض وأكثرهم وارداً وأكثرهم تبعاً

---

(١)سورة المؤمنون ١٠٨.

قال: رب لقد كرمته وشرفته، قال: يا موسى حق لي أن أكرمه وأفضله وأفضل أمته، لأنهم يؤمنون بي وبرسلي كلهم وكلمتي كلها وبغيبي كله ما كان فيهم شاهداً يعني النبي صلى لله عليه وسلم ومن بعد موته إلى يوم القيامة، قال : يا رب هذا نعتهم؟ قال : نعم، قال : يا رب وهبت لهم الجمعة أو لأمتي؟ قال : بل لهم الجمعة دون أمتك، قال : يا رب إني نظرت في التوراة إلى نعت قوم غير محجلين فمن هم ، أمن بني إسرائيل هم أمن من غيرهم؟ قال : تلك أمة أحمد الغر المحجلون من آثار الوضوء، قال : يا رب إني وجدت في التوراة قوماً يمرون على الصراط كالبرق والريح)[1]، وهذا الحديث من الشواهد على البشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة.

الثالث : إقتران العذاب الأليم بالخسران يوم القيامة فيكون ما يأكلون في الدنيا من ثمن قليل لإخفاء الآيات والتنزيل ناراً تتأجج في بطونهم.

الرابع : لما أخبرت هذه الآية عن سعي الذين يكتمون الآيات لشراء ثمن قليل بهذا الإخفاء وتحريف البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاءت الآية التالية ببيان ماهية هذا الثمن بقوله تعالى(إشتروا الضلالة بالهدى) وهو من الإعجاز في سياق الآيات.

لقد جعلوا الهدى ثمناً وبدلاً لثمن قليل وبخس وهو الضلالة وعرض الدنيا وهو أمر لا يباع ولا يعطى ولا يجوز التفريط به لأنه

(١)الدر المنثور ٣٢٠/٤.

علة خلق الإنسان، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

التفسير

قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾

الأول : ذات الرجوع الى موضوع كتمان الآيات آية ودلالة على أهميته وأذاه ، وتوكيد سماوي على خطورته.

الثاني : ترتب كثير من الآثار والموضوعات الواردة في الآيات الخمسة عشرة المتقدمة التي تضمنت ذم الكفر والجحود واتباع الشيطان واتخاذ الشركاء وحبهم، واتباع الآباء في ضلالتهم مرتبة او متفرعة ولو على نحو السالبة الجزئية على كتمان الآيات، خصوصاً وان كبراءهم هم الذين تعمدوا الكتمان والإخفاء في الغالب.

الثالث : الآية من آيات الإنذار والوعيد.

الرابع : هل الكتمان أمر وجودي أم عدمي؟ الجواب : هو الأول، فهم يكتمون الآيات عن عمد وقصد وله تأثير نوعي عام.

الخامس : في موضوع الكتمان ذكرت أقوال منها:

الأولى : صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والبشارة به، عن ابن عباس وقتادة والسدي.

الثانية : إنهم كتموا الأحكام، عن الحسن.

والأمران معاً مما كتموه واخفوه، والكتمان لا ينحصر بهما بل انه سابق للدعوة الإسلامية وملازم لأيام النبوة وبعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ومتأخر عليها.

---

(١)سورة الذاريات ٥٦.

وهل يشمل كل من كتم تفسيراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآية، او حديثاً من السنة لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1]، وقوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

الجواب لا، وان أثم الذي يتعمد هذا الكتمان، ولكن القدر المتيقن من الآية إخفاء مضامين التوراة والإنجيل، وكتمان التفسير على نحو القضية الشخصية.

السادس: فمن اعجاز هذه الآية أنها حية في كل زمان، وهو يتصور في هذا الزمان من وجوه:

الأولى: الكتمان عن قصد وإرادة بعد إستبانة الحق وظهور الآيات.

الثانية: تقليد ومحاكاة الذين كتموا الآيات أصلاً، وكأن الآيات التي كتموها قد اختفت من أمامهم، وبينهم وبين الذين يكتمون الآيات من بعدهم عموم وخصوص من وجه، فمادة الإلتقاء الكتمان، ومادة الإفتراق أن الأوائل كتموا الآيات مع رؤيتهم وسماعهم لها، أما الذين جاءوا من بعدهم فلم يروا الآيات ولكنهم شاركوا بالكتمان بالتقليد والمحاكاة.

الثالثة: ان الذين جاءوا من بعدهم يصدق عليهم أنهم كتموا الآيات وإن تباينت مرتبة الكتمان ومباشرته أو إختيار الإتباع فيه كما في قوله تعالى في ذم الذين يصرون على الإقامة على تركة الكفر ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

(1) سورة الحشر ٧.
(2) سورة النجم ٣-٤.

آبَاءَنَا﴾(١).

الجـواب : يشـمل العقـاب الأفـراد الثلاثـة أعـلاه سـواء كـان للكتمان أو للإتباع والمحاكاة.

السـابع : إن الله عـز وجـل جعـل عنـد الإنسـان رسـولاً ذاتيـاً خاصـاً، وشـرعاً باطنيـاً وهـو العقـل، بالإضـافة إلى شمـول الكفـار بصـدق الكتمـان وأنهـم يخفـون آيـات الله عـز وجـل إلا مـا خـرج بالدليل.

الثـامن : الآيـات متصـلة وظـاهرة، والقـرآن آياتـه بـاهرة بينـة، وأخبـار الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم لم يسـتطيعوا إخفاءها وسترها جميعاً.

التاسـع : أبـى الله عـز وجـل إلا أن يقـيم الحجـة علـى النـاس ويجعلها في متنـاولهم، فمـا بقـي منهـا حتـى في التـوراة والإنجيـل كافيـة للإحتجـاج وإثبـات صـدق دعـوة الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسلم.

العاشـر : يشـمل الكتمـان محـاولات إخفـاء الآيـات الـتي جـاء بهـا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم العقلية والحسية.

الحـادي عشـر : إن قلـت: إن الآيـة قيـدت الوعيـد بالكتمـان بمـا أنـزل الله مـن الكتـاب، قلـت: ان آيـات اخـرى مبينـة لهـا وموسـعة لحكمهـا كمـا تقـدم قولـه تعـالى﴿يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾(٢).

الثـاني عشـر : جـاء الكتـاب بلـزوم أخـذ مـا أتـى بـه الـنبي صـلى

(١)سورة البقرة ١٧٠.

(٢)الآية١٥٩.

الله عليه وآله وسلم ولزوم طاعته ، قال تعالى ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1].

الثالث عشر : مع أن الآية توبيخ ووعيد لأهل الكتاب فانها تتضمن حثهم على إظهار الآيات وعدم كتمانها.

الرابع عشر : إن مجرد الإخبار بالكتمان إعجاز وتحد يصاحبهم ويضغط على نفوسهم ويجعلها تحس بالذنب والتقصير، أي أن الوعيد يتضمن رحمة وحثاً وتذكيراً ومناسبة للتدارك.

الخامس عشر : جاءت الآية وهي تحمل أشد أنواع العذاب بسبب هذا الكتمان.

السادس عشر : الآية عون لهم على الهداية وموعظة ليتدبروا في حالهم وعظيم ذنبهم، وبدل أن يستمروا بالتعدي على المسلمين فان الآية تجعلهم يرجعون إلى أنفسهم لمَ يحاربون الإسلام والمسلمين، ويتساءلون مع أنفسهم ألا يكفيهم كتمان الآيات.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر: أن قريشاً اجتمعت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس في المسجد، فقال لهم عتبة بن ربيعة: دعوني حتى أقوم إلى محمد أكلمه، فإني عسى أن أكون ارفق به منكم. فقام عتبة حتى جلس إليه، فقال: يا ابن أخي إنك أوسطنا بيتاً، وأفضلنا مكاناً، وقد أدخلت في قومك ما لم يدخل رجل على قومه قبلك، فإن كنت تطلب بهذا الحديث مالاً فذلك لك على قومك أن نجمع لك حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً فنحن مشرفوك حتى لا يكون أحد من قومك فوقك ولا نقطع الأمور دونك، وإن كان هذا عن

---

(1) سورة الحشر ٧.

لم يصيبك لا تقدر على النزوع عنه بذلنا لك خزائننا في طلب الطب لذلك منه، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم{حم} السجدة حتى مر بالسجدة فسجد وعتبة ملق يده خلف ظهره حتى فرغ من قراءتها، وقام عتبة لا يدري ما يراجعه به. حتى أتى نادي قوله، فلما رأوه مقبلاً قالوا: لقد رجع إليكم بوجه ما قام به من عندكم، فجلس إليهم

فقال: يا معشر قريش قد كلمته بالذي أمرتموني به. حتى إذا فرغت كلمني بكلام لا والله ما سمعت أذناي بمثله قط، فما دريت ما أقول له! يا معشر قريش أطيعوني اليوم، واعصوني فيما بعده. اتركوا الرجل واعتزلوه، فوالله ما هو بتارك ما هو عليه، وخلوا بينه وبين سائر العرب، فإن يكن يظهر عليهم يكن شرفه شرفكم، وعزه عزكم، وملكه ملككم، وان يظهروا عليه تكونوا قد كفيتموه بغيركم. قالوا: أصبأت إليه يا أبا الوليد؟)[1].

السابع عشر : لا تنحصر أضرار كتمان الحق مكاناً وزماناً بمحل صدورها بل تتعداه طردياً بحسب الأثر والتأثير ومقام ومنزلة الذي يخفي الآيات.

الثامن عشر : كتمان الآيات والبشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أشد وجوه التحريف قبحا ، وهو تحريف مركب ، ففيه إخفاء للأخبار الواردة بخصوص شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإعراض عن آيات القرآن وشواهد صدق نبوته التي جاءت معه ، ومن خصائصها أمور:

---

(١)الدر المنثور ٢٧/٩.

الأول : ظهور نبوته جلية للناس جميعاً مع إختلاف مداركهم ومشاربهم.

الثاني : تعدد الآيات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكثرتها بما يمنع من حجبها عن الناس.

الثالث : تعذر كتمان معجزات نبوته أيام النبوة المباركة وما بعدها إلى يوم القيامة بفضل الله ووجود المعجزة العقلية القرآن من وجوه:

الأول : سلامة القرآن من التحريف.

الثاني : عدم طرو التبديل أو الزيادة أو النقيصة على القرآن.

الثالث : تجدد إشراقات إعجاز القرآن من وجوه:

الأول : ذات آيات القرآن وتلاوتها.

الثاني : التدبر والتفكر في آيات القرآن، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾[1].

الثالث : تفسير وتأويل آيات القرآن.

الرابع : تحقق مصاديق إخبار وإنشاء القرآن في كل زمان وعلى نحو متجدد.

الخامس : موضوعية المثل القرآني وقصص القرآن في حياة الناس اليومية، قال تعالى ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2].

التاسع عشر : تدل الآية بالدلالة الالتزامية على حث المسلمين على بيان الآيات وعلى فضح الكتمان من أي جهة

(١)سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢)سورة إبراهيم ٢٦.

صـدر، فـان إظهارهـا واجـب لوجـوب المقدمـة لوجـوب ذيهـا، ولأن الآيات أمانة متوارثة عند أهل الكتاب.

العشـرون : الآيـة الكريمـة وثيقـة سماويـة لتوكيـد حقيقـة عقائديـة وتأريخيـة وهـي وجـود البشـارات والـدلالات علـى نبـوة محمـد صلـى الله عليه وآله وسلم وظهور دولته.

الحاديـة والعشـرون : قـال الـرازي: (المـروي عـن ابـن عبـاس أنهـم كـانوا محـرفين يحرفـون التـوراة والإنجيـل، وعنـد المتكلمين هـذا ممتنـع، لأنهمـا كانـا كتـابين بلغـا مـن الشـهرة والتـواتر الى حيـث يتعـذر ذلـك فيهمـا، بـل كـانوا يكتمـون التأويـل، لأنـه قـد كـان فيهـم مـن يعـرف الآيـات الدالـة علـى نبـوة محمـد عليـه السـلام، وكـانوا يـذكرون لهـا تـأويلات باطلـة، ويصـرفونها عـن محاملهـا الصـحيحة الدالـة علـى نبـوة محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم فهـذا هـو المـراد مـن الكتمان)[1].

وظاهر الرازي ميله لهذا القول، ويمكن مناقشته بوجوه :

الأول : في الكـبرى وهـي إمتنـاع نسـبة هـذا القـول إلى المـتكلمين على نحو الإطلاق وابن عباس من أئمة الكلام.

الثـاني : يحمـل الكـلام علـى ظـاهره إلا مـع ورود دليـل علـى الخلاف، وليس من دليل فيبقى على معناه الظاهر.

الثالـــث : ان تحريـــف الكتـــاب بـــنص آيـــات القـــرآن، قـــال تعالى﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[2].

الرابـع : اشـتهار التـوراة والإنجيـل لا يتعـارض مـع التحريـف لأن التحريـف يكـون علـى نحـو السـالبة الجزئيـة والمحـدودة مـن جهـة

(1) مفاح الغيب ٢٦/٥.
(2) سورة النساء ٤٦.

الكم والخبر والموضوع.

الخامس : إن لفظ الكتاب عنوان جامع للكتب السماوية، فقد يراد منه الكتب السابقة للتوراة ومطلق الصحف والتنزيل ، وقال ابن منظور : (الكتاب مطلق التوراة، وبه فسر الزجاج قوله تعالى ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [1]) ولكن هذا القول هو الآخر ليس بتام لأن الكتاب اذا جاء على نحو الإطلاق كان اعم وأقرب للقرآن منه الى التوراة، بالإضافة الى وجود قرينة في الآية الكريمة تخرجه من الإطلاق وتصرفه إلى كتاب غير القرآن وشخص معين أو تخصصه، والمراد من الذين أوتوا الكتاب بلحاظ هذا التقييد والقرينة هم فريق أو فئة منهم.

قوله تعالى ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾

الأولى : الظاهر ان الضمير في ﴿ بِهِ ﴾ يعود إلى الكتمان فهم يخفون ويسترون ما أنزل الله من الآيات من أجل حطام الدنيا وأسباب الجاه ومقام الرياسة.

الثانية : الواو عاطفة وتفيد التغاير والتعدد، فالشراء ليس علة تامة للكتمان، أي ان الآية لم تقل (ليشتروا به) وفيه إشارة إلى عدم إنحصار أسباب الكتمان بشراء الثمن.

الثالثة : هل يمكن تفسير الآية بان هذا الكتمان مادة لكي يجلبوا بسببه ما يجعلونه ثمناً لحاجات ومنافع معينة لأن الأصل هو شراء العروض بالثمن وليس شراء أو بيع الثمن، لا مانع من هذا التفسير، ويمكن أن يكون تأويلاً إضافياً لأنهم يهدفون من وراء كتمان الآيات تحقيق عدة غايات لكنها لا تغادر منازل القلة

---

(1) لسان العرب ٦٩٩/١.

والضآلة والضعة.

الرابعة : تخبر الآية عن قلة ما يكسبون من الكتمان سواء نظرنا إليها بذاتها مجردة أو بلحاظ ما يتعقبها ويتفرع عنها.

الخامسة : ظاهر الآية وجود ثمن قليل لكتمان الآيات وهو يعني نفعاً محدوداً بسبب هذا الإخفاء، ولكن ذيل الآية ينفي هذا النفع ويبين حقيقته وماهيته وانه ثمن على نحو الإستعارة والاسم وبظنهم من غير أن ينطبق عليه العنوان واقعاً.

السادسة : قلة ورداءة الثمن بأوصافه الذاتية وبلحاظ ما كتموه وما لحق بهم من الخسارة والخيبة.

السابعة : منطوق الآية التخويف والوعيد لمن يكتم الآيات، أما المفهوم فهو الدعوة لإظهار الآيات والتحذير من عدم إعلانها وإظهارها.

الثامنة : الآية توبيخ وتقبيح لفعلهم.

التاسعة : في الآية موعظة مطلقة للناس جميعاً كل جماعة تنتفع منها بقدرها وحسب منازلها.

العاشرة : الآية إعلان سماوي دائم عن وجود آيات وعلوم في الكتاب لا تزال طي الكتمان.

الحادية عشرة : في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري في حديث ﴿ وَيَشْتَرُونَ ﴾ بالكتمان ﴿ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ يكتمونه ليأخذوا عليه عرضاً من الدنيا يسيراً وينالوا به في الدنيا عند جهال عباد الله رئاسة، قال الله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ﴾[1] يوم القيامة ﴿ إِلاَّ النَّارَ ﴾ بدلاً من إصابتهم اليسير

---

(1) سورة البقرة ١٧٤.

من الدنيا لكتمانهم الحق، ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ بكلام خير ... الحديث[1].

الثانية عشرة : ﴿ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ تفيد التبعيض، أي انهم لم يستطيعوا كتمان الكتاب وهو أعم من النازل عليهم، لذا جعل الله القرآن مصاناً من التحريف والكتمان.

قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾

وفي الآية وجوه :

الأول : ان الذي يأكلونه من ثمن الآيات والجاه والمال والرياسة ونحوه مما ينتفعون وما يرد عليهم بسبب كتمان وإخفاء الآية، فكانت هذه المباهج كالنار ولكنهم لا يعلمون، فجاء القرآن للإخبار عن حقيقتها، والكشف عن زيف هذا الثمن.

الثاني : إنهم يأكلون النار فعلاً يوم القيامة عند دخولهم جهنم.

ولا تعارض بين الوجهين وكل منهما يصلح تفسيراً للآية، والأول من المجاز، والثاني من الحقيقة خصوصاً وأن الدنيا طريق الآخرة.

الثالث : الثمن الذي يطلبون عرض زائل، ونعته القرآن بالقلة بلحاظ الذات وما فيه من الخبث، وهو قليل لأنه في الدنيا، وأيامها قليلة بالنسبة للآخرة.

الرابع : ﴿ أُولَئِكَ ﴾ اسم إشارة للبعيد يفيد التوبيخ والإزدراء، وفيه دعوة للإعراض عن أهل التحريف، وبشارة عدم تأثيرهم على المسلمين لن يضروا إلا أنفسهم.

---

(١) تفسير الامام العسكري ١/١١٧.

الخامس : يأتي الحكم في الآية من باب الأولى والأهم، فقد ورد الوصف والجزاء ايضاً في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾[1].

السادس : أكل مال اليتيم فيه ضرر شخصي في الغالب، أما كتم الآيات فإن ضرره نوعي عام ولا ينحصر ببلد أو جيل معين.

السابع : يكون أكل النار في الحياة الدنيا بالكسب الحرام المقرون بالغلظة والظلم والتعدي على الضعيف ،فمن باب أولى انطباقه على موضوع التعدي على الدين.

الثامن : هذا الثمن القليل يكون عليهم وبالاً فما ينالون بسببه من الكسب في الدنيا يكون كالنار عليهم سواء لأنه :

الأول : إخبار عن جزاء كتمان الآيات ،وهو مقدمة لدخول النار.

الثاني : لأنه من حطب جهنم فكأنهم يجمعون حطبهم بهذا الثمن، كما يظهر نقيضه بالنسبة للمؤمن اذ يجمع بالصالحات متاع الآخرة ويحرز طريق الجنة.

الثالث : لما فيه من الإبتلاء في البدن والأضرار في الفكر وأمراض النفس الملازم لانتهاج سبل الكفر.

الرابع : أثناء التنعم بمنازل الجاه والمال بسبب هذا الكتمان وبقاء التابعين لهم على حالهم من الإنقياد لهم فانهم مضطربون يتألمون لتخلفهم عن نصرة الحق وإتباع الآيات السماوية مع أنهم لم يصلوا إلى تلك المنازل إلا بدعوى الرياسة في الدين.

التاسع : ورود الآية بلفظ الجمع ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ يدل في

---

(١) سورة النساء ١٠.

ظاهره على أن الكتمان لم يكن على نحو القضية الشخصية بل إنه عمل جماعي منظم، الأمر الذي يعطي لهذه الآيات وجهاً جهادياً، ويجعلها سلاحاً في مواجهة تحريفهم جماعات وافراداً.

العاشر : في الآية أشد صيغ الوعيد والتهديد إلى جانب ما فيها من الحث على إظهار هذه الآيات وكشفها، فمع الوعيد يكون الأمل وبيان طريق الخلاص من النار في الدارين.

فاما إصرار على الكفر والكتمان وتحمل وزرهما.

وأما توبة وإنابة وصلاح ورؤية منافعها عاجلاً وآجلاً قال تعالى ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1].

الحادي عشر :جاءت الآية الستون بعد المائة المتقدمة بالإستثناء ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا ﴾ لتبقى نابضة بالحياة والحركة وتسير بعرض واحد مع آية الوعيد هذه.

الثاني عشر : تحث الآية على اعداد دراسات طبية لأثر الكسب الحرام في حدوث الأمراض البدنية والنفسية وما تعكسه سلباً على السلوك العام للفرد، خصوصاً اذا كان الكسب في صيغ الكفر والجحود وبالوجهين، الأول انه يعلم بان الذي يفعله وسبب كسبه هو الحرام، والآخر انه لا يعلم ذلك.

الثالث عشر :الظاهر ان الواو في ﴿ وَيَشْتَرُونَ ﴾ تصلح للحال وهي التي تأتي على تقدير (اذ)

كقولك : "بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والناس في ضلالة"، والتقدير : اذ الناس في ضلالة، فكتمان الآيات يلازمه شراء الثمن من المال والجاه والرياسة، وتصلح

---

(١)سورة الزمر٥٣.

للعطف ايضاً، مع كتمان الآيات فأنهم يقومون باختيار متاع الدنيا وزينتها ثمناً لها.

الرابع عشر : بلحاظ ان (الواو) عاطفة في ﴿ وَيَشْتَرُونَ ﴾ فإنه قيد للكتمان بأن يكون مقدمة وموضوعاً للانتفاع الدنيوي، ولاخراج كتمان الآيات للتقية او الخوف او لراجح عقلي وشرعي.

الخامس عشر : ذكر قيد البطون وعاء للأكل بيان للتفصيل بين الثمن والأكل، ولا ملازمة بين الثمن والأكل، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فقد يستعمل الثمن من المال في شراء الطعام والشراب، وقد يكون الأكل من غير هذا الثمن، لذا ففي الآية وجوه :

الأول : المراد من الأكل الذي يكون ناراً هو ثمن الكتمان.

الثاني : بسبب الكتمان واتخاذه سبيلاً للكسب الحرام والمال السحت فان كل ما يأكلون ويتنعمون به يكون ناراً ووبالاً عليهم كعقوبة عاجلة.

الثالث : المراد من الآية العقاب في الآخرة بأكل النار، و(إن أكلهم في الدنيا وإن كان طيبا في الحال فعاقبته النار، عن الحسن والربيع وجماعة من اهل العلم[1].

السادس عشر :الظاهر ان المقصود بالآية الكريمة أعم فقد جاءت من باب البيان والوصف التأديبي وليس من باب الوعيد الأخروي وحده، فلا مانع من اجتماع الأمرين معاً ان يكون أكلهم وتنعمهم بالدنيا وبالاً، وفي الآخرة عقاباً.

---

(١)تفسير الرازي ٢/٤٠.

السابع عشر : (الا) الواردة في قوله تعالى ﴿إِلَّا النَّارَ﴾ أداة حصر، أي تحصر اكلهم في الدنيا بالنار، ويحمل الكلام على ظاهره وان الذي يأكلون في الدنيا يكون ناراً من جهة عدم التنعم به ولمعرفتهم بانهم يخفون الحقائق السماوية ولتشديد العقاب عليهم في الدنيا لعظيم الذنب الذي يقترفون،وللوم النفس على المعصية.

الثامن عشر : في الآية سلب لنعمة التلذذ بالطيبات من الكفار وان كانت في حوزتهم ومتناول أيديهم.

التاسع عشر : في الآية اعجاز فان المعروض من النعم يصيبها المؤمن والكافر في الدنيا ولكن هذه الآية تظهر التفاوت المعنوي في اصل هذه الاصابة، وان النعمة تنقلب إلى أذى في بدن الكافر بسبب كتمانه الآيات قال تعالى﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾[1].

العشرون : تساهم الآية في عدم افتتان المؤمنين بما عند الكافرين من النعم الظاهرية، فمتى ما انكشف زيفها وضررها العاجل والآجل فإن النفوس تعزف عنها.

الحادي والعشرون : في الآية عون ومدد للمسلمين بابتلاء الجاحدين بالضعف والنقص والإنشغال بالذات.

الثاني والعشرون : ما يتعرض له هؤلاء خير موعظة وعبرة لهم وللناس فهي تذكير داخلي وتحريض على التوبة.

الثالث والعشرون : الظاهر ان العقوبة على مراتب زمانية وفي الكم والكيف، ومن الذنوب ما يكون شطر من عقوبته

(١)سورة آل عمران ١٧٧.

عـاجلاً، وإخفـاء الآيـات والبشـارات عقوبتـه بدنيـة عاجلـة يوميـة مكررة، بالاضافة الى الحساب والعقاب الآخروي.

الرابـع والعشـرون : يمكـن إسـتقراء دراسـة مقارنـة مـن الآيـة ، وهـي ان الـذي آمـن بالآيـات والـدعوة الإسـلامية يتـنعم يومياً خمـس مـرات بـأداء فريضـة الصـلاة وفيهـا تزكيـة وتطهـير للبـدن، والـذين يخفون الآيات يعرضون أبدانهم للأذى مع كل وجبة طعام.

الخـامس والعشـرون : الآيـة انـذار لهـم بقصـر اعمـارهم وايـامهم في الـدنيا، فاكـل النـار كنايـة عـن ظهـور الأمـراض والعلـل في البدن.

السـادس والعشـرون :الكتمـان يعـني الضـلالة والـتردي في هاويـة الهلكـة فهـو مقدمـة وبـاب لوجـوه مـن الكفـر والجحـود وان كان نفسه ايضاً من مصاديق الكفر.

السـابع والعشـرون : هـل المـراد بالنـار في الآيـة نـار الآخـرة أم المعنـى الأعـم، الجـواب هـو الثـاني، فـانهم يعـانون في الـدنيا مقـدمات النار.

وتتجلـى إرادة سـاعة الأكـل في الـدنيا مـن الآيـة الكريمـة في إخبـار الآيـة عـن إنعـدام اللـذة والتـذوق بالطيبـات الـتي يأكلـها الـذين يكتمـون التنزيـل لأنهـم يعلمـون بسـوء إختيـارهم وأنهـم أعطـوا أغلـى شيء في الوجود وهو الهدى ثمناً لهذه الطيبات ومتاع الدنيا.

فجـاءت الآيـة الكريمـة إخبـاراً للمسـلمين وشـفاء لصـدورهم بـأنكم وإن تـرون أهلالتحريـف يـأكلون الطيبـات ولكـنهم يغصـون بهـا، وتنعـدم عنـدهم أسـباب الشـهية واللـذة ويشـعرون معهـا بـالأذى لغـلاء وقـبح الـثمن الـذي قـدموه لهـذه الطيبـات ، وهـو العـزوف عـن منـاهج الهـدى ، بينمـا جـاء في الآيـة قبـل السـابقة البشـارة والسـكينة للمسلمين والمسلمات بأكل الطيبات بأمر من الله عز وجل.

وفي قوله تعالى﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾(١)، وفي ويل (روى الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أنه واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره)(٢).

قعره)(٢).

قوله تعالى ﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

الأولى : بيان لغضب الله تعالى على الذين يخفون الآيات وغلق ابواب الرحمة عليهم.

الثانية : انهم يضيعون فرصة اظهار الندم والعذر يوم القيامة بسبب عظيم الجرم في كتمان الآيات.

الثالثة : تكليم الله تعالى رحمة ومناسبة للعفو والمغفرة وفرصة كريمة للاعتذار او المسألة ونحوها، وان اناساً يخرجون بالتخصص من ادراك هذه النعم بما كسبت ايديهم ويمكن تتبعهم بالرجوع الى القرآن والسنة، مثلاً ورد ذات الأمر في ﴿ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ كما في الآية السابعة والسبعين من سورة آل عمران، أو الذين اتخذوا المؤمنين سخرياً ونسوا ذكر الله كما في سورة المؤمنون، وعند دراسة مضامين هذه الآيات تبدو وحدة الموضوع في تنقيح المناط على نحو إجمالي.

الرابعة : في اكلهم النار في الدنيا ولو على نحو المجاز والتشبيه حاجز وبرزخ دون التدبر بالآيات ، ومانع من تكليم الله لهم يوم القيامة.

الخامسة : يمكن استظهار قاعدة كلية من الآية الشريفة وهي

---

(١)سورة البقرة ٧٩.

(٢)مجمع البيان ٢٥٥/١.

كل من كان كسبه بالجحود واغواء الآخرين بالكفر فان الله عز وجل لا يكلمه يوم القيامة.

السادسة : ورد مضمون الآية في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]، والظاهر ان الموضوع واحد وهو إخفاء الحق وما نزل من الآيات وما تضمنته الكتب السماوية، ومحاولة ستر العهود التي أخذها الأنبياء على قومهم في التبليغ والإنذار.

السابعة : ظاهر الآية ان الله عز وجل يكلم الناس جميعاً بلا واسطة يوم القيامة الا ما خرج بالدليل، فالذي أخرج نفسه بفعل قبيح مخصوص يستحق عدم التكليم عقوبة له في الآخرة وليس كل ذنب يعمله ابن آدم في الدنيا يحجب نعمة تكليم الله له يوم القيامة.

وكتمان الحق وإخفاء بشارات النبوة من أظهر أفراد عدم تكليمه تعالى للإنسان يومئذ.

الثامنة : لقد أنعم الله عز وجل على موسى عليه السلام بقوله ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[2]، ويوم القيامة يفوز المؤمنون بهذه النعمة ويحرم منها الذي كتم وأخفى ما جاء به موسى عليه السلام مما يتعلق بتثبيت احكام الشريعة في الارض.

التاسعة : على قاعدة تفسير القرآن بالقرآن هل يكون قوله

---

(1) سورة آل عمران ٧٧.

(2) سورة النساء ١٦٤.

تعالى ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1] تفسيراً لهذه الآية كما استدل بعض المفسرين، الأقوى ان الآية أعلاه خاصة بأهل النار عند دخولهم فيها، أما الآية محل البحث فتنفي التكليم يوم القيامة مطلقاً ،فبينهما عموم وخصوص من وجه، ومادة الالتقاء عدم التكليم، ومادة الافتراق ان الآية محل البحث خاصة بالذين يخفون الآيات، وعدم التكليم فيها مطلق ويشمل مواطن الحساب، أما هذه الآية فهي عامة لأهل النار وخاصة بزمان دخولهم فيها.

العاشرة : الآيات التي دلت على حصول المساءلة مطلقاً يوم القيامة كما في قوله تعالى ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] هل تعني سؤال الله عز وجل للناس، أم انه سؤال الملائكة كيلا تتعارض مع هذه الآية بخصوص الكفار الذين يكتمون الآيات، الأقوى هو الأول لحجية الكتاب العزيز ولا يمنع من كون السؤال أيضاً بواسطة الملائكة.

الحادية عشرة : يتضمن تكليم الله تعالى موضوعاً آخر غير السؤال وانه فرصة مباركة وباب رحمة يفتحه الله عز وجل للعباد يوم القيامة ومناسبة للفضل، ويحجب عنها ويحرم من هذه النعمة الأخروية من كتم واخفى آيات الله عن عمد واختيار ليكون هذا الكتمان من اعظم الحسرات يوم القيامة، خصوصاً وانها وردت على نحو الوعيد والتغليظ، وقد جاء عدم التكليم ليظهر في هذه الآية سر من اسرار يوم القيامة ودلالة على اطلاق فضله تعالى.

---

(1) سورة المؤمنون ١٠٨.

(2) سورة الحجر٩٢.

الثانية عشرة : في الآية دلالة على تحريم كتمان الآيات تحريماً تكليفياً ووضعياً.

الثالثة عشرة : الآية لا تنحصر بملة او فئة او مذهب وجماعة معينة لأن المدار على الموضوع ومناسبة الحكم له وعمومات اللفظ، فالتحدي والانذار والوعيد الوارد في الآية الكريمة الخلالي يتوجه لكل شخص من غير المسلمين خصوصاً وان اعجاز القرآن وآيات النبوة ظاهرة وبينة وتخالط القلوب وتلح على العقول للتدبر والاستبصار.

الرابعة عشرة : في الآية حث على ضرورة الحرص على الانتفاع الشخصي والنوعي من نعمة تكليم الله لنا في الآخرة، وهل يجوز ان يعد الانسان الكلمات والمواضيع التي يقولها يومئذ حينما يؤذن له، الجواب : نعم لما فيها من الاقرار باليوم الاخر والفرح بما فيه من النعم، وفي هذا الاستعداد تهيئ كريم لليوم الآخر.

بحث كلامي

إجماع علماء المسلمين على عدم وجود اختلاف او تعارض في القرآن، والجمع بين الآيات ظاهر على نحو العموم الإستغراقي لآياته.

وقد يتوهم بعضهم عند اطلاعه أول وهلة على التنزيل وجود اختلاف بين بعض آيات القرآن، ولكن هذا الوهم يزول عند أدنى مراتب التدبر والتمعن والتفسير ولحاظ الموضوع،

ومن شرائط الإختلاف والتعارض وحدة الموضوع فاذا كان موضوع الآيتين متبايناً فلا اختلاف او تزاحم، كما في هذه الآية مع قوله تعالى ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا

يَعْمَلُونَ﴾(١).

وعدم التعارض ظاهر من الإختلاف في موضوع الآيتين، فالآية محل البحث تتعلق بالكلام من الله تعالى وهو عنوان لطف واحسان ورحمة.

وهو امر لا يستحقه الكفار والجاحدون واهل العناد ، أما السؤال فهو عام بل يكون متوجهاً الى الكفار من باب الأولوية والإستحقاق باعتباره نوعاً من انواع الحساب والتوبيخ لهم.

قوله تعالى ﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾

الأولى : لا يطهرهم مما فعلوا من المعاصي والسيئات التي لا تمتلك مقومات القبول.

الثانية : يكون أكل النار في الدنيا سمة للعذاب والإبتعاد عن رحمة الله وفضله تعالى يوم الفقر والحاجة والعوز.

الثالثة : كتمان الآيات يحول دون تنامي قوتهم وازدياد عددهم وتطهير نفوسهم وصفاء سريرتهم.

الرابعة : في الآية غلق لباب الشفاعة عليهم.

الخامسة : تدل الآية في مفهومها على النعم التي تنزل على من يظهر الآيات ويعلن اسرار النبوة وبشاراتها، وان تلك النعم لا تنحصر بالدنيا بل تشمل الدنيا والآخرة.

وورد لفظ(ولا يزكيهم) مرتين في القرآن وفي كل مرة يتقدمه(ولا يكلمهم الله) مع إتحاد موضوع الآيتين، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ

(١) سورة الحجر ٩٢ – ٩٣.

﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1]، ويفيد الجمع بين الآيتين إرادة عدم عدم التزكية والتطهير من الذنوب في الآخرة لقاعدة جمع المطلق والمقيد إلا مع القرينة الصارفة إلا مع القرينة الصارفة إلى الإطلا وإرادة الدنيا والآخرة ولم يثبت في المقام لأن رحمة الله في الدنيا تصيب البر والفاجر.

وورد عن سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم: أشمط زانٍ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله له بضاعة فلا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه)[2].

والمراد من اليمين في الحديث أعلاه هو الحلف والقسم، وهو مكروه في حال الصدق وعليه الإجماع، ولكن الحديث ورد بخصوص الذي يجعل اليمين ملازماً لمعاملته وشرائه وبيعه، وما فيه من التجرأ وإحتمال الوقوع في الزلل والخطأ.

قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الأولى : وعيد وانذار بما ينتظرهم يوم القيامة بسبب ما اقدموا عليه من كتمان الآيات واضراره المستديمة عليهم وعلى غيرهم من اتباعهم.

الثانية : في الآية تحذير لأتباعهم بالتخلي عنهم والقيام بمسؤولياتهم في البحث عن الآيات من مصادرها.

الثالثة : ان عدم اتباعهم والإنقياد لهم يجعل الانسان يفكر ملياً وبجدية باضرار كتمان الآيات وما يأتي به من الويلات، فقد يكون الاتباع احياناً عوناً للإصرار على الخطأ والاقامة على

---
(١)سورة آل عمران ٧٧.
(٢)الدر المنثور ٣٦٧/٢.

الجدل.

الرابعة : على القاعدة الكبرى بأن صدر الآية في شيء ووسطها في شيء وذيلها في شيء آخر فأن نزول العذاب الأليم عليهم أعم من ان يكون خاصاً بالآخرة، وقد يكون منه تعرض له كفار قريش من القتل لرفضهم الاسلام، او لخروجهم على شروط الذمة يومئذ كما في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ممن ذكر في اسباب نزول الآية.

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

قوله تعالى ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ الآية ١٧٥.

الإعراب واللغة

اولئك الذين : مبتدأ وخبر.

إشتروا : فعل ماض، والواو : فاعل.

الضلالة : مفعول به والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول، بالهدى: جار ومجرور.

والعذاب : الواو حرف عطف، العذاب : معطوف على الضلالة، بالمغفرة: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف.

فما : الفاء هي الفصيحة أي أفصحت عن عاقبتهم، ما : نكرة تامة بمنعى(شيء) للتعجب، في محل رفع مبتدأ، وذكرت فيها أقوال أخرى.

أصبرهم : فعل ماض جامد لأنه من افعال التعجب، على

النار: جار ومجرور متعلقان بأصبر.

ومن الأفعال الجامدة (ليس) وهو جامد على صورة الماضي، أي انه يلزم صورة واحدة فلا يزايلها من جهة التصرف ، كما لو قلت : ما اكرم زيداً – اكرم بزيد.

والفاعل مستتر، والهاء من(أصبرهم) مفعول به، وقيل(أصبرهم) للإستفهام والمعنى : أي شيء أصبرهم فلا يكون فعلاً جامداً.

قال الحطيئة :

قلتُ لها أصبرها صادقاً

ويحكِ أمثالُ طريفٍ قليلْ).

والجملة الفعلية خبر(ما)، على النار : جار ومجرور متعلقان بأصبرهم.

والضلالة التيه والغواية، وضد الهداية والرشاد.

قال لبيد :

مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ اهْتَدَى

ناعِمَ البالِ ومن شاءَ أَضَلّ[1].

في سياق الآيات

بعد ان بينت الآيات السابقة ما رزق الله المسلمين والهداية والسعة وعدم التشديد، وهو رزق كريم بما فيه من التخفيف والعفو المقترن بالوعيد للكفار، اظهرت هذه الآية الخسارة الجسيمة بسبب الكتمان ووبال الشراء بالثمن القليل وما فيه من الشر والأذى والعقاب المستديم.

---

(١)الأغاني ٤٨٤/٢.

صلة هذه الآية بالآيات المجاورة على شعبتين :

الأولى : صلة هذه الآية بالآيات السابقة، وهي على وجوه:

الأول : صلة هذه الآية بالآية السابقة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[1]، وفيها مسائل :

الأولى : وحدة الموضوع الآيتين، ومن خصائص ومنافع هذه الوحدة أمور :

الأول : بيان الضرر المترشح عن كتمان التنزيل.

الثاني : تأكيد إستحقاق الذين يخفون التنزيل العذاب الأليم.

الثالث : بعث النفرة في النفوس من كتمان التنزيل.

الرابع : تنمية ملكة الجدال والإحتجاج عند المسلمين، ومواجهة الذين يخفون التنزيل بإعلان قبح هذا الإخفاء، وبيان حقيقته لأتباع الذين يكتمون التنزيل لبعثهم على الإعراض عنهم والتبرء من فعلهم.

الثانية : إبتدأت آية البحث باسم الإشارة (أولئك) للدلالة على الاسم الموصول الذي إبتدأت به الآية السابقة (الذين) وفيه إخبار عن إشتراكهم جميعاً بالفعل وقصد المتاع القليل في كتمان وإخفاء التنزيل، وتقدير الجمع بين الآيتين: إن الذين إشتروا الضلالة بالهدى.

الثالثة : قد يقول قائل إن كتمان التنزيل أمر قلّ ضرره بفضل من الله ونزول القرآن الذي جعله الله ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ

(١)الآية ١٧٤.

﴿شَيْءٍ﴾(١)، لتكون حقائق التنزيل كلها في القرآن لأنها من(كل شيء) المذكورة في الآية أعلاه.

والجواب لقد جاءت آية السياق لبيان وتوثيق الجنف والظلم والخيانة في كتمان الآيات، وقيام أصحابه بخلاف وظيفتهم في تعاهد أمانة التنزيل وإيصالها إلى الناس، وإعانتهم على الإيمان بالله والأنبياء.

الرابعة : لما أختتمت آية السياق بقوله تعالى(ولهم عذاب أليم) أختتمت هذه الآية بقوله تعالى﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ لبيان وتفسير العذاب الأليم وأن المقصود به نار جهنم، وعلى فرض المعنى الأعم لقوله تعالى﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، وأن المراد أكل النار في الدنيا والآخرة مع التباين في ماهية النار فيهما، فأكل النار في الدنيا هو أكل الخبيث والشعور بالمرارة والأسى أثناء أكل الثمن القليل الذي باعوا به الأمانة وآيات التنزيل، فلا يجدون طعماً ومذاقاً للمتاع والجاه الذي ينالون عوضا وبدلاً عن إخفاء التنزيل.

الثاني : صلة الآية بقوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(٢)، وفيه مسائل :

الأولى : بيان التباين والتضاد بين حال أهل الإيمان وأهل الكفر وكتمان التنزيل في الدنيا والآخرة.

الثانية : بينما يأكل المؤمنون الطيبات بفضل من الله، فإن ذات الأكل يكون وبالاً على الذين يخفون البينات، والبشارات

---

(١)سورة النحل ٨٩.

(٢)الآية ١٧٢.

بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيه زجر عن الكفر والجحود، ودعوة للناس للهداية والرشاد.

الثالثة : لقد جعل الله عز وجل التنزيل سبيل الهدى، وطريق النجاة، وجعل الدنيا دار إمتحان وإبتلاء يجب على الناس ألا يفرطوا فيها في أمور الدين وأسباب الهدى، ونصوص التنزيل.

الرابعة : جاءت آية السياق بحث المسلمين على الشكر لله عز وجل، على نعمة الطيبات، وفيوضات التنزيل، وذات الأمر بالشكر، وقوله تعالى(وأشكروا الله) هو من التنزيل الذي تعاهده المسلمون، وحرصوا على عدم إخفائه وهو باق إلى يوم القيامة وهو من مصاديق الهدى.

الخامسة : ترغيب الناس بالإسلام وعبادة الله وبيان حقيقة وهي أن الحفاظ على مسالك الإيمان والهدى خير في الدنيا والآخرة، أما التفريط بالهدى وطلب ثمن قليل من متاع الدنيا بما جعل الله عز وجل عند الناس من ودائع وأمانات الهداية فهو خسارة في النشأتين.

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾(١)، وفيها مسائل :

الأولى : بيان تعدد وجوه الظلم والجحود التي يقوم بها الكفار.

الثانية : هل إمتناع الكفار عن إتباع التنزيل من كتمان آيات التنزيل الجواب بينهما عموم وخصوص من وجه، فمادة الإلتقاء

(١)الآية ١٧٠.

هي الجحود بالتنزيل، ومادة الإفتراق إقرار الذين يصدون على أتباع آبائهم بالتنزيل مع إمتناعهم عن إتباعه، أما الذين يكتمون التنزيل فأنهم يخفون الآيات ويحرفون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين بيان الأذى والضرر الذي يلاقيه المسلمون من الكفار والجاحدين والذين يكتمون التنزيل، لذا ذرب الله المسلمين للجهاد في سبيله قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لكم﴾[(١)]، وهذا الفرض لا يتعارض مع بعث المسلمين على الصبر على الأذى، وبذل الوسع في إقامة الحجة على الكفار والجاحدين.

الثانية : صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ....﴾[(٢)]، وفيها مسائل :

الأولى : يفيد الجمع بين الآيتين إقامة الحجة على الكفار والذين يخفون البينات وكنوز التنزيل.

الثانية : نزول الكتاب رحمة وفضل من الله عز وجل على الناس جميعاً، ولا يستطيع الذين يخفون التنزيل حجبه عن الناس، قال تعالى ﴿مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾[(٣)].

الثالثة : يتضمن قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾

---

(١)سورة البقرة ٢١٦.

(٢)الآية ١٧٦.

(٣)سورة فاطر ٢.

السكينة والبشارة للمسلمين في دفع كيد الكفار، وحجب الضرر الذي قد يترشح من كتمان فريق من أهل الكتاب لآيات التنزيل، ومن مصاديق نزول الكتاب بالحق أن إخفاء التنزيل شراء للضلالة، وإضرار بالنفس في الدنيا والآخرة.

الرابعة : بيان حاجة أهل الكتاب لإظهار التنزيل، والرجوع إلى القرآن لمنع الفرقة والخصومة التي تؤدي إلى الضلالة، ففي نزول القرآن قطع للخصومة بين أهل الكتاب.

وهو من أسرار سلامته من التحريف لأن هذه السلامة واقية من الشقاق والخصومة والإقتتال بين المسلمين، فإن قلت يحصل الخلاف أحياناً بين المسلمين ودولهم، والجواب من وجوه :

الأول : هذا الإقتتال عرض زائل.

الثاني : إذا حصل إقتتال بين طرفين وفريقين من المسلمين فإن باقي المسلمين يهبّون للصلح ومنع الفرقة بأمر من الله عز وجل، قال تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[1].

الثالث : المراد من منع الإقتتال هو ما يحدث بسبب الشقاق والإختلاف في التنزيل وتأويله والعمل بأحكامه، فمن فضل الله عز وجل على المسلمين تراهم يقفون في يوم واحد على جبل عرفة ويؤدون مناسك الحج وفريضة الصيام في أيام مخصوصة يكون فيها شهر رمضان الوعاء الزماني لهذه الفريضة، قال تعالى ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

(١)سورة الحجرات ٩.

﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[(١)].

الرابع : منع الإقتتال بين المسلمين مقدمة ووسيلة لتعاهد التمسك بالقرآن والتفقه في الدين، وإتيان مصاديق البر.

الثاني : الصلة بين هذه الآية وقوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[(٢)]، وفيها مسائل :

الأولى : جاءت آية السياق لدعوة الناس إلى مصاديق البر والصلاح وزجرهم عن مقدمات وسبل الضلالة.

الثانية : بين الهدى وأفراد البر عموم وخصوص مطلق، فكل واحد منها هدىً ورشاد.

الثالثة : يفيد الجمع بين الآيتين لزوم عدم التفريط بوجه من وجوه البر لأنها هدى وصلاح.

الرابعة : البقاء على إستقبال المشروق والمغرب والإصرار على ترك إستقبال البيت الحرام من كتمان التنزيل، فمن مضامين البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية السابقة توجهه إلى البيت الحرام.

الخامسة : لما أختتمت آية البحث بقول تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ جاءت آية السياق بسبل متعددة للنجاة من النار من أجلاها الصبر في جنب الله، وقهر النفس في طلب مرضاته تعالى، وتسخير الجوارح في طاعته وبر الوالدين.

لقد أراد عز وجل للإنسان أن يسعى لفعل الخيرات ليفوز في الآخرة.

---

(١)سورة البقرة ١٨٤.

(٢)سورة البقرة ١٧٦.

السادسة : من خصائص القرآن أنه لم يقتصر على ذم الذين كفروا وأخفوا التنزيل بل تفضل بالإخبار بأنه يظهر التنزيل ويبين سبل النجاة ولزوم إتيان مصاديق البر، ليفيد الجمع بين الآيتين الدعوة للتوبة من كتمان التنزيل، والمبادرة لفعل الخيرات والتسابق في الصالحات، قال تعالى ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾[1].

إعجاز الآية

المقارنة الجلية والخالية من الوسطية والبرزخية بين الضلالة والهدى وبين العذاب والمغفرة.

وفي قوله تعالى ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾، قال أبو إسحاق : ليس هنا شِراءٌ ولا بيعٌ ولكن رغْبتُهم فيه بتَمَسُّكِهم به كرَغْبة المُشْتري بماله ما يَرغَبُ فيه والعرب تقول لكل من تَرك شيئاً وتمسَّكَ بغيره قد اشْتراهُ)[2]، ولكن الكلام يحمل على ظاهره، ولا ينصرف إلى المجاز إلا مع القرينة، لقد طمع هؤلاء في الضلالة، وسعوا إليها عن إختيار، وكان الثمن هو التفريط بالهدى الذي هو علة خلق الإنسان.

جاءت الآية السابقة بذم الذين يخفون التنزيل ويكتمون ما ورد في أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوان رسالته، وظهوره على أعدائه بالمعجزة والمدد الإلهي، وذكرت وجوه العذاب الذي ينزل بهم، وفيه كفاية للنفرة من كتمان التنزيل وأهله، وحجة وتأكيد على سوء عاقبتهم.

---

(١)سورة مريم ٦٠.

(٢)لسان العرب ٤٢٧/١٤.

ولكن جاءت آية البحث بذات الموضوع وبصيغة البيان الإضافي، والبرهان المتعدد، إن مجيء آيتين في ذات الموضوع يدل على لزوم الحذر واليقظة من كتمان الآيات، ويبين أن هذا الكتمان ضرر وإضرار وحرب على القرآن والنبوة، لتتعاضد الآيتان على التنزه منه، والإحتراز من أهله وبعث روح التوبة في نفوس الذين يخفون البينات وكنوز التنزيل.

لقد جعل الله عز وجل العقل رسولاً باطنياً عند الإنسان، وإماماً ذاتياً يقود الجوارح والأركان إلى ما فيه السلامة في النشأتين، فجاءت آية البحث بمخاطبة العقول في بيان سوء فعل الذين يكتمون التنزيل وأنهم إشتروا الضلالة، ولا أحد من العقلاء يسعى لإبدال الهدى بالضلالة والعمى بنعمة البصر، فكيف وهو مجلبة للخزي والعذاب الأخروي، وقيل معنى قوله {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} أي: ما أدومهم لعمل المعاصي التي تفضي بهم إلى النار)[1].

وجاءت الآية بصيغة اللف والنشر، وتقدير الآية: إشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا، والعذاب بالمغفرة في الآخرة، وفيه إعجاز إذ أن شراء الضلالة عن إختيار وقصد لأن الدنيا دار عمل بلا حساب، أما في الآخرة فليس للناس إختيار، وقدرة على الشراء وإجراء العقود والقبول والإيجاب، ومع هذا جعلت الآية نزول العذاب بالذين يكتمون التنزيل وأمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشراء والسعي.

(وأخرج عن مجاهد في قوله {فما أصبرهم على النار} قال: والله ما لهم عليها من صبر ولكن يقول: ما أجرأهم على

---

(١)تفسير ابن كثير ٤٨٤/١.

النار)[1]، لبيان حقيقة وهي أن الذي يكتم التنزيل يعلم سوء عاقبته وأنه سبب لأمور :

الأول : حجب رحمة الله عنهم يوم القيامة، وعدم تكليم الله عز وجل لهم قال تعالى ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾[2].

الثاني : حرمانهم من التطهير ومغفرة الذنوب يوم القيامة.

الثالث : نزول العذاب الأليم بالكفار الذين يصرون على الجحود وإخفاء التنزيل بخلودهم في الجحيم.

إن إختتام الآية بصيغة الإستفهام وإرادة الذم والتوبيخ للكفار وتأكيد سوء عاقبتهم، بعث للسكينة في نفوس المسلمين من التعدي والضرر الذي يترشح عن إخفاء وكتمان الآيات.

ويمكن أن نسمي هذه الآية آية (الذين إشتروا الضلالة بالهدى)، وقد ورد هذا اللفظ مرتين في القرآن، وكلاهما في سورة البقرة[3] ولم يرد لفظ (أصبرهم) في القرآن إلا في هذه الآية.

الآية سلاح

الآية تساعد المسلمين في معرفة طبيعة عمل رؤساء اهل الكتاب ممن يخفي الآيات وما يؤول اليه مصيرهم يوم القيامة.

تبين الآية التضاد والتباين بين الهدى والضلالة، ولزوم عدم التفريط بالهدى، ولأن هذا التفريط يقود صاحبه إلى العذاب

(١)الدر المنثور ٣٤٠/١.
(٢)سورة الرعد ١٥.
(٣)أنظر الآية ١٦ من سورة البقرة.

الأليم، وتحتمل سنخية الهدى وجوهاً :

الأول : إنه أمر فطري موجود عند كل إنسان.

الثاني : الهدى أمر خاص بأهل الكتاب والمسلمين.

الثالث : الهدى نعمة خاصة بالعلماء من أهل الكتاب والمسلمين فمن مصاديقه البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإخبار عن نبوته، ولزوم التصديق به.

والصحيح هو الأول، فقد تفضل الله عز وجل على الناس وجعل الهدى مصاحباً لهم بآيات كونية ودلالات عقلية وأسباب جذب للإيمان، ومنها بعثة الأنبياء، وتنزيل الكتب السماوية، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

وفيه دعوة للمسلمين للتمسك بالهدى، وحجة على الكفار الذين يعزفون عن مضامين الهدى والصلاح لمتاع قليل في الدنيا، مع أن الثبات في منازل الهدى لا يحجب المتاع ومنافع الدنيا.

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما يأتيه وفد من عامة القبائل يقوم بتعليمهم الصلاة وأحكام الشريعة بالبقاء عدة أيام في المدينة المنورة ثم يجعل كبيرهم وزعيمهم إماماً لهم إذا أحسن القراءة وأداء الصلاة، وكما أن هناك تضاداً بين الضلالة والهدى في الدنيا فإن هناك تضاداً وتناقضاً في الآخرة بين أهل الجنة وأهل النار.

فمن ينال العفو والمغفرة من الله تكون عاقبته إلى الجنة.

وجاءت الآية بالإخبار عن حجب الذين يكتمون التنزيل

---

(١)سورة الذرايات ٥٦.

عن أنفسهم العفو والمغفرة، قال تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾[1].

مفهوم الآية

تصاحب مسألة البيع والشراء الإنسان في حياته اليومية، وتأخذ شطراً من حياته اليومية اما بالمزاولة او بالمعاملة او التفكير والهم والأماني والترجي بحصول شراء او بيع فيه ربح وقد تظهر بصورة خوف او حزن من بيع بثمن بخس او شراء بسعر مرتفع او حصول غلاء عام.

فجاءت الآية بتشبيه الأمور العقائدية بالأمور المحسوسة اليومية لتكون اقرب الى الأذهان، ومن فوائد هذا التشبيه الحث على ايلاء الإختيار العقائدي عناية خاصة لأن الإيمان حاجة للإنسان فاذا كان يمارس الشراء والبيع لحاجات الدنيا الآتية وتحصيل المأكل والمشرب والملبس فان شراء الهداية فيه النجاة والفوز في النشأتين ولا يستلزم رأس مال ومشقة وعناء بدني بل انه يتطلب عدم اخفاء الحقائق وكتمان البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واخبار الكتب السماوية السابقة بحتمية بزوغ شمس الإسلام.

وفي أحكام الفقه ينعت بالسفه وخفة العقل من لا يحسن الشراء ويضر نفسه ويعّرض أمواله للتلف وقد يستلزم الأمر الحجر عليه والحد من تصرفاته المالية، والآية صريحة بان كتمان الآيات من اشد انواع السفه الذي تتعدى اضراره الشخص نفسه

(١)سورة الزخرف ٦٥.

لتضر الناس والنوع والدين والأجيال اللاحقة لذا جاءت الآية بانذاره وتخويفه واخباره بما ينتظره من العذاب الأليم.

وهذا الإنذار يدل على انه ليس بسفيه ولكنه ظالم لنفسه ولغيره إختار جادة العناد، وتتجلى بين ثنايا الإنذار معاني الرحمة والعفو ليستيقظ من سبات الغفلة واغفاءة الجهل، ويحس بألم العذاب وينفر من المنافي الذي يقود اليه، ويشعر بتحقيق الأماني وادراك الملائم بكشف الحقائق واتباع الهدى والتدبر بالآيات.

الآية لطف

تدل آيات الإنذار والوعيد على حقيقة وهي أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة ولطف بالناس المؤمن والكافر، فينتفع منها المؤمن ويزداد إيماناً بتقيده بوظائفه العبادية وفق ما جاء بها القرآن والسنة، وتتصل وتتوالي إنذارات القرآن، ولما إحتج الملائكة على جعل آدم خليفة في الأرض كما ورد في التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾(١)، جاء الرد من الله عز وجل حجة قاطعة، وشاهداً على رحمة الله عز وجل في خلق الإنسان وجعله خليفة ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢)، ومن علم الله عز وجل في إصلاح الإنسان لخلافة الأرض أمور :

الأول : نزول الكتب السماوية على الأنبياء السابقين.

الثاني : تضمن الكتب السماوية السابقة أسباب الهداية والصلاح.

الثالث : مجيء البشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وآله

(١)سورة البقرة ٣٠.

(٢)سورة البقرة ٣٠.

وسلم في الكتب السماوية السابقة لتكون أمل المستضعفين، وسبب إزاحة مصاديق الضلالة عن الأرض.

الرابع : نزول القرآن جامعاً للأحكام الشرعية.

الخامس : مجيء قصص الأمم السابقة في القرآن لتكون موعظة وعبرة، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[(1)].

السادس : نزول آية البحث وما فيها من الذم للذين يفرطون بأمانة التنزيل ويقومون بإخفاء أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاءهم بالتركة العلمية، ووراثة الأنبياء الصالحين من أتباعهم، قال تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[(2)].

السابع : تلاوة المسلمين والمسلمات لهذه الآية في اليوم والليلة وفي هذه الآية مسائل :

الأولى : تجديد إنذار الكفار، وبعث الفزع والخوف في نفوسهم.

الثانية : التذكير المتجدد بعذاب الآخرة، والملازمة بين العذاب وبين كتمان آيات التنزيل.

الثالثة : بعث التساؤل في نفس الكفار هل يستطيعون الصبر على حر النار الدائم.

وفي الآية واقية للمسلمين من الكيد والمكر الذي يكمن وراء كتمان الآيات وبشارات النبوة.

---

(١)سورة يوسف ١١١.

(٢)سورة مريم ٥٩.

إفاضات الآية

جاء القرآن بالبشارة والإنذار، فالبشارة لأهل الإيمان، وفيه دعوة لهم لتعاهد منازله، والإرتقاء في مراتب التقوى والصلاح، والتوجه إلى الله عز وجل بالشكر والثناء على تجلي المصاديق العملية للبشارات القرآنية بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والنصر الذي يحققه المسلمون من غير علة مادية من كثرة رجال أو عدة وخيل، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1].

أما الإنذار فأنه زاجر للكفار عن كفرهم ودعوة لهم للتوبة، والقرآن مدرسة الإنذار فليس من كتاب يتضمن بعث النفرة الشخصية والنوعية من الفعل الذي يرد ذمه وتقبيحه في القرآن، فلا تجد من يستطيع الجدال في إنذارات القرآن لأنها من المسلمات التي يدرك العقل صحتها وسلامتها.

وآية البحث من الشواهد على لزوم الإتعاظ بالإنذار القرآني، وإتخاذه موعظة ومناسبة للتوبة، وسفينة للعبور والنجاة في أمواج الأفكار المتلاطمة التي تتصارع عند غلبة الهوى في فعل وتولد فريق من الناس حباً للدنيا وثمن قليل زائل كما ذكرت الآية السابقة.

لقد جاء الإنذار في هذه الآية بالبيان والحجة، والجمع وإتحاد أفراد الزمان الطولية في العوالم الثلاث الدنيا والبرزخ ويوم القيامة، وإن الدنيا مزرعة للآخرة فمن يزرع كتمان الآيات ويبذل جهده فيه لا ينال إلا الخسران في الآخرة، لأن هذا الزرع معصية ومكر وجحود.

(١) سورة آل عمران ١٢٢.

وجاءت آيات القرآن بالحث على الصبر وبيان منافعه في الدنيا والآخرة، قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]، بينما جاءت آية البحث بذم الكفار على إختيارهم الصبر على النار، وهل هو تخصيص وإستثناء من عمومات الحسن الذاتي والعرضي للصبر، الجواب لا، لأن الصبر المذكور في آية البحث جاء بخصوص عالم الحساب في الآخرة إذ لا عمل وإختيار بالإضافة إلى إرادة قبح الفعل في الدنيا الذي يجلب العذاب في الآخرة.

وأخرج ابن جرير عن قتادة في{فما أصبرهم} قال : ما أجرأهم على العمل الذي يقربهم إلى النار)[2].

الصلة بين أول وآخر الآية

إبتدأت الآية باسم الإشارة (أولئك)للإخبار عن تعلق مضامينها في ذم الذين ذكرتهم الآية السابقة ممن يكتم التنزيل والأحكام ويصر على إخفاء أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتحريف نعته الذي ورد في الكتب السماوية السابقة.

ولم يرد في هذه الآية تكرار للفعل القبيح الذي كان يقوم به هؤلاء، إلا أنها إبتدأت باسم الإشارة الذي يدل على البعد والإزدراء والذم، ثم وصفت سوء فعلهم بأنه شراء للضلالة، ومن الآيات في نظم الآيات تكرر لفظ الشراء في الآيتين.

ومن خصائص الشراء والبيع أنه يكون بين طرفين أحدهما بائع والآخر مشتر، والبيع جعل عين بأزاء عوض مقدر على نحو

---

(١)سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢)الدر المنثور ١/٣٤٠.

التراخي ويكون التقابل فيه على وجوه ثلاثة :

الأول : التعارض بين مالين.

الثاني : التقابل بي فعلين.

الثالث : التعارض بين مال وفعل، ويكون الفعل نوع طريق جعلي وبدلي للمال.

ولكن البيع والشراء في الآية الكريمة قام به طرف واحد، يشتري لنفسه ويبيع ما عنده فقد باعوا الهدى الذي رزقهم الله بالضلالة التي هي ضرر محض، وإشتروا العذاب وهو عقاب.

ويدل الجمع بين الآيتين على أن كتمان التنزيل ضلالة، طلبها أولئك عن قصد وإختيار، وإن اللهث وراء الدنيا وجعل إخفاء الآيات والبشارات ثمناً وعوضاً سبب لجلب العذاب للذات.

ويفيد قوله تعالى(إشتروا الضلالة) حقيقة وهي أن الضلالة أمر وجودي وليس عدمياً، وأن من يطلبها يجدها ويعثر عليها، ترى لماذا لم يجعل الله عز وجل برزخاً بينها وبين الناس، الجواب من وجوه :

الأول : جعل الله عز وجل الحياة الدنيا إمتحاناً وإختباراً، قال تعالى﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

الثاني : تفضل الله عز وجل وأنزل الكتب السماوية وبعث الأنبياء، وكل آية من التنزيل برزخ وحاجب دون الضلالة.

الثالث : الضلالة قبيحة ذاتاً، وهي تتنافى مع الفطرة الإنسانية وإدراك العقل، وقد لا يعلم المنغمس في المعصية والعناد أنه ضال مضل فجاءت آية البحث لبيان حقيقة

(١)سورة الإنسان ٣.

وهـي أنـه قصـد الضـلالة وإشـتراها بـأغلى الأثمـان ومـا لا يعادلـه شـيء مـن مـن ملـك الـدنيا وهـو (الهـدى) لتكـون حالـه وفق القاعدة والقياس الإقتراني:

الكبرى : الملازمة بين الضلالة والعذاب الأليم.

الصغرى : كتمان التنزيل ضلالة.

النتيجة : الملازمة بين كتمان التنزيل والعذاب الأليم.

ولم تقـل الآيـة (إشـتروا الضـلالة) مـن غـير ذكـر الـثمن، بـل ذكـرت الهـدى الـذي جعلـه هـؤلاء ثمنـاً لتحـريض المسـلمين والنـاس علـيهم جميعـاً، فـلا يرضـى علـيهم أحـد أبـداً لأنهـم إشـتروا الأذى والعـذاب بـالخير المحـض والسـعادة الأبديـة، فمـن خصـائص الهـدى أنـه جنـة وسـكينة في الـدنيا، قـال تعـالى﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(1).

وقـد تكـون بعـض المفـاهيم متباينـة المصـداق عنـد النـاس، فـترى فـريقين أو أكثـر بيـنهم خصـومة ونـزاع كـل فريـق مـنهم يظـن أنـه علـى الحـق، وأن خصـمه علـى الباطـل، بحسـب اللحـاظ والمصـداق، والحجـة، فجـاءت الآيـة الكريمـة بمفـاهيم لا تقبـل الترديـد وتكـون واضـحة جليـة عنـد النـاس جميعـاً، إذ أن الضـلالة تيـه وإنحـراف مذموم بمراتبه المتعددة .

والأصـل في لفـظ المعـاملات أنهـا موضـوعة للصـحيحة وهـو المشـهور بلحـاظ أن المعلامـات إمضـائية وليسـت شـرعية، ولكـن الآيـة جـاءت بـالمعنى الأعـم وإرادة المجعـولات الشـرعية ولبيـان حقيقـة أن شـراء الضـلالة بالهـدى أمـر فاسـد ولا أصـل لـه، وأن الـذين

(1)سورة الرعد ٢٧.

يكتمـون التنزيـل بـاعوا مـا لا يجـوز بيعـه، وإشـتروا مـا لا يصـح شراؤه، ليبوؤا بـوزر إضـافي آخـر غـير كتمـان التنزيـل، وهـذا الـوزر مركب من أمرين :

الأول : بيع الهدى والتفريط به.

الثاني : شـراء الضـلالة والسـعي إليهـا، والأصـل في البيـع أن يكون عيناً يصح تملكها وإن كانت مشاعاً أو كلياً في المعين كالكيلو في كـيس، أو دَينـاً، بخـلاف الإجـارة الـتي هـي نقـل للمنفعـة، أو العارية التي هي نقل للإنتفاع، وتكون العين المباعة عيناً شخصية خارجيـة وأمـا العـوض فلابـد أن يتصـف بـأمور يـدل عليـه النقـل والعقل وهي :

الأول : الفرد الصحيح من العوض.

الثاني : الجواز شرعاً، وإنعدام النهي عن تملك العوض.

الثالـث : يصـدق العـوض علـى المـال والعمـل والمنفعـة والحـق الـذي يصـح نقلـه أو إسـقاطه، وأكـدت الآيـة تفـريط الـذين يخفـون التنزيـل بالهـدى لمخاطبـة النـاس جميعـاً بمـا مرتكـز في الأذهـان بخصوص البيع، ولزوم الشروط العامة للعقود.

إن الـذين يخفـون الآيـات يخـالفون القواعـد والأصـول فيبيعـون مـا لا يجوز بيعه، ويشترون مـا لـيس لـه منفعـة وغـرض عقلاني وفيـه زيـادة في تـوبيخهم، ودعـوة للنـاس للإعـراض عـنهم، لتـأتي معجـزات الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم العقليـة والحسـية لتدعوهم جميعاً للإسلام، قال تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[1].

فيكـون مـن الإعجـاز في سـياق الآيـات وصـلة آيـة البحـث بالآيـة أعـلاه أن الله عـز وجـل يتفضـل علـى الـنبي محمـد صـلى الله عليـه

(١)سورة سبأ ٢٧.

وآله وسلم بتهيئة مقدمات دعوة الناس للإسلام، بفضح دعوات الضلالة وذم الذين يخفون التنزيل بما يجعل الناس يتعدون عنه، ويتوجهون صوب رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيجدون الحق والهد، لتنفعهم آية البحق في أمور :

الأول : عدم التفريط بالهدى.

الثاني : الإعتبار من الذين يخفون التنزيل.

الثالث : وإجتناب طريق الضلالة الذي إتبعوه.

الرابع: الخشية والخوف من العذاب الذي يترشح قهراً وإنطباقاً من الضلالة والكفر.

الخامس : إجتناب تقوية الباطل، والإعراض عن الفساد في الأرض وجاءت الآية بذكر الهدى ويحتمل في المقام وجوهاً :

الأول : إعلان التنزيل والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جاءت في الكتب السماوية السابقة.

الثاني : إجتناب تحريف آيات التوراة والإنجيل، قال تعالى﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾[1].

الثالث : التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآلله وسلم ونصرته وإتباعه، قال تعالى﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

الرابع : المعجزات والدلالات الباهرات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

---

(١)سورة غافر ٥٣.

(٢)سورة الأعراف ١٥٧.

بِالْهُدَى﴾[1].

الخامس : قال ابن كثير: اعتاضوا عن الهدى، وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به من كتب الأنبياء واتباعه وتصديقه)[2].

بإخفاء البشارات بالنبي يصدون عن المعجزات العقلية والحسية التي جاء بها، ويشككون بها، وينكرونها ويمتنعون عن إذاعتها بين الناس ولكنهم لم يحجبوا الحق والحقيقة.

ويبين قوله تعالى(والعذاب بالمغفرة) أن المغفرة قريبة من كل إنسان، وليس بينه وبينها إلا التوبة، وهل هذه الآية من عمومات قوله تعالى﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[3].

الجواب نعم من وجوه :

الأول : تتضمن الآية أعلاه الزجر عن إخفاء التنزيل.

الثاني : الآية هداية إلى التوبة والإنابة.

الثالث : الآية أعلاه واقية من الركون إلى الذين يكتمون التنزيل.

الرابع : في الآية حث على التوبة، وبعث الشوق في النفوس للجنة، وإدراك لزوم الفوز بالمغفرة، وإتخاذها طريقاً للجنة ، قال تعالى﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4].

ومن إعجاز نظم آية البحث بلحاظ خاتمتها أمور :

---

(١)سورة الصف ٩.

(٢)تفسير ابن كثير ٤٨٤/١.

(٣)سورة البقرة ٢٢١.

(٤)سورة آل عمران ١٣٣.

الأول : أنها لم تكتف بذم الذين يخفون الآيات لشرائهم الضلالة والعذاب، بل جاءت بالبيان والتفصيل.

الثاني : يجعل هذا البيان موضوع وأحكام الآية ظاهرة للناس جميعاً على إختلاف مشاربهم ومداركهم بأن أختتمت بقوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾.

ليكون هذا البيان من عمومات قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

الثالث : بعث النفرة في نفوس الناس جميعاً من النار والذي يصبرون على عذابها.

الرابع : خاتمة الآية شاهد دنيوي على حال أخروي إذ يرى الناس يوم القيامة الذين يكتمون ما أنزل الله في النار فيتعجبون من صبرهم مع شدة حرّها وأليم عذابها.

الخامس : تجديد وتكرار الدعوة للذين يخفون الآيات والبشارات بالنبي محمد للتوبة والإنابة وإظهار تلك البشارات خصوصاً وأن المعجزات التي جرت على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودخول الناس أفواجاً في الإسلام لم يبق موضوعية لإخفاء تلك الآيات والبشارات، فهي بذاتها ظاهرة للحواس، مدركة بالفعل والوجدان، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[2].

---

(١)سورة الأنبياء ١٠٧.

(٢)سورة النصر ١-٢.

من غايات الآية

في الآية مسائل :

الأولى : زيادة توبيخ الذين يكتمون التنزيل والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومن إعجاز الآية أن هذه الزيادة لم تأت مجردة بل هي مصاحبة للبراهين التي تدل على صدق نبوته، وقيامه بتبليغ الرسالة وأداء الأمانة السماوية.

الثانية : شكر الله عز وجل للمسلمين لأنهم لم يلتفتوا إلى الذين يحرفون صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستمعوا لقولهم بأن المذكور في التوراة من نبي آخر الزمان لا تنطبق عليه.

نعم عدم الإلتفات هذا جاء بفضل من الله عز وجل فهو الذي جعل المعجزات تترى على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي هدى المسلمين إلى الإيمان وفي التنزيل﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾[(١)].

الثالثة: بعث المسلمين والناس للإستعاذة بالله من كتمان التنزيل لأن عاقبته النكال والأغلال والخلود في الجحيم.

الرابعة: ذكر حال فريق من أهل الكتاب، وبيان الأذى الذي يلاقيه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته إلى الله، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما أوذي نبي مثل ما أوذيت) [(٢)].

الخامسة : بيان قانون ثابت وهو أن النبوة لا يضرها إخفاء

(١)سورة الأعراف ٤٣.

(٢)مفاتيح الغيب ٤٥٤/٢.

وكتمان التنزيل وهناك مسألتان :

الأولى : أيها أشد كتمان التنزيل أم محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين.

الثانية : هل من صلة بين كتمان التنزيل وتجهيز قريش الجيوش على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين.

أما الأولى فإن الحرب ومقاتلة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين هي الأشد والأكثر ضرراً لما فيه من زهوق الأرواح ومحاولة الإجهاز على الإسلام، قال تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[1].

وأما الثانية فالصلة ظاهرة بين الأمرين، وتكذيب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتمان صفاته في التوراة والإنجيل إغراء للكفار به، وقد سأل كبار كفار قريش بعض أهل الكتاب عن صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنكروها.

السادسة : التذكير بعالم الآخرة، وأن دخول النار لا يكون إلا بحجة بينة على الكفر والضلالة، وقد يظن بعضهم أن إخفاء البينات والبشارات من الصغائر والذنوب التي لا تستوجب النار، فجاءت الآية بتأكيد إستحقاق النار عليه لذا فمن إعجاز الآية أنها لم تذكر تحريف التنزيل والبشارات، قال تعالى ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[2]، بل جعلت الآية كتمان التنزيل وحده شراء للضلالة وإختياراً للعذاب ، والخلود في النار.

السابعة : جاءت خاتمة الآية(فما أصبرهم على النار) خطاباً

---

(١)سورة البقرة ٢١٧.

(٢)سورة النساء ٤٦.

للعقلاء ذكوراً وأناثاً، فكيف يصبر الإنسان على النار التي يجلبها لنفسه بجنايته، وهذه الجناية هي الضلالة وهي وفق القياس الإقتراني :

الكبرى : مشتري الضلالة في النار.

الصغرى : الذي يكتم التنزيل مشتر للضلالة.

النتيجة : الذي يكتم التنزيل في النار.

التفسير

إبتدأت الآية باسم الإشارة للجمع وإرادة البعيد (أولئك) ومن معاني البعد في المقام أمور :

الأول : الذم والتقبيح للذين يخفون الآيات والبشارات.

الثاني : تأكيد سوء العاقبة الذي ينتظرهم في الآخرة والذي أختتمت به الآية السابقة.

الثالث : بعث النفرة في نفوس الناس جميعاً من كتمان التنزيل وما فيه من البشارات.

الرابع : دعوة المسلمين للجهاد في سبيل الله بالحكم وإظهار المعجزات التي جاء بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الخشية من الذين يخفون البينات، وهذا الجهاد والسعي من عمومات قوله تعالى﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الخامس : الحث على التدبر في مضامين الآية السابقة وما فيها من أسباب إستحقاق الذين يخفون المعجزات والبشارات البعد والنفرة.

السادس : جعل المسلمين في حال حذر وإتصال مستمر من الذين يكتمون التنزيل والبشارات وإن كانوا أصحاب رياسة بين

(١)سورة آل عمران ١١٠.

قومهم، ولهم أتباع وأنصار، إنما إختاروا كتمان التنزيل طمعاً بالهدايا والأكلات والمنافع الدنيوية القليلة التي تأتيهم من هؤلاء الأتباع.

وهل تدل الآية على دعوة هؤلاء الأتباع للإبتعاد عن الذين يخفون التنزيل، وعدم الإنقياد لهم، الجواب نعم، وهو من معاني شدة التوبيخ والذم لهم، قال تعالى ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾(١).

قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾

الأولى : (اولئك) اسم إشارة للبعيد والمراد به المذكورون في الآية السابقة ممن يخفي الآيات المنزلة.

الثانية : الإشارة اليهم بمضامين البعد يدل على قلة اعتبارهم وعدم تأثيرهم.

الثالثة : تبين الآية ان الناس خلقوا على الفطرة والايمان، فالكفر يأتي لبعضهم عرضاً بالاختيار.

الرابعة : هل الثمن القليل الوارد في الآية السابقة هو الضلالة، الجواب : ان الثمن القليل متاع زائل وعرض قليل لا اعتبار له يدل في ذاته على الضلالة والعمى وعدم الاعتداد به.

الخامسة : إظهار الآيات عنوان الهدى، ويؤدي الى المراتب الأعلى في سلم الهداية.

السادسة : ليس من دليل على حصر العذاب بالآخرة كعقوبة أخروية بل يحمل على المعنى الأعم، وتعرضهم للعذاب في الدنيا سواء بما يعانون من الاذى بسبب الكذب والافتراء

(١)سورة البقرة ١٦٦.

والجحود بالرسالة أو بتفرق اعوانهم عنهم فكل يوم يتلقون خبراً باسلام بعض اتباعهم.
السابعة : مع ان الآية توبيخ للكفار فانها في مفهومها تتضمن المدح للمسلمين بشرائهم وإكتسابهم الهدى واتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.
الثامنة : تظهر الآية الملازمة بين الهدى والإيمان في الدنيا ونيل الثواب في الآخرة من جهة، وبين الضلالة والكفر في الدنيا والعذاب والعقاب والخلود في النار في الآخرة، فنوع العمل في الدنيا يحدد المنزل في الآخرة.
التاسعة : تبين الآية ان الاصل في الآخرة هو المغفرة والعفو الإلهي، وان العذاب بسبب سوء الفعل فكأن الانسان يختار العذاب، ونعته بالشراء في الآية أشد وجوه التوبيخ والتقبيح، والإمتناع عن الأجر والثواب بالإختيار لا ينافي الإختيار.
العاشرة : اختيار وشراء العذاب أعم من ان ينحصر بالآخرة وان جاء السياق وكأنه خاص بالآخرة في مقابل شراء الضلالة وهي جزء من العمل.
الحادية عشرة : الآية بشارة العفو والمغفرة لأهل الكتاب الذين أعلنوا اسلامهم واخبروا عن علمهم ومعرفتهم بآيات النبوة الواردة في التوراة والإنجيل.
الثانية عشرة : الأصل في الفكر والعقيدة هو الهدى والإيمان، أما الكفر والضلالة والجحود فهي عناوين اضافية طارئة وعرض اختياري زائل يختاره الإنسان على غير رشاد، ويؤكد قبحه منافاته لعلة خلق الإنسان وهي العبادة كما في قوله تعالى﴿وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الثالثة عشرة : ان منازل الناس في الجنة والنار معلومة في الدنيا، أي بالإمكان معرفة الإنسان لمقامه في الآخرة من خلال اختياره للإيمان او الكفر.

ووردت مادة (شرى) في هذه الآية والآية التالية﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى﴾ مع إتحاد الموضوع وطرف العقد، فمن خصائص الشراء أن يكون من البائع ،لتقوم معاملته بطرفين.

فجاءت الآيتان بإعجاز وهو أن الشاري والبائع واحد يبيع أعلى ما عنده ليشترى الضرر والعذاب، وإذ جاء لفظ الشراء في آية البحث بمعنى البيع فأنه جاء في الآية التالية بمعنى الشراء وليس البيع ليصدق على اللفظ أنه من الأضداد ليكون هذا الشراء مخالفاً للعقل والعرف والمعاملة بين الناس في ماهيته وإفتقاره إلى طرف آخر يتقوم به البيع والشراء.

وهذا التباين في ذات الموضوع والأطراف إعجاز قرآني وهو من عمومات قوله تعالى﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]، لأن الله عز وجل لم يجعل عند الناس إلا الهدى ومصاديقه، فإختار فريق منهم شراء الضلالة والسعي لها.

وتبين الآية حقيقة وهي أن المغفرة بيد الله عز وجل وأنه سبحانه لا يغفر للذين يكتمون التنزيل ويخفون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ

---

(1) سورة الذاريات ٥٦.

(2)سورة آل عمران ١١٧.

مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١]، لتكون آية البحث بياناً وتفسيراً لمصداق من مصاديق الآية أعلاه، فعندما تقرأ موضوعاً وحكماً في القرآن تجد له في آية أخرى بياناً وتفصيلاً، وفيه أمور :

الأول : تفقه المسلمين في عالم الكلام.

الثاني : معرفة المسلمين لأحوال الآخرة.

الثالث : منع الجهالة والغرر بخصوص الذين يستحقون العذاب،

الرابع : تأكيد الملازمة بين إختيار الضلالة في الدنيا وترتب العذاب عليه في الآخرة، قال تعالى ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٢].

بحث كلامي

من أسماء الله (الهادي) قال تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴾[٣] وقد هداه يهديه هدى وهداية : بصّره سبل الرشاد وقاده باتجاه الصواب، والهدى مذكر وبعضهم يؤنثه وهو ضد الضلال، ويأتي الهدى بمعنى الدلالة والدعوة والبينة ، وتفرد الله عز وجل بالهدى الذي يفيد معنى التوفيق.

وقد فرق بعضهم بين الهداية التي تفيد معنى الدلالة الموصلة الى المطلوب تلك التي تتعدى بنفسها الى المفعول الثاني، وبين التي تفيد معنى ما يوصل وهي التي تتعدى باللام او الى ، والاول يؤدي الى الغاية بخلاف الثاني، والحق ان الهداية عنوان

(١)سورة آل عمران ١٢٩.

(٢)سورة التوبة ٦٦.

(٣) سورة الليل ١٢.

شامل للأمرين خاصة عندما يتعلق الأمر بسعة رحمة الله تعالى.

لقد تفضل الله عز وجل وبعث الأنبياء وانزل الكتب السماوية لهداية الناس، ولكن اكثر الناس اختاروا الضلالة، وظهر ذلك واضحاً في فترة انقطاع النبوة، حتى صدع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة الخاتمة لعهد النبوة فبلغ من المراتب والفوز والانجاز ما لم يحققه من سبقه من الأنبياء، وحصلت لأمته من اسباب الهداية والرشاد ما تغبطهم عليه الأمم الأخرى بتوفيق من الله تعالى ورحمة مدخرة لهذه الامة، وكان المقام المحمود للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فضَلاً وآية وجزاء.

قوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ في الآية وجوه :

الأولى : انها نوع تعجب من فعلهم، وهو سبحانه العالم بكل شيء الا ان جاء مفهوم التعجب هنا للتوبيخ والتقريع لجرأتهم على الأقدام على ما يدخلهم النار.

الثانية : الظاهر ان هؤلاء يعلمون بان كتمان الآيات يدخلهم النار لذا ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في الآية : "ما اصبرهم على فعل ما يعلمون انه يصيرهم الى النار"[1]، أي بالاتيان بالمسبَب وارادة السبب، وهذا لا يتعارض مع حملنا للنار على المعنى الأعم فيشمل منافع الدنيا وعذاب الآخرة بل هو تصديق له.

الثالثة : قد ورد ذكر النار في نحو مائة وعشرين موضعاً من القرآن، وجاء ذكر الصبر القهري في موضوعها بقوله

(١)البحار ٢٩٨/٨.

تعالى ﴿فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾[1] وفي قوله تعالى ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[2] إخبار عن مكوثهم واقامتهم الدائمة في النار.

الرابعة : في الآية تأديب وتنبيه للمؤمنين وبيان لفضل الله تعالى عليهم بالنجاة من النار.

الخامسة : يمكن حمل (ما) على الإستفهام الإنكاري أي ما هو الشيء الذي جعلهم يصبرون على النار.

السادسة : بيان الملازمة والتعاقب بين الثمن القليل الذي اشتروا به كتمان الآيات وبين العذاب الدائم في النار.

السابعة : ذكرت النار في الآية، والمراد الفعل المؤدي الى دخولها للانذار والتحذير والتخويف من اقتراف السيئات.

الثامنة : ورد لفظ النار على الإطلاق مما يحتمل معه انها النار التي يأكلونها كثمن قليل من الجاه والكسب الحرام والرياسة الدينية والدنيوية وكثرة الاتباع بكتمان الآيات الذي ورد في الآية السابقة ﴿ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾ فيكون المعنى ما اصبرهم في الحياة الدنيا على ما يأكلون من النار، ويحسون من الألم والحسرة والندم على إخفاء الآيات بعد ان رأوا صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه المذكور في التوراة.

التاسعة : تدل الآية بالدلالة التضمنية على ان الذي يأكل من الكسب الحرام يقاسي ويعاني ويصارع النفس اللوامة،

---

(١) سورة فصلت ٢٤.

(٢) سورة الطور ١٦.

فلماذا هذا الكتمان وهم يواجهون الإسلام في الدنيا.

العاشرة : ان الله عز وجل يجعل الحجج والبراهين واسباب الموعظة والإعتبار في الحياة الدنيا لتتم الحجة فيها على الناس.

الحادية عشرة : ليتذكروا بانهم يتجرأون ويواجهون مرارة النار وقسوتها ليس في الآخرة فقط بل في الحياة الدنيا وهي الحال التي يتلبسون بها.

الثانية عشرة : الآية وردت بصيغة الجماعة الغائبة وكأنه خطاب للمسلمين ليلتفتوا الى سوء فعل الكفار ويتعجبوا منهم ولهذا التعجب آثار ايجابية في حياة المسلمين بالفرح والرضا لما هم عليه من الإيمان وعدم الكتمان.

الثالثة عشرة : الآية تحذير من كتمان الآيات فقد يجهر الإنسان ذكراً كان أو أنثى إسلامه وينطق بالشهادتين ولكنه لا يعلن الآيات التي عرفها او رآها.

الرابعة عشرة : لا يشمل موضوع الآية أولئك الذين لم يعرفوا الآيات والبشارات الخاصة بنبوته صلى الله عليه وآله وسلم، سواء تلك التي تضمنتها الكتب السماوية السابقة، أو المعجزات التي جاء بها أو كانت ظاهرة في القرآن ولكن تحقيق مثل هذا المصداق بالواقع الخارجي قليل وآخذ بالتضاءل.

الخامسة عشرة : ورد في الحديث : "الصبر صبران، صبر على ما تكره وصبر عما تحب"[1].ومن بيان الحديث:

الأول : تحمل الإنسان للبلوى والأذى الوارد عليه وعدم خروجه بسببه من طاعة الله.

الثاني : الإمتناع عن الإنقياد للنفس الشهوانية والبهيمية فيما

---

(١)مجمع البيان ٣٩٦/١.

تميل اليه من اللذات الحسية واللهث وراء اسبابها، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: "اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة عليهم السلام"[1]، وهو غير صبر الكفار على النار ، موضوعا وحكما وأثراً .

السادسة عشرة : الصبر الوارد في الآية يختلف عن وجوه الصبر المذكورة اعلاه، انه اختيار للأذى واقحام للنفس في الهلكات الدائمة لقاء هوى مؤقت واستكبار وعناد في مواجهة الحق، كما انه جاء وصفاً لتلقيهم قهراً العذاب الشديد بعد ان جاءوا باسبابه في الدنيا، فتكون تلك الأسباب وعناصر الإختيار حاضرة معهم وشاخصة امام ابصارهم اثناء تعرضهم للعذاب في النار، كما انهم يحسون العذاب الأخروي ويدركون استحقاقهم له وهم في الدنيا باقامتهم على انكار النبوة واخفاء الآيات.

بحث أدبي

للقرآن معان نعجز عن احصائها حتى على القول بامكان حصرها، واجتهد جمع من العلماء بتعدادها واختصار ذكرها بجوامع اصطلاحية وانه يتكون من خبر، ونداء، ومسألة، وامر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام، كما ذكر لها عدد ادنى بادخال بعضها ببعض.

ومنهم من قسمه الى خبر وانشاء بلحاظ ان الخبر يحتمل التصديق والتكذيب، بخلاف الإنشاء الذي يقترن معناه بلفظه ، و(ما) هنا للإستفهام الإنكاري، وعلى فرض انها للتعجب فهل يصح اطلاق التعجب على الله عز وجل، الجواب لا، لأنه

---

(١)البحار ٢٤/٢١٧.

تعالى عالم بكل شيء قبل حدوثه، والتعجب مركب من الإستفهام والجهل بماهية أو علة الشيء.

ولو تنزلنا وقلنا بانها تعجبية فان التعجب متعلق بالمخاطبين وفيه نكات عقائدية منها :

الأولى : انه موعظة وعبرة.

الثانية : تنبيه وتحذير واخبار عن وجود مثل هؤلاء الناس وما ينتظرهم من العذاب.

الثالثة : إنه من الهدى الذي يتضمنه القرآن بلحاظ ذم القبائح التي تقود إلى العذاب، ومن عمومات قوله تعالى﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

بحث تأريخي

من الأمم السابقة أناس حبسوا انفسهم على عبادة النار ورأوها جرماً مضيئاً نورانياً وتوجهوا اليها من دون الله عز وجل أو إتخذوها واسطة وزلفى فضلوا وأضلوا.

ولا عبرة فيما أورده بعضهم من التعليل بانها مظهرة لنور الله عز وجل ومظهر قريب لبعض آثاره، ثم تفشى الوهم وغلب الجهل على النفوس فاتخذوها إلهاً وغفلوا عن الله عز وجل خالق الكائنات جميعاً.

(وحاول بعضهم ان يستشهد بما روي عن الصادق عليه السلام لما سئل عن وجه الله كيف هو، واين هو، وما هو، فأمر عليه السلام بنار فأوقدت واشتعلت، فقال عليه السلام للسائل : اين وجه هذه الشعلة، قال السائل : كل طرف منها وجه لها، فقال عليه السلام:

---

(١)أنظر الجزء(١٠١) الذي جاء خاصة بتفسير هذه الآية.

فكـذلك الله تعـالى فكـل شـيء وجـه لـه تعـالى، وابنمـا تولـوا فـثم وجه الله).

ان ظـنهم بـان هـذا التمثيـل يؤكـد حقيقـة قـرب النـار مـن دون الاشـياء اليـه تعـالى وهـم، وتـرجيح بـلا مـرجح، اذ ان المثـال منحصـر في بيـان التعـدد الكـثير الواسـع لوجـوه ذات الشـيء، وجـيء بـه لتقريـب الحجـة الى الاذهـان، ومخاطبـة للنـاس علـى قـدر عقـولهم وبـالواقع الـذي يحسـون ويدركون.

وقيـل ان المجـوس عظمـوا النـار لانهـا جـوهر شـريف علـوي وانهـا لم تحـرق ابـراهيم الخليـل عليـه السلام، وان التعظـيم ينجيهم في المعـاد مـن عـذاب النـار، وانهـا قبلـة لهـم ووسيلة، ولكـن الكـبرى الكليـة تحتـاج الى اثبـات ودليـل ولا يسـتوجب الأمـر التعظـيم خصوصـاً وان الله عـز وجـل شـرّف الإنسـان وجعلـه خليفتـه في الأرض.

لقـد عبـد المجـوس النـار وزعمـت بعـض فـرقهم ان مـا في العـالم مـن خـير فمـن النـار وانهـا علويـة نورانيـة لطيفـة لا وجود الا لها.

لقـد انتشـرت المجوسـية في بـلاد فـارس والهنـد وشـطر مـن الصـين، اذ ان اليهوديـة والنصـرانية كانتـا في بـلاد الـروم، واثـر ذلـك الانتشـار علـى المجتمعـات ،وبعـث الله تعـالى الـنبي محمـداً صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم رحمـة وهاديـاً لهـذه الامـم فانحسـرت الملـل الوثنيـة ومفـاهيم الشـرك، وانتشـر لـواء التوحيد في عموم الأرض.

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ الآية ١٧٦.

الإعراب واللغة

ذلك : اسم اشارة مبتدأ مرفوع، ويجوز إعرابه مفعولاً به بتقدير : فعلت ذلك بأني أنزلت الكتاب بالحق، والرفع على الإبتداء أصح، والخبر محذوف، وبه قال الزجاج[1]، ويحتمل ان يكون خبراً لمبتدأ محذوف.

بأن الله : الباء حرف جر، أن : حرف مشبه بالفعل ،واسم الجلالة إسمه، وإن وما في خبرها في محل جر بالباء، والجار والمجرور خبر اسم الإشارة.

نزّل الكتاب : فعل ماض، والفاعل ضمير مستتر يعود لله عز وجل والكتاب : مفعول به منصوب بالفتحة.

والجملة الفعلية خبر أن، أي عذاب الذين إشتروا الضلالة بسبب نزول القرآن وما فيه من الحجة، قال تعالى ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[2].

بالحق : جار ومجرور متعلقان بنزول.

وان الذين : الواو عاطفة وحالية، ان الذين : ان واسمها، اختلفوا : جملة فعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول، في الكتاب: جار ومجرور.

---

(١)أنظر مجمع البيان ١/٢٦٠.

(٢)سورة الأنعام ١٤٩.

لفي شقاق : اللام هي المزحلقة، في شقاق: جار ومجرور، بعيد: صفة للاسم المجرور شقاق.

والشّقاق غلبة العداوةِ والخلاف شاقَّهُ مُشاقَّةَ وشِقاقاً خالَفَه)[1]، وسمي شقاقاً لأن كل طرف من المتخاصمين يقصد شقاً وناحية غير شق الآخر.

في سياق الآيات

بعد ان بينت الآيات السابقة سوء عمل الكفار وما ينتظرهم من العقاب بسبب كتمان الآيات والحجج جاءت هذه الآية لتبين علة الحكم وكيف انهم يستحقون العقاب الشديد.

صلة هذه الآية بالآيات المجاورة على شعبتين :

الأولى : صلة الآية بالآيات السابقة، وفيها وجوه :

الأول : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى....﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : إبتدأت كل من الآيتين باسم الإشارة، مع إتحاد الموضوع وفيه تأكيد لذم الذين يكتمون التنزيل ويصرون على تبديل صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي جاءت على لسان الأنبياء السابقين.

الثانية : بعث الناس على التصديق والعمل بمضامين ما أنزل الله عز وجل وإجتناب إخفائه وكتمانه لإحراز الهدى ونيل المغفرة.

الثالثة : إن وجود فريق من الناس يخفون الآيات ويكتمون

---

(١)لسان العرب ١٨٣/١٠.

(٢)الآية ١٧٥.

التنزيل لم ولن يضر التنزيل، ولم يحجب أسباب الهداية للناس، ولا يكون برزخاً دون علم الناس بالبشارات التي جاءت في الكتب السماوية.

الرابعة : من مصاديق نزول الكتاب بالحق بلحاظ الآية السابقة أمور :

الأول : القبح الذاتي والعرضي لإخفاء التنزيل.

الثاني : الناس مأمورون بإظهار بشارات الكتب السماوية السابقة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله سلم.

الثالث : نزول العذاب بالذي يشتري بالتنزيل ثمناً قليلاً لأن الله نزّل الكتاب ليبقى وتتلاقفه الأيدي جيلاً بعد جيل.

الرابع : فضح الذين حرفوا آيات ومضامين الكتب السماوية السابقة والإخبار عن عذابهم يوم القيامة باللبث الدائم في النار، وهذا الدوام من مصاديق قوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فليس من إنفكاك أو فترة في العذاب، قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾[1].

الخامس : إنتفاء البرزخية والوسطية في الآخرة، فأما المغفرة والرحمة وأما العذاب بالنار، وجاءت هذه الآيات لمنع الجهالة والغرر، ولدعوة الناس للتدارك والإنابة، ومن عمومات قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

ومن مصاديق قوله تعالى (بالحق) الوارد في هذه الآية أنه طريق لفتح أبواب الإنابة والتوبة للناس جميعاً من وجوه :

---

(١)سورة النحل ٨٤.

(٢)سورة الأنبياء ١٠٧.

الأول : إعـراض المسـلمين عـن إخفـاء وكتمـان التنزيـل، ويتجلـى هـذا الإعـراض بـالنطق بالشـهادتين وورد عـن الـنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم أنـه قـال : الإسـلام يجـب مـا قبلـه)[١]، فحتى لـو كـان المسلم ممـن يخفـي ويكـتم الآيـات فـإن دخولـه الإسـلام توبـة لـه، ويـدل عليـه أن نطقـه بالشـهادتين برهـان عملـي علـى تخليـه عـن كتمـان الآيـات والبشـارات، وفيـه دعـوة ظـاهرة لأصـحابه لـترك إخفـاء التنزيـل، وقـد دخـل عـدد مـن علمـاء ملـل أخـرى الإسـلام وأخـبروا عـن البشـارات بـالنبي محمـد صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم التي جاءت في الكتب السماوية السابقة.

الرابعـة : ذكـرت هـذه الآيـة علـة وسـبباً آخـر لشـراء الـذين يخفـون التنزيـل الضـلالة ببيـع الآيـات بـثمن قليـل مـن متـاع الـدنيا والأكـلات والـتي لهـم علـى الأتبـاع بـأن أهـل الكتـاب كـانوا في حـال مـن الإخـتلاف والتبـاين، وفي التنزيـل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[٢].

الثـاني : صـلة هـذه الآيـة بقولـه تعـالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ..﴾[٣]، وفيها مسائل :

الأولى : الإخبـار بـأن الله عـز وجـل نـزّل الكتـاب بـالحق وفيـه دلالـة علـى أنـه نـزل علـى الـنبي بأمانـة في طريقـه وواسـطته، قـال

(١)مجمع البيان ٣/٢٣٨.
(٢)سورة البقرة ١١٣.
(٣)الآية ١٧٤.

تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾[١]، ومن معاني الحق في تنزيل الكتاب نزوله على الأنبياء، وأنهم قاموا بتبليغه للناس وأن أصحابهم نقلوه للأتباع والأنصار، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[٢].

الثانية : إن الذين يخفون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيعون حجب الكتاب عن الناس، لأن الله نزله بالحق والصدق والعدل، وقوله تعالى (نزّل الكتاب بالحق) إنحلالي ينبسط على وجوه :

الأول : كل كتاب من الكتب السماوية السابقة.

الثاني : صحف إبراهيم والزبور، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ◆ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[٣].

الثالث : الآيات والمواعظ الموجودة في الكتب السماوية السابقة.

الرابع : القرآن وفيوضات آياته.

الخامس : كل سورة من القرآن ، وعدد سوره مائة وأربع عشرة سورة.

السادس : كل آية من آيات القرآن وعددها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية.

الثالثة : إبتدأت آية البحث باسم الإشارة (ذلك) وفيه وجوه :

---

(١)سورة الشعراء ١٩٣.

(٢)سورة المائدة ٦٧.

(٣)سورة الأعلى ١٨-١٩.

الأول : بيان إستحقاق الذين يكتمون التنزيل العذاب الأليم في الآخرة.

الثاني : تأكيد عظيم قدرة الله، وأنه ينزل العذاب الأليم بالذين يخفون آياته وما أنزل من الكتاب.

الثالث : الإخبار السماوي عن الملازمة بين شراء الضلالة وبين العذاب.

ويدل إبتداء الآية باسم الإشارة للبعيد (ذلك) في مفهومه على أن الذي يتعاهد الهدى ويصدق بالتنزيل فانه يفوز بالمغفرة، قال تعالى ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

الرابعة : من معاني الحق في نزول الكتاب أنه رحمة للناس جميعاً، وفيه خير الدنيا والآخرة، وتعريض وذم للذين يشترون به ثمناً قليلاً، وهو دليل على إستحقاقهم العذاب الأليم.

الخامسة : من نزول الكتاب بالحق الإخبار عن أكل الذي يكتمون التنزيل النار في بطونهم ، والأكل هو المضغ والإبتلاع ليكون الوعيد الأخروي مصاحباً لهم في الدنيا فلا يشعرون باللذة بأكل الطيبات والجاه والهداية التي تترتب على الثمن القليل.

السادسة : أخبرت خاتمة الآية عن إختلاف أهل الكتاب، ويفيد الجمع بين الآيتين حث كل فريق منهم على إظهار أسرار التنزيل وتأكيد حقيقة بأن إظهارها والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الواردة في الكتب السماوية السابقة سبيل الوحدة، والنجاة من الفرقة والخصومة الشديدة،لأن هذا

---

(١)سورة طه ٨٢.

الإظهار يقود قهراً وجرياً إلى دخول الإسلام والإقرار بأن نزول القرآن حق وصدق، وفي التنزيل ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[1].

الثالث: صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ....﴾[2]، وفيها مسائل:

الأولى: من نزول الكتاب بالحق توجه خطاب الإكرام والتشريف (يا أيها الذين آمنوا) إلى المسلمين والمسلمات في أجيالهم المتعاقبة، ويحتمل خطاب التشريف هذا في متعلقه وجوهاً:

الأول: إنه خاص بالمكلفين لأنهم الذين آمنوا، وتتوجه لهم خطابات التكليف ويؤدون الفرائض والعبادات.

الثاني: إنحصار الخطاب بأهل البيت والصحابة أيام التنزيل لأنهم الذين سبقوا الناس بالإسلام.

الثالث: شمول خطاب الإيمان والتشريف للمسلمين والمسلمات في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

الرابع: شمول الخطاب لأطفال وأبناء المسلمين ممن لم يبلغ سن التكليف وبإستثناء الوجه الثاني فإن الوجوه الأخرى كلها من مصاديق الآية الكريمة.

ويحتمل شمول الخطاب للأبناء الصغار(يا أيها الذين آمنوا كلوا) وجوهاً:

الأول: بالأصالة وبعرض واحد مع الآباء.

---

(١)سورة الأنعام ١٩.

(٢)الآية ١٨٢.

الثاني : بالإلحاق والتبعية.

الثالث : على نحو التعليق لأنهم سيصبحون مؤمنين.

والأرجح هو الثاني ، ويكون الأول والثالث في طوله ، وتقدير الآية: يا أيها الذين آمنوا كلوا أنتم وأبناءكم مما رزقكم الله).

الثانية : يفيد الجمع بين هذه الآيات توبيخ الذين يكتمون التنزيل بحرمانهم أنفسهم من أمر الله بأكل الطيبات، إذ إختاروا الثمن القليل وجعلوه بدلاً وعوضاً لإخفاء التنزيل والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويتصف هذا الثمن القليل بأنه خبيث بذاته وأثره، وصار برزخاً دون أكل الطيبات والإمتناع بالإختيار لا ينافي الإختيار.

فإن قلت إن الذي يخفون التنزيل يأكلون الطيبات ويتنعمون بالحياة الدنيا وهذا التنعم سبب لإخفائهم التنزيل كي يرفدهم أتباعهم بالهدايا والأكلات الراتبة، والجواب نعم إنها طيبات في ظاهرها ولكنها أذى وضرر في أثرها وليس فيها لذة أثناء الأكل والمضغ وهو من مصاديق قوله تعالى﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾[1]، أي أنهم لا يشعرون أثناء الأكل بذوق وطعم لها لأنهم يدركون سوء إختيارهم والعذاب الأليم الذي ينتظرهم.

الثالثة : بيان حقيقة وهي أن الإختلاف والشقاق يؤدي إلى الضلالة، ويكون سبباً للعذاب الأخروي، لما في الإختلاف من كتمان التنزيل والتفريط بالواجبات.

وهل في الآية تحذير للمسلمين من الخلاف والشقاق والعداوة

---

(١)الآية ١٧٤.

البعيدة، الجواب قد جاءت آيات القرآن بدعوة المسلمين للوحدة والأخوة الإيمانية، وحذرتهم من الفرقة والإختلاف، قال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[1]، ولكن الإختلاف والخصومة والإقتتال بين المسلمين لا يؤدي إلى كتمان الآيات والتنزيل موضوعاً وحكماً وأثراً، لأن دخول الإسلام قاطع وطارد لهذا الكتمان، فقد بدأت ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم دورة جديدة للدنيا خالية من أثر كتمان التنزيل والبشارات لأن المبشر به قد صار حقيقة وواقعة وحلّ أوانه، وهو على وجوه:

الأول: بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[2].

الثاني: نزول القرآن من عند الله.

الثالث: دخول أمة عظيمة الإسلام، وإظهارهم للتنزيل، وتلاوتهم للآيات وتعاهدهم لآيات القرآن رسماً وتلاوة وتأويلاً.

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3]، فالآية أعلاه بشارة أن المسلمين لا يكونون أبداً في شقاق بعيد، ولن يبيعوا الهدى بثمن قليل، ومن خروج المسلمين للناس بيان قبح الإختلاف والشقاق وما يؤول إليه من العناد وأسباب الضلالة.

الشعبة الثانية: صلة هذه الآية بالآيات التالية، وفيها وجوه:

---

(١)سورة آل عمران ١٠٣.

(٢)سورة سبأ ٢٨.

(٣)سورة آل عمران ١١٠.

الأول : صلة هذه الآية بالآية التالية ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1]، وفيها مسائل:

الأولى : من مصاديق نزول الكتاب بالحق تعيين القبلة، ولزوم توجه الناس للبيت الحرام، قال تعالى ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[2].

الثانية : إن قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ من تنزيل الكتاب بالحق، وفيه دليل على أن تنزيل القرآن رحمة بأهل الكتاب ودعوة لهم لنبذ الفرقة والخلاف بالصدور عن القرآن.

الثالثة : تبعث هذه الآية على العمل بمصاديق البر والإحسان للذات والغير التي جاءت في الآية التالية كفلق الصبح في مضامينها وبيانها والترغيب فيها، فهي جامعة مانعة، جامعة لوجوه الصلاح، مانعة من الخلاف والشقاق.

إن قوله تعالى في الآية التالية ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ، برزخ دون الشقاق الخلاف، وواقية دون كتمان التنزيل والتفريط بآيات الله.

الرابعة : لقد جاءت هذه الآية والآيتان السابقتان بالإخبار عن بلاء عظيم في الأرض بإخفاء التنزيل والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه وجوه:

الأول : محاولة الإضرار بالمسلمين لولا فضل الله وتخفيف

---

(١)الآية ١٧٧.

(٢)سورة البقرة ١٤٤.

وطأة الأذى عنهم.

قال تعالى ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى﴾[(١)].

الثاني : تحريض الناس على قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يخبر الناس بنبوته ويدعوهم لإتباعه رسولاً من عند الله، ولكن الذين يكتمون التنزيل يأتون بصفات لنبي آخر الزمان مغايرة لجهتين :

الأولى : ما ورد في الكتب السماوية السابقة من الصفات الظاهرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وعن عكرمة عن ابن عباس قال : إن أحبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكتوبة في التوراة أكحل أعين ربعة حسن الوجه فمحوه من التوراة حسدا و بغيا فأتاهم نفر من قريش فقالوا أ تجدون في التوراة نبيا منا قالوا نعم نجده طويلا أزرق سبط الشعر)[(٢)].

الثالث : محاولة الإجهاز على الإسلام، وقيام بعض كبرائهم بحث كفار قريش على قتال النبي صلى الله عليه وآله سلم وأصحابه، والوعد للكفار بالإعانة والمدد.

الرابع : إخفاء التنزيل وما موجود في التوراة والإنجيل مما يوافق القرآن ليس فقط في باب صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بل بما هو أعم ومنها الإخبار عن إستقبال البيت الحرام، إذ أن قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ يدل على أن نسخ القبلة أمر موجود في الكتب السابقة.

---

(١) سورة آل عمران ١١١.

(٢) مجمع البيان ١/٢٥٥.

الخامسة : حث المسلمين على الصبر، وتحمل الأذى من الذين يخفون التنزيل ويحرفون صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويريدون إغواء المستضعفين وصدهم عن الإسلام، وبعثهم على الخروج إلى ميادين القتال لمحاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وورد في آية السياق قوله تعالى ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾(١).

ومع أن مضامين الآية أعلاه أعم وتشمل الفقر والضرر والعلة والقتال مطلقاً، إلا أن كتمان التنزيل يسبب لهم مصاديق من الأفراد الثلاثة المذكورة في الآية أعلاه، ويستلزم منهم الصبر وحسن التوكل على الله، قال تعالى ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾(٢).

السادسة : لما أختتمت آية البحث بالإخبار عن كون الذين إختلفوا في الكتاب بعد تنزيله (في شقاق بعيد) وخصومة شديدة، أختتمت آية السياق بالثناء على المسلمين بقوله تعالى (أولئك هم المتقون) لبيان أمور :

الأول : تعاهد التنزيل وإظهار الآيات وعدم كتمانها من التقوى والخشية من الله.

الثاني : تحمل أذى الذين يخفون التنزيل من مصاديق التقوى.

الثالث : إن إخفاء مضامين الكتب السماوية السابقة، وكتمان الآيات لم يمنع وصول الرسالة وفرائد التنزيل إلى الناس، وهداية فريق منهم وفوزهم بالإيمان بالله والملائكة والنبيين، وما أعد الله عز وجل للمؤمنين في الآخرة من الثواب فمع عظيم نعمة

---

(١)سورة البقرة ١٧٧.

(٢)سورة البقرة ٤٥.

الجنة وأنها نعيم دائم، وحياة سرمدية، وخلود في مقام كريم فإن الله عز وجل يخبر عن هذا الوعد المبارك الذي لا يقدر عليه غيره بكلمات قليلة ، قال تعالى ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[1].

الثاني : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾[2]، وفيها مسائل:

الأولى : إن إخفاء فريق من أهل الكتاب البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحكام القود لم يضر المسلمين والناس، فقد أنزل الله عز وجل آية القصاص في القرآن لتبقى بين الدفتين ، وفي صدور المسلمين وفي أحكام القضاء والتأويل إلى يوم القيامة.

لقد جاء القرآن بحكم القصاص من عند الله عز وجل، وتقييده بحال العمد فلا يشمل الخطأ وهو فرض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ (قال ابن منظور: الكتاب : الفرض والحكم والقدر)[3] وقد جاءت التوراة بالقصاص أيضاً ولكن فريقاً من الأمم الأخرى كانوا إذا جنى الفقير أقتص منه بخلاف الغني ، إلى أن هجر هذا الحكم ، فصارت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حاجة ومصداق اللطف والرحمة الإلهية بالناس جميعاً.

---

(١)سورة الحج ٥٦.

(٢)الآية ١٧٨.

(٣)لسان العرب ٦٩٩/١.

ومن رحمة الله في المقام وأسباب ترغيب المسلمين بالعمل بأحكام القصاص ذكر منافعه الحاضرة واللاحقة بقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ لتوظيف العقل في عاقبة القتل بأن يستحضر الذي يهم بالقتل حكم القصاص فينزجر عن القتل فتكون سلامة له وللذي يهمّ بقتله، ليكون من منافع القصاص التخفيف عن الحكام والمحاكم ومؤسسات العدل ، وفيه إمتثال لأمر الله عز وجل.

وبين الإعدام والقصاص عموم وخصوص مطلق، فالقصاص فرد من أفراد العقوبة بالقتل، ولكنه يخرج بالتخصص من الغاء حكم الإعدام الذي تطالب به كثير من منظمات حقوق الإنسان ووافقت عليه العديد من الدول وهو أمر حسن، وللحكومات العربية والإسلامية أن تدرس أو تعطل حكم الإعدام ولكن الحكم بالقود مستثنى منه، وله حكمه الخاص لأنه حرب على الأعدام، وحاجز شخصي وأخلاقي عن القتل.

وهل يجوز الحكم بالقصاص وتأخير تنفيذه لأسباب عقلائية ورجاء الصلح أو العفو الجواب نعم ، لبقاء أصل ذات الحكم والتصديق به.

ومن إعجاز الآية أعلاه أنها توجهت إلى جميع المسلمين والمسلمات في تثبيت وجوب حكم القصاص، مع أنه خاص بالحكام فلم تقل الآية (يأيها الحكام كتب عليكم) بل قالت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ﴾ نعم وظائف الحكام والقضاة في المقام مضاعفة.

وفي العموم الإستغراقي لهذا الخطاب دعوة للمسلمين والمسلمات جميعاً خصوصاً في زمان العولمة وتداخل الحضارات

لبيان التباين ولزوم الفصل بين الإعدام على الجرائم مطلقاً وبين القصاص كحكم سماوي وعقوبة على إزهاق الروح، ويدرك رجال القانون والحقوقيون أسباب السلامة والحكمة والإعجاز في التشريع الإسلامي، ومنه تنمية ملكة الحرص على إتقاء الدماء مخافة القصاص والمنع من إستحواذ النفس الشهوية والغضبية.

وقيل أن أهل التوراة كانوا مخيرين بين أمرين أما القصاص أو العفو، وحكم أهل الإنجيل هو العفو ليس غير، أما ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] فقد رزقهم الله عز وجل الخيار الترتيبي للمجني عليه ووليه بين أمور :

الأول : القود من الجاني.

الثاني : الدية كقتل الخطأ.

الثالث : القبول والرضا بما هو أقل من الدية الشرعية.

الرابع : العفو عن الجاني.

الثانية : مضامين هذه الآية تتغشى كل آية من آيات القرآن بقانون ثابت وهو نزول كل آية بالحق من عند الله لأن ما يشمل الكل يشمل الأجزاء ، خاصة وأن نزول القرآن لم يكن دفعياً بل نزل نجوماً وعلى نحو الآيات والسور.

الثالثة : من مصاديق الإختلاف بين أهل الكتاب: حكم القصاص الذي أنزله الله عز وجل بالحق في القرآن ومن قبل في التوراة، ليكون من معاني الجمع بين الآيتين تذكير أهل الكتاب بخلافهم في حكم القصاص، وأضرار هذا الإختلاف، قال تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾(١).

وتدل الآية أعلاه على أن العفو والتصدق بالحق كفارة ووسيلة لجذب الثواب.

<u>الرابعة :</u> ورد في هذه الآية الإخبار بأن العفو عن القود ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾(٢)، وجاءت الآية التالية بقانون إعجازي مترشح عن حكم القصاص بقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾(٣)، ومن خصائص المسلمين التسليم بمضامين هذه الآيات ودلالاتها، وليس بينهم إختلاف فيها، وفيه أمور :

<u>الأول :</u> إنه نوع توبيخ للأمم السالفة الذين إختلفوا في الكتاب وما طرأ على حكم القصاص في كتبهم من التحريف والتبديل.

<u>الثاني :</u> بعث المستضعفين من أهل الكتاب لدخول الإسلام فإن قلت توجد قوانين وضعية تحكم الصلات والمعاملات بين الناس، وفيها غنى عن الحكم بالقود.

والجواب إن هذا الحكم سماوي وضعي إذ أنه تشريع لأهل الأرض ودعوة للناس للعمل به ، وزاجر عن التفريط به ، بالإضافة إلى تضمن ذات آية القصاص الترغيب بالعفو عن الجاني، وهو الأمر الذي لا يوجد في كثير من القوانين الوضعية ، فقد لا ينفع القاتل عفو ولي الدم فيها ، أو ينفعه على نحو الموجبة

---

(١)سورة المائدة ٤٥.

(٢)سورة البقرة ١٧٨.

(٣)سورة البقرة ١٧٩.

الجزئية فلا يسقط عنه الحق العام.

الثالث : بيان أهلية المسلمين لوراثة الأرض ، وتعاهد العمل بأحكام الشريعة إلى يوم القيامة، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1].

الثالث : صلة هذه الآية بقوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ.....﴾[2]، وفيها مسائل :

الأولى : يفيد الجمع بين الآيتين أن كتابة الوصية حق ، وأمر نازل من الله عز وجل ، ومن مصاديق الحق في المقام هو الثبوت.

فالوصية فرض ثابت وفيه حق بفضل من الله عز وجل لأطراف الوصية وهي :

الأول : الموصي الذي قرب أجله، وكتبض وصيته ، فمن فلسفة الفرائض وما كتب الله، أن كل ما فرض الله عز وجل على المسلم هو رحمة به ، وخير ينتفع منه في الدنيا والآخرة.

الثاني : الموصى له لما في الوصية من كتابة حق له ، وهذا الحق جاء بأمر الله بالوصية، وإقتطاع الموصي له من التركة لأن من حقه أن يوصي بالثلث.

الثالث : في الوصية كشف وتثبيت لأرباب الديون والأمانات، ومنع من ضياعها.

الرابع : في الوصية تأكيد لحق الورثة بسلامة الثلثين من التركة، وعودتهما للورثة قهراً وإنطباقاً، فلا بد من مالك للمال، فحالما يفارق الميت الدنيا ينتقل المال إلى الورثة، والوصية بالثلث

---

(١)سورة آل عمران ١١٠.

(٢)الآية ١٨٠.

تـدل علـى بقـاء الثلـثين، وعائـديتها للورثـة ، قـال تعـالى﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(١).

الخـامس : في الوصـية حـق للوصـي للعمـل بمضـامينها الـتي لا تخالف الكتاب والسنة، والتي ليس فيها جنف وميل وتعد.

الثانيـة : بعـث المسـلمين للإقـرار بـأن المـوت حـق وصـدق، وتـدل الآيـة علـى أن المـوت أمـر وجـودي إذ نسـبت الحضـور لـه فهـو فاعـل حضـر، ويـدل عليـه أيضـاً قولـه تعـالى﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾(٢)، فجعل الله الموت مخلوقاً(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا قَالَ فَيَشْرَئِبُّونَ فَيَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ قَالَ وَيُقَالُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ{ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ})(٣).

وهــذا الإقــرار مــادة وموضــوع إســتعداد للآخــرة بالصــلاح والتقوى في الدنيا، قال الشاعر:

(١)سورة النساء ١١.

(٢)سورة الملك ٢.

(٣)مسند أحمد ١٨٩/٢٢.

يَـا أيُّهـا الرَّاكِـبُ الْمُزْجِـي مَطِيَّتَـهُ   سَـائِلْ بَـني أسَـدٍ مَـا هَـذِهِ الصَّوْتُ

وَقُـلْ لَهُـمْ بَـادِرُوا بِالْعُـذْرِ وَالْتَمِسُـوا   قَـوْلاً يُبَـرِّئُكُمْ إنِّـي أنَـا الْمَوْتُ(1)

الثالثـة : جـاء الأمـر بالوصـية بصـيغة الفـرض والكتابـة (كتـب عليكم) وفيه بلحاظ آية البحث مسائل:

الأولى : إن الله عـز وجـل الـذي كتـب الوصـية علـى المسـلمين وأمرهم بهـا، وهـو الـذي أنـزل الكتـاب وكـل مـا أمـر الله بـه خير محض ونعمة على الناس جميعاً.

الثانيـة : كتابـة الوصـية حـق لأنهـا مـن الكتـاب الـذي أنزلـه الله عـز وجل.

الثالثـة : كمـا أنـزل الله الكتـاب بـالحق، فأنـه سبحانه جعـل كتابـة الوصـية حقـاً علـى أهـل التقـوى، وفيـه دلالـة بـأن نـزول الكتـاب مـن الحـق بـالحق وللحـق وهـو الحـق، والوصـية الأهـم هـي بـالتقوى والصـلاح، و(عـن جـابر بـن عبـد الله قـال: قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: ألا أعلمكم ما علم نوح ابنه؟ قالوا: بلى.

قـال: آمـرك أن تقـول لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه، لـه الملـك ولـه الحمـد وهـو علـى كـل شـيء قـدير، فـإن السـموات لـو كانـت في كفـة لرجحـت بهـا، ولـو كانـت حلقـة قصـمتها، وآمـرك بسـبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق)(2).

---

(١)ديوان الحماسة ٤٧/١.

(٢)الدر المنثور ٢٥٥/٤.

إعجاز الآية

تفضل الله سبحانه ببيان وتفسير ترتب العذاب الأليم على كتمان الآيات وان انزال الكتاب بالحق يقتضي قهراً وانطباقاً اظهاره، وان الجحود والإختلاف من غير حجة عداوة وتعد، وفي الآية إخبار عن عدم الوفاق والإلتقاء بين الجاحدين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

إبتدأت الآية باسم الإشارة (ذلك) وفيه دلالة على تعلق أحكام هذه الآية بالآية السابقة من وجوه :

الأول : تأكيد مضامين الآية السابقة.

الثاني : الدعوة إلى العمل بالتنزيل، والزجر عن الإعراض عنه.

الثالث : إبطال التحريف، وتبديل الآيات.

لقد أراد الله عز وجل توبيخ الذين يخفون التنزيل ويكتمون الآيات.

فجاءت هذه الآية لإقامة الحجة عليهم، وللإخبار بأن سعيهم لإخفاء التنزيل يذهب أدراج الرياح، فمن مفاهيم الآية أن الله يظهر التنزيل، ويحول دون إخفائه وستره، وفيه دعوة لهم للتوبة والإنابة وبيان البشارات التي جاءت بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الكتب السماوية السابقة.

ومن عمومات قوله تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[1]، أن الله عز وجل بعثه للذين يخفون تلك البشارات وآيات التنزيل، وإنذارهم وإخبارهم بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم.

(١)سورة سبأ ٢٨.

وتدل خاتمة الآية على حقيقة تأريخية ثابتة ومتجددة وهي أن أهل الكتاب يختلفون فيما بينهم، يمنع الصراع والخصومة من إتحادهم أو ظهورهم أو تنامي قوتهم، وفيه دعوة للمسلمين للسعي في مرضاة الله، وتعظيم شعائره، وجلب الناس لمنازل الإيمان، وسنن الهداية والرشاد، وحث لهم لإجتناب الفرقة ، قال تعالى﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1]، ونهي الآية أعلاه المسلمين عن الفرقة يدل بالأولوية أنهم لا يصلون إلى مرتبة الشقاق والخصومة البعيدة التي تؤدي إلى الجفاء والقطيعة، قال ابن منظور(والشّقاق : غلبة العداوةِ والخلاف)[2].

ومن الإعجاز في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسباب دفع الفرقة والخلاف بالفرائض والعبادات العامة التي تجمع المسلمين مكاناً وزماناً، كصلاة الجماعة المتكررة كل يوم، وأداء الحج في موضع مبارك في أيام مخصوصة من السنة، وأداء فريضة الصيام في وعاء زماني معين وهو شهر رمضان، الذي لم يذكر في القرآن اسم شهر غيره، وقال تعالى﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[3].

ويدل إخبار الآية عن الشقاق البعيد الذي عليه طوائف أهل الكتاب في مفهومه على قرب النصر للمسلمين، وعجز أعداء الإسلام عن الإضرار بالمسلمين، قال تعالى﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ

(١)سورة آل عمران ١٠٣.

(٢)لسان العرب ١٠/١٨٣.

(٣)سورة البقرة ١٨٤.

الْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

ويمكن تسمية الآية الكريمة آية(**نزل الكتاب بالحق**).

الآية سلاح

في الآية إثبات وإخبار إلهي عن نزول القرآن من عند الله تعالى، كما انها تبين ضعف الغير لما هم عليه من الخصومة والفرقة.

يمكن إعتبار الآية من آيات(الحجة والبرهان) لما فيها من الدلالات على تخلف الذين يخفون التنزيل ويصرون على إنكار البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن وظائفهم العقائدية، وقواعد حفظ الأمانة العهدية والعقائدية التي يكون في إظهارها أمور محبوبة وهي :

الأول : التنزه عن بيع الآيات بثمن قليل من طعام الدنيا.

الثاني : التدارك ورجاء العفو والمغفرة.

الثالث : النجاة من عذاب الآخرة، والسلامة من الحرمان من كلام الله يوم القيامة.

الرابع : ما من إنسان إلا ويحتاج التزكية والتطهير من الله عز وجل يوم القيامة، وتدل هذه الآيات على أن كتمان التنزيل برزخ دونه.

الخامس : في إظهار الآيات والبشارات أمن من صد الناس عن الإسلام، وتحمّل الوزر الذاتي والغيري بسبب كتمانها قال تعالى ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ

---

(١)سورة آل عمران ١٢٢.

عِلْمٍ﴾[1].

السادس : التخفيف عن المسلمين، وإمتناع الكفار عن التعدي على المسلمين لظهور البشارات ودعوة للناس جميعاً للتدبر في معجزاته وأسرار نبوته، وأحكام الشريعة التي جاء بها من عند الله عز وجل.

إن قوله تعالى(بالحق) تأكيد لنزول الكتاب وأنه موجود عند أهل الكتاب، ولابد أن يتجلى ويظهر للناس جميعاً لتكون الآية حرزاً للمسلمين، وأمناً لهم من إخفاء فريق من الناس التنزيل والبشارات، وجاءت خاتمة الآية لتأكيد الشقاق والخصومة عند بعضهم، وهل يكون هذا الشقاق سبباً لإظهار الآيات.

الجواب لقد جاءت هذه الآية بالذم على كتمان الآيات وإن الإختلاف من رشحات هذا الكتمان، وهو موضوع لبعث الضعف والوهن عندهم، وإخبار للمسلمين بالأمن والسلامة من كتمان الآيات وتحريف البشارات.

مفهوم الآية

من آيات القرآن حجج تدل على نزوله من عند الله عز وجل لما فيها من بيان علل التكاليف والثواب والعقاب، وهو من اللطف الإلهي لتقريب العبد الى الطاعة وحجبه وإبعاده عن المعصية من غير أن يصل إلى حد الإلجاء.

فجاءت هذه الآية للذكرى والموعظة وبيان علة وأسباب إستحقاق الكافرين العذاب وهي اختيارهم الضلالة والنكوص

(١)سورة النحل ٢٥.

وإخفاء أخبار التنزيل مع أنها وحي أوحاه الله عز وجل إلى أنبيائه لإصلاح المجتمعات وإعمار الأرض ودوام الحياة.

وتظهر الآية وحدة سنخية الكتب السماوية المنزلة، وعدم وجود تعارض أو إختلاف فيها إنما الإختلاف حصل بين الناس وهو أمر طارئ لم يؤثر سلباً على التنزيل ووجوده في الأرض.

فالآية تخبر بان اخفاء الآيات وعداء الكافرين للإسلام لم يمنع من بقاء التنزيل وأحكام الشرائع في الأرض فهؤلاء لم يضروا الدين ويحجبوا التنزيل، وعقوبتهم لا تنحصر بالآخرة ولم يربحوا ولم ينالوا أي شيء بدليل خسران شرائهم وعدم حصول النفع العاجل أو الآجل مما فعلوا بالإضافة الى ما ينتظرهم من العذاب الشديد.

ومن مفاهيم هذه الآية أنها بشارة بقاء أحكام التنزيل وعدم طرو التحريف على القرآن، وان الله عز وجل يقيّض أسباباً لحفظه وتعاهده والمنع من ضياعه أو التفريط به، إن نزول الكتاب من عند الله تعالى بالحق والصدق عنوان جامع مانع، جامع للناس على التوحيد والتصديق، بالنبوة ومانع من الفرقة والشقاق.

والخلاف بمعنى أن المؤمنين لا يختلفون في القرآن ولا الكتب السابقة له، والإختلاف في الكتاب أمر ناتج عن التحريف والتبديل والجحود ، قال تعالى﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

---

(١)سورة النمل٧٦.

الآية لطف

صحيح أن الآية جاءت بصيغة الجملة الخبرية إلا أنها في سياق خطاب تشريف للمسلمين إذ تقدم قبل ثلاث آيات قوله تعالى ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾[1].

من نعم الله على المسلمين إلى جانب الطيبات نزول الآيات، وتجلي المعجزات على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليكون من شكرهم لله عز وجل عدم الإلتفات إلى كتمان التنزيل الذي يقوم به فريق من أهل الكتاب ومنه تلاوة هذه الآية والتسليم بنزول القرآن من عند الله عز وجل.

الجواب إن مدارك الناس متباينة، وحالهم في بداية دخول الإسلام على مراتب متعددة من جهة الإيمان قوة وضعفاً، وهناك عدد من المنافقين يخفون الكفر كما يكتم أولئك التنزيل قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدْ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[2]، ويحتمل الجهاد في المقام وجوهاً:

الأول : بلحاظ لغة اللف والنشر البلاغية فأن جهاد المسلمين للنفاق وأهله يختلف عن جهاد الكفار، وتدل عليه الآيات والسنة والشواهد التأريخية إذ أن جهاد الكفار قتالهم، أما بالنسبة للمنافقين فإن جهادهم فذمهم وتبكيتهم وأخذ الحذر والحائطة منهم.

الثاني : إرادة الإتحاد في معنى الجهاد وأن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مأمور بجهاد والمنافقين أيضاً ولكنهم إمتنعوا

---

(١)سورة البقرة ١٧٢.

(٢)سورة التوبة ٧٣.

عن المواجهة، وحرصوا على إخفاء كفرهم خشية قتال النبي والمؤمنين لهم، وحصول التوبة والإنابة عند فريق منهم، برؤيتهم الآيات، وبالفزع والخوف من هذه الآية وما فيها من الأمر بجهادهم إذ صار وجودهم مع المسلمين وأداءهم الفرائض والعبادات مناسبة للتدبر في صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتصديق بالمعجزات التي جاء بها من عند الله، وهو من اللطف الإلهي بهم وبالمسلمين.

ويفيد الجمع بين الآية أعلاه وآية البحث زجر المنافقين عن الإنصات للذين يخفون البينات ويحجبون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس، وفيه لطف من الله عز وجل بالمسلمين، ودعوة لإصلاح النفوس.

الثالث : المعنى الجامع فمرة يواجه الكفار في ميادين القتال، وأخرى بالحجة والبرهان، بينما يكون جهاد المنافقين بالحجة والنهي عن إخفاء الكفر.

الصلة بين وآخر الآية

مضامين الآية على وجوه :

الأول : الإبتداء باسم الإشارة(ذلك) لإرادة مضامين الآية السابقة والذم والتوبيخ للذين يخفون الآيات.

الثاني : الشهادة من الله عز وجل بأنه سبحانه هو الذي أنزل القرآن والكتب السماوية السابقة.

الثالث : نزول الكتب السماوية من الله بالحق وما فيه تثبيت معالم التوحيد في الأرض.

الرابع : بيان إختلاف فريق من أهل الكتاب فيما بينهم.

الخامس : الذين إختلفوا من أهل الكتاب بينهم عداوة شديدة وخصومة متأصلة، إلا أن الآية لم تقل بوجود العداوة بين عموم أهل الكتاب بل أخبرت عن حصولها بين الذين إختلفوا منهم ليكون الأختلاف على وجوه :

الأول : الإختلاف والخصومة بين الطوائف المتعددة من أهل الكتاب .

الثاني : الخلاف بين مذاهب الطائفة والفرقة الواحدة.

الثالث : الإنشقاق والإختلاف داخل المذهب الواحد من كل طائفة منهم.

لقد جاءت هذه الآيات في ذم الذين يكتمون الآيات والبينات، ولم ينحصر موضوعها بالذم بل إمتزج معه وجاء في ثناياه البرهان والبيان والدعوة إلى الإيمان، ولزوم إجتناب إخفاء حقائق التنزيل ويحتمل متعلق اسم الإشارة(ذلك) وجوهاً :

الأول : إرادة الآية السابقة والتي قبلها لوحدة الموضوع في تنقيح المناط، ومجيء الآيتين في الذين يخفون التنزيل ويكتمون البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : إرادة مضامين الآية السابقة، وشراء الذين يخفون التنزيل الضلالة وهو خلاف الوظيفة الشرعية والأخلاقية في أداء الأمانة قال تعالى﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[1]، والأصل أن كل الناس هم أهل أمانة التنزيل والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما يلزم إظهارها وبيانها لمنع التسبيب بالجهالة والغرر.

---

(١)سورة النساء ٥٧.

الثالث : إنحصار تعلق اسم الإشارة بخاتمة الآية السابقة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ لبيان أن نزول الكتاب بالحق، والذي يكتم التنزيل تكون عاقبته العذاب الأليم في النار.

وهذا البيان جزء من التنزيل بالحق، وفضل من الله عز وجل على المسلمين والذين يخفون التزيل والناس جميعاً.

ومن معاني الصلة بين اسم الإشارة وبين قوله تعالى ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ الزيادة في توبيخ الذين يخفون الآيات، فإن الله عز وجل هو الذي أنزلها رحمة ونوراً وهدى للناس جميعاً فكيف يقوم نفر من الناس بإخفائها وهذا الإخفاء سبب لإشاعة الفساد في الأرض وقيام فريق من الناس بعبادة الأوثان، فإن قلت إذن كان إحتجاج الملائكة صحيحاً حينما ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾[(١)].

الجواب إن الله عز وجل رد على الملائكة بما جعلهم يقرون بالخضوع لمشيئته وتخلف إحتجاجهم عن علم الله عز وجل، إذ قال الله تعالى لهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[(٢)].

فمن علم الله عز وجل أن الكتاب نزل بالحق قبل أن يخفيه ويكتمه هؤلاء كما في نزول التوراة والإنجيل، وتلاوة موسى وعيسى عليهما السلام وأتباعهما لهما.

والله تعالى هو الذي أنزل القرآن بعد حصول كتمان وإخفاء الآيات، ليبقى إلى يوم القيامة، ويكون مانعاً دون الفساد

---

(١)سورة البقرة ٣٠.

(٢)سورة البقرة ٣٠.

والإفساد في الأرض، وبرزخاً دون ترتب الأثر والضرر على إخفاء أولئك للآيات وحقائق التنزيل، ولو جمعنا بين أول وآخر الآية ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ تتجلى الحاجة لقوله تعالى(بأن الله نزل الكتاب بالحق) وكونه مدرسة عقائدية ، من وجوه :

الأول : إنه بيان وحجة.

الثاني : الزيادة والتغليظ في توبيخ الذين كفروا.

الثالث : دعوة الكفار للتوبة والإنابة.

الرابع : تفقه المسلمين في الدين، ومعرفة قواعد الإحتجاج مع أهل الكتاب، وتنمية ملكة الجدال عندهم سواء مع أهل الكتاب أو الكفار.

من غايات الآية

وفي الآية مسائل :

الأولى : تأكيد مضامين الآيتين السابقتين.

الثانية : بيان قبح وضرر إخفاء وكتمان الآيات.

الثالثة : كل ما في الآيتين السابقتين هو من الكتاب الذي أنزله الله سواء في منطوقه أو مضمونه.

الرابعة : تقييد نزول الكتاب بأنه بالحق دليل على عجز الناس عن إخفائه، فمن مصاديق الحق في المقام أمور :

الأول : صدق واسطة النزول.

الثاني : تلقي النبي له.

الثالث : إظهار التنزيل وبقاؤه إلى يوم القيامة.

الرابع : عجز الناس عن إخفائه وكتمانه.

الخامس : مضامين آيات القرآن وما فيه من القصص والعبر حق، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[(١)].

الخامسة : بيان فضل الله عز وجل على الناس بخصوص التنزيل من وجوه :

الأول : نزول الكتاب.

الثاني : إن الله عز وجل هو الذي أنزل الكتاب.

الثالث : نزول الكتاب بالحق.

الرابع : تعدد التنزيل، وشموله لعمومات الكتب السماوية السابقة، فيشمل التوراة والإنجيل والقرآن.

ترى هل يعلم الذين يخفون الآيات أن الله عز وجل نزّل القرآن ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[(٢)]، الجواب نعم، من وجوه:

الأول : إن إخفاءهم لها كان أثناء نزول الآيات لذا جاء قوله تعالى في الآية قبل السابقة بصيغة المضارع والجمع ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[(٣)].

الثاني : فيه شاهد بأن الكتمان خاص بالكتب السابقة والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدلالة حرف الجر(من) في الآية على التبعيض(من الكتاب).

الثالث : مصاديق الإطلاق في إتصاف القرآن بالتبيان.

---

(١)سورة الكهف ١٣.

(٢)سورة النحل ٨٩.

(٣)سورة البقرة ١٧٤.

الرابع : مجيء القرآن بالإخبار عن علمهم بقبح فعلهم في إخفاء التنزيل، وفي قوله تعالى ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١)، أموراً :

الأول : فضح تحريف التنزيل.

الثاني : ذم الذين يحرفون صفات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الواردة في الكتب السماوية السابقة.

الثالث : بيان ما تم إخفاؤه وكتمه.

الرابع : المنع من كتمان الآيات وإلى يوم القيامة، فلا يحدث بعدئذ تحريف أو إخفاء للآيات، لإفادة معنى الإستدامة والإتصال من لفظ(التبيان) في الآية أعلاه، ومجيئه بسور الموجبة الكلية في الموضوع والحكم وأفراد الزمان الطولية.

السادسة : بعث السكينة في نفوس المسلمين ووقايتهم من أضرار كتمان أولئك البينات والبشارات، فقد تلقوا نزول القرآن بالتصديق والشكر لله عز وجل، قال سبحانه ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنْ الْمُمْتَرِينَ﴾(٢).

ومجيء الآية أعلاه بالخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيان وإخبار عن الأذى والشك الذي يبعثه كتمان أولئك للتنزيل والبشارات، وتأكيد فضل الله عز وجل على المسلمين في دفع الريب في حقيقة التنزيل.

---

(١)سورة البقرة ٤٢.

(٢)سورة البقرة ١٤٦-١٤٧.

السابعة : بيان حقيقة تأريخية في الملل السماوية، وعند أتباع الأنبياء السابقين بوقوع إختلاف بينهم في الكتاب، ولم تذكر هذه الآية وقوع الإختلاف بين عموم أهل الكتاب، ولكن آيات أخرى تدل عليه بالإضافة إلى قاعدة إثبات شيء لشيء لا يدل على نفيه عن غيره، قال تعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(1).

الثامنة : إخبار المسلمين عن حال الذين يكتمون التنزيل، فقد يخفون الخصومات التي تتغشى الصلات والمعاملات بينهم خشية الشماتة بهم، وقد أخفوا ما هو أعظم من البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاءت الآية بتأكيد ما بينهم من الخصومة الشديدة.

إفاضات الآية

كل آية من القرآن هدى وسبيل رشاد في كلماتها وموضوعها وحكمها، ومن الإعجاز في هذا الباب أن صيغ الهداية لا تتعلق بإتمام الآية وبلوغ خاتمتها، ففي كل كلمة منها هدىً وصلاح، وهو من الفيض الإلهي في كلام الله، والشواهد التي تدل على أنه يفوق كلام البشر، وأنه كنز سماوي متجدد من وجوه :

الأول : كثرة المعاني للفظ القرآني المتحد.

الثاني : كثرة المعاني التي تتضمنها الآية القرآنية.

الثالث : تعدد الدلالات والحجج في الآية القرآنية، فتجد موضوعها متحداً ولكن مفاهيمها متعددة.

الرابع : إنعدام الحصر في المقاصد السامية والغايات الحميدة

---

(1) سورة البقرة ٢١٣.

للآية القرآنية.
الخامس : إجتناب التعارض في الأحكام المستنبطة من آيات القرآن.
والإنسان كائن محتاج، إذ أن الحاجة ملازمة لعالم الإمكان، ومن رحمة الله عز وجل بالإنسان تفضيله بقضاء حاجاته أو تهيئة مقدماتها في أمور الدين والدنيا.
أما بالنسبة للدنيا فقد تفضل الله وجعل الأرض والسماء يدران على الناس من أسباب الرزق الكريم، قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾[1].
وأما بالنسبة لأحكام الدين فقد بعث الله عز وجل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بوعد كريم للناس، وتحد ظاهر متصل إلى يوم القيامة بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2].
ومن مصاديق رحمة الله نزول القرآن بما يكفي الناس في حاجاتهم، ويمنع من كتمان الآيات ويدفع وإلى يوم القيامة أضرار هذا الكتمان فلا غرابة أن يكون من أسماء القرآن (النور) قال تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[3].
ليكون القرآن نوراً في مقابل الظلام الذي يترشح عن كتمان الآيات والبشارات، وذات الكتمان ظلام.
لقد إبتدأت آية البحث باسم الإشارة(ذلك) للبعيد للإخبار

(١)سورة الجاثية ١٣.
(٢)سورة الأنبياء ١٠٧.
(٣)سورة المائدة ١٥.

عن إستحقاق الذين يخفون التنزيل النار، لأن هذا الإخفاء فرع الإصرار على الكفر والجحود بالنبوة، وتأكيد لقبح عملهم والضرر العام الذي يترتب عليه لو لا فضل الله عز وجل، بإظهار الآيات التي كتموها، ومجيء مصداق البشارات النبوية التي أخفوها.

لقد أخبرت الآيات القليلة السابقة عن الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام في الزاد والطعام وتضمنت الآيتان السابقتان التخويف والوعيد للذين يخفون حقائق التنزيل ويكتمون البشارات بالنبوة طمعاً في متاع قليل في الدنيا إذ ينتظرهم عذاب أليم في الآخرة فإبتدأت آية البحث باسم الإشارة(ذلك) لتأكيد الأحكام والوعد والوعيد، وأنها حق وصدق وتنزيل من عند الله عز وجل.

ليكون من معاني الحق في آية البحث من وجوه:

الأول : الحق والصدق وعاء وظرف لنزول الكتاب.

الثاني : عصمة القرآن من التحريف والتبديل أثناء تنزيله، فليس من واسطة بشرية بين الله والنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ ينزل جبرئيل عليه السلام بالوحي، قال تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾(1).

---

(1)سورة الشعراء ١٩٣.

التفسير

قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾

الأولى : ذلك اسم اشارة للبعيد فما المقصود منه ، فيه وجوه:

الأول : الحكم باستحقاق الكفار دخول النار.

الثاني : إقامة الحجة عليهم.

الثالث : ذم بقاء الكفار على الضلال.

الرابع : الوعيد والتخويف بالعقاب بالخلود في النار.

الخامس : انه يتعلق بصبرهم على النار.

السادس : فقدانهم لنعمة تكليم الله تعالى وتضييعها بإصرارهم على الجحود وما فعلوه من المعاصي.

السابع : كيف انهم اشتروا الضلالة بالهدى وإختاروا إخفاء الحق.

الثامن : بيان عظيم ذنبهم ، وتخلفهم عن دلالات إظهار منزلة الكتاب ونزوله من عند الله عز وجل.

التاسع : جميع الوجوه أعلاه تصلح جواباً وموضوعاً لاسم الإشارة لبيان السنن الإلهية في أحكام الجنة والنار، وكأن الآية رد على القول والاستفهام لم إستحق هؤلاء النار.

الثانية : تخبر الآية عن نزول الكتاب من عند الله حقاً.

الثالثة : هل المراد من الكتاب هو القرآن أم التوراة، أختلف فيه خصوصاً وأن لفظ الكتاب ورد في الآية مرتين ولا يعني هذا بالضرورة أن معناهما واحد، ولكنه الظاهر، وان المراد هو القرآن والكتب السماوية الأخرى التي تشير إليه وتخبر عنه خصوصاً وأنه الجامع لها.

الرابعة : الكتاب قد يرد عنواناً جامعاً للكتب السماوية وما هو مكتوب في اللوح المحفوظ وما دوّن من أعمال بني آدم ولكن يفيد قيد التنزيل الوارد في الآية أنه الوحي والكتاب المنزل.

الخامسة : ان اللفظ يتعلق بما هو أخص منه إلا أن يقال أنه المقصود حال تلبسه بالنزول بسائر الكتب السماوية.

السادسة : قد يأتي لفظ الكتاب في القرآن للدلالة على التنزيل وجنس الكتاب والكتب السماوية المنزلة على نحو الإطلاق والبيان والحجة والتوثيق والتوكيد والتأديب والإعلام، ولزوم عدم التفكيك في الإيمان بها على نحو العموم المجموعي إلا مع عدم القرينة على التقييد والتعيين وهو الظاهر في هذه الآية الكريمة.

السابعة : كل كتاب سماوي نزل بالحق، والصدق، والذين يكتمون التوراة والإنجيل والقرآن يصدق عليهم أنهم يكتمون ما أنزل الله من الكتاب سواء كان الكتاب مبشِراً كالتوراة والإنجيل أو مبشراً به وهو القرآن.

الثامنة : صحيح أن كتمان الآيات أعم من التحريف إلا أنه في الغالب يكون فرداً من افراد التحريف، فالذي يتصدى لمنازل الرياسة الدينية منهم يُستفتى ويُسئل فيتداخل عنده إنطباقاً وقهراً الكتمان والتحريف، لذا ورد في التنزيل حكاية عن بعض أهل العناد ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[1].

التاسعة : إستحقاق العقاب الشديد بسبب الجحود بالكتاب مطلقاً وبتحريف الكتب المتقدمة والجحود بالقرآن خاصة.

العاشرة : المدار على التسليم بالقرآن وعدمه على نحو

(1) سورة الملك ٩.

مستقل، فمن يؤمن بالقرآن كتاباً نازلاً من عند الله لا يعتبر ممن يكتم آيات الله لأن الإسلام يجّب ما قبله إلا أن يكون قد أخفى الآيات والبراهين التي ينفع كشفها وإظهارها الإسلام ويضعف جنود الكفر وأعوان الشيطان.

الحادية عشرة : لقد ورد في الآية قبل السابقة قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[1] فهذه الآية توبيخ لهم وتقبيح لفعلهم لأنه مخالف للحق.

ووردت وصف نزول الكتاب (بالحق)، ومن مصاديقه في المقام أمور:

الأول : تجلي وظهور آيات التنزيل للناس.

الثاني : عدم إستطاعة الذين يكتمون التنزيل حجبه عن الناس، لأن طريق التبليغ لم ينحصر بهم، وهذا قانون من قوانين النبوة المباركة بأن يقوم الأنبياء بالتبليغ وإيصال التنزيل إلى أنصار وأتباع مخلصين لا يخفونه ولا يكتمونه لرسوخ ملكة الإيمان عندهم، وعزوفهم عن الدنيا، وتنزههم عن شراء ثمن قليل بالآيات، قال تعالى ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[2].

الثالث : جاءت الباء في قوله تعالى(بالحق) للإلصاق والقرآن والمخالطة أي قرن الله عز وجل تنزيل الكتاب بالحق، والكتاب نفسه حق ونزوله على النبي على نحو التعيين لصفة النبوة حق، وكذا حفظه وتعاهده وتوارثه تركة بين المؤمنين حق .

---

(١)سورة البقرة ١٧٤.

(٢)سورة الأعراف ١٥٩.

وهل يصح معنى(من أجل) للباء أي: نزل الكتاب من أجل الحق، الجواب نعم ، ليكون نزول الكتاب وسيلة مباركة لعبادة الله، وإقامة الحجة على الكفار، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

الرابع : من تنزيل الكتاب بيان العقاب الأليم للذي يكتم الآيات ويشتري بها ثمناً قليلاً.

الخامس : لقد إبتدأت هذه الآية باسم الإشارة ذلك وتعدى بالباء(ذلك بأن) ومعناه(من أجل) لبيان علة إستحقاق الذين كفروا وكتموا التنزيل عذاب النار وجرأتهم عليها.

ويدل على أن اسم الإشارة إذا تعدى بالباء يعطي معنى السبب والعلة لما ذكر قبله، وقال ابن منظور في(الباء) وتأتي(بمعنى في ومن وعن ومع)[2]، ليكون من معانيها في المقام نزول الكتاب مع الحق، وفيه حجة على الذين يخفون البينات والبشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله عز وجل يريد أن يظهرها وأن ينتفع الناس منها.

لقد سعى الفلاسفة في بيان مفهوم الإلوهية، ولكنهم لم يبلغوا الغاية، وتخلفوا عن إكتشاف الحقيقة فقد ذكر عن أرسطو وأفلاطون وأعمدة الفلسفة اليونانية القول بخلود المادة، وأن الله عز وجل أدار ظهره عن الكون وأنه سبحانه لا يعلم الجزئيات، وأثر ومنزلة هؤلاء الفلاسفة عند الناس معلومة ومعروفة، فصار نزول القرآن حاجة للفلاسفة ورجال الفكر وأتباعهم وعموم

(١)سورة الذاريات ٥٦.

(٢)لسان العرب ٤٤١/١٥.

الناس، وبيان حقيقة الخلق والتكوين، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾[١].

لقد بعث النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليبين للناس مفهوم الإلوهية بالحق، وبذات المعنى الذي هبط به آدم عليه السلام وبيّنه والتوحيد جاء به الأنبياء السابقون والكتب السماوية، فمن أضرار كتمان التنزيل شيوع المفاهيم القاصرة، وإدعاء البنوة لله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[٢]، ليكون كل مسلم ومسلمة عالمين في المعارف الإلهية على نحو الجري والإنطباق، إذ أنهما يتعاهدان تلاوة القرآن، ويتلو المسلم ومسلمة كل يوم ولعدة مرات قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

والحق لغة هو المطابقة والموافقة، والحق: الصدق والصحيح وضده الباطل، ويقال حق الأمر أي وجب وصار مستحقاً، ويطلق الحق على وجوه:

الأول: الموجد للشيء بحسب الحكمة والصدق والحقيقة، لذا فهو من الأسماء الحسنى، قال تعالى في الثناء على نفسه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[٤].

الثاني: الشيء الذي يوجد وفق مقتضيات الحكمة وقانون

---

(١)سورة فاطر ٤٠.

(٢)سورة التوبة ٣٠.

(٣)سورة الفاتحة ١.

(٤)سورة طه ١١٤.

العلة والمعلول ومنه بديع الخلق الذي لا يقدر عليه إلا الله والذي هو خير محض، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾(١).

الثالث : الإعتقاد السليم والمطابق للواجب والصدق.

الرابع : التنزيل والكتب السماوية والنبوة، قال تعالى ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾(٢).

وورد لفظ الحق وبصيغة الاسم في القرآن مائتين وثلاثا وثمانين مرة، وورد بصيغة الفعل ثلاثاً وعشرين مرة منه قوله تعالى ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمْ الضَّلاَلَةُ﴾(٣).

الخامس : كل خبر وأمر ونهي وبشارة وإنذار في القرآن هو حق وصدق، وهو من مصاديق آية البحث (نزل الكتاب بالحق)، ولأن الآية في باب البيان والإحتجاج فقد جاءت بصيغة الكتاب وليس القرآن، كما تكرر فيها لفظ(الكتاب) مع قلة كلماتها لعموم الموضوع وأن أنكار التنزيل ومضامينه معصية وإبتعاد عن الحق والواجب.

---

(١)سورة الأنعام ٧٣.

(٢)سورة الأنعام ٥.

(٣)سورة الأعراف ٣٠.

بحث بلاغي

قال تعالى في الثناء على القرآن وبيان إعجازه ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾(١)، تدل مادة(شبه) على التماثل سواء في اللون أو الوصف، ويقال للجوهر الذي يشبه الذهب: شبه، والمشتبهات من الأمور: المشكلات، وقيل المتشابه من القرآن هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره ، ويكون في القرآن على أقسام:

الأول : التشابه في اللفظ وهو على شعبتين:

الأولى : التشابه في اللفظ المفرد والمتحد.

الثانية : التشابه في اللفظ المركب والمتعدد.

الثاني : التشابه في المعنى.

الثالث : التشابه الجامع للفظ والمعنى.

في علم المتشابه البلاغي ذكرت هذه الآية وانها مما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً (٢)، أي موضعاً من القرآن، كما ان مادة (نزل) من أكثر الألفاظ التي جاءت في القرآن فقد جاءت في اكثر من ثلاثمائة موضعاً من القرآن تتعلق بعلم التنزيل واعجازه، وفي هذه الآية قدم اسم الجلالة على التنزيل وفيه نوع توكيد وحجة.

---

(١)سورة آل عمران ٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١٥٣/١

بحث قرآني

ليس من مانع من تعدد معاني الكتاب في قوله تعالى ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[1] أي انه يقصد به وجوه:

الأول : الكتب السماوية مجتمعة.

الثاني : إرادة التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام.

الثالث : الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام.

الرابع : يُراد منه القرآن في إقامة الحجة على الكافرين الذين يخفون صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أن كلاً من هذه الوجوه جاء بما يؤكد البشارة برسالته صلى الله عليه وآله وسلم، ويصلح ان يكون برهاناً وحجة عليهم.

وبذا يكون الخلاف وتعدد الأقوال في معنى الكتاب في الآية خلافاً صغروياً لأنها تلتقي جميعاً بالقرآن، أما أن تكون تبشيراً به وإخباراً عنه، أو تكون جزء منه كما في الكتب السابقة، أو تكون مرآة لها كما في اللوح المحفوظ، وبمثل هذا التأويل تفتح آفاق من العلم وأبواب للبحث والتحقيق، وتنكشف حقائق من القرآن توفر كثيراً من الجهود.

فبدلاً من الإنشغال بتعدد الأقوال في الآية الكريمة والإختلاف والتباعد أو التقارب بين الأقوال فيها، تتوجه القلوب والأبصار إلى الكنوز والأسرار الملكوتية في كل آية قرآنية، وتتنمى الملكة في الجمع بين الوجوه المباركة المحتملة التي تتضمنها الآية من غير تعارض بينها، ولنسميها قاعدة "المعنى الأعم".

ففي هذه الآية يراد من اسم الكتاب كل كتاب نزل بالحق وكل منها يكون حجة وشاهداً على صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) سورة البقرة ١٧٦.

بحث لغوي

جاء وصف القرآن في نزوله بأنه عربي في نحو تسعة مواضع من القرآن مما يدل على اعتبار العربية كلغة للقرآن وأهميتها في بيان اعجازه، قال تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقدم التنزيل على اللغة لأهميته وإعجازه.

والخطاب في الآية للناس عامة والمسلمين خاصة، أي من أسباب البيان وإظهار الإعجاز أن القرآن نزل عربياً، وللعربية أثر في بيان الحكم كما في ظاهر قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[2]، والإعجاز في عربيته باق حتى يوم القيامة، ولا ينحصر بتحدي العرب العرباء، أو العرب وحدهم.

ومنهم من قال: ان في القرآن كلمات أعجمية غير عربية، وقام بعضهم بالرد عليه، ونفي هذا القول للنص بأنه عربي، وقال أبو عبيدة: (إنما انزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم ان فيه غير العربية فقد أعظم القول)[3].

ولا تصل النوبة إلى هذا الحد، فلو تنزلنا وقلنا بوجود بعض الكلمات الأعجمية في القرآن فإنه لا يضر في صدق عربيته، ونسب إلى ابن عباس وعكرمة القول (بأنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم)[4]، ونقل عن أبي حنيفة جواز القراءة بالفارسية، وقيل صح رجوعه عنه.

وقال عطية كما عن مقدمة كتابه في التفسير: (كان للعرب

---

(١) سورة يوسف ٢.

(٢) سورة الرعد ٣٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٢٨٧/١.

(٤) البرهان في علوم القرآن٢٨٨/١ .

العاربة التي نزل القرآن بلغتهم بعض مخالطة لسائر الألسن بتجارات، وبرحلتي قريش، وبسفر مسافرين، كسفر ابي عمرو إلى الشام، وسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى الحبشة)(١).

وسفر نفر وجماعة أيام النبوة وعلى فرض انهم أخذوا من لغة اقوام آخرين لا يمكن أن يؤثر بلغة أمة أو قوم وأن تكون له موضوعية في التنزيل السماوي.

والقول بأنها في الأصل أعجمية، ولكن العرب إستعملتها وعربتها يحتاج إلى دليل.

وقد يتفق أن تتكلم عدة أمم فتضع لفظاً معيناً أزاء معنى واحد وهو نادر الوقوع إلا أنه غير ممتنع.

نحن بحاجة إلى إحصاء الكلمات التي يقال أنها أعجمية، ودراستها كلمة كلمة، والبحث في أصولها وإمكان كونها عربية بلحاظ الدليل أو الأمارة الظنية المعتبرة.

ومن هذه الكلمات :

الأول : الطور : وقيل إن معناه بالسريانية الجبل.

الثاني : طفقا : وهي بالرومية قصدا.

الثالث : القسط، والقسطاس : العدل بالرومية.

الرابع : السجل : وهو بالفارسية الكتاب.

الخامس : الرقيم : وبالرومية يعني اللوح.

السادس : السندس : الرقيق من الستر بالهندية.

السابع : الاستبرق : غليظ الديباج بالفارسية.

الثامن : المشكاة : الكوة بالحبشية.

---

(١)البرهان في علوم القرآن ٢٨٩/١.

التاسع : الأليم : المؤلم بالعبرانية.

العاشر : الدريّ : المضيء بالحبشية.

الحادي عشر : الأبّ : الحشيش بلغة أهل المغرب.

الثاني عشر : اليم : البحر بالقبطية.

الثالث عشر : بطائنها : ظواهرها بالقبطية.

وفيه مسائل :

الأولى : تبلغ كلمات القرآن نحو سبعة وسبعين ألف كلمة واربعمائة وسبعاً وثلاثين كلمة، فيمكن ان تتفق بضع كلمات منه مع بعض اللغات الأعجمية الأخرى، خصوصاً وأن اللسان خلقة واحد، وقابلية الإنسان مطلقاً على إختيارالكلمات في الأصل واحدة.

الثانية : إن بعض الأمم سبقت بعضها إلى إختيارها، وأن الإختيار اللاحق ليس على نحو التقليد والمحاكاة بل على نحو الإتفاق والإلتقاء، وعلى فرض أنه كان على نحو المحاكاة فلا يضر بصدق الإختيار، فما إختاره العرب مما شابه كلام غيرهم فهو عربي.

الثالثة : إن هذه الكلمات كانت في الأصل عربية ثم أخذتها الأمم الاخرى.

الرابعة : على فرض وجود كلمات اعجمية في القرآن فانها معدودة وتترشح عليها صبغة وعنوان العربية بصفة القرآن وعربيته وهي حينئذ نوع بشارة لدخول الأمم التي تتكلم هذه المفردات الإسلام، قال تعالى﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾(١).

---

(١)سورة سبأ ٢٨.

قوله تعالى ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾

يحمل الإختلاف على وجوه لغة واصطلاحاً، وهو من الكلي المشكك الذي تقع تحته مصاديق عديدة متفاوتة قوة وضعفاً، وسعة وضيقاً، ونعت الله عز وجل الذين إختلفوا في التنزيل في شقاق بعيد فلابد أن أطراف الإختلاف في ضلالة ويحمل إختلافهم حينئذ على :

الأولى : الخروج عن الطاعة والحق لغة.

الثانية : خالفوا النصوص الواردة في الكتب المنزلة بحق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعض الأحكام.

الثالثة : ورود الحرف (في) دليل على الظرفية وأن الإختلاف لا يعني توارث الكتاب وأنهم صاروا خلفاء فيه كما ذهب إليه بعض كبار المفسرين، والاختلاف هنا تباين الآراء طرداً وعكساً، واثباتاً ونفياً بقرينة ان الآية في مقام الذم والتوبيخ ، وورد عن الصادق عليه السلام في الخبر الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "(اختلاف علماء أمتي رحمة) قال عليه السلام : انما أراد اختلافهم من البلدان لا إختلافاً في دين الله"[1].

الرابعة : جحود بعضهم برسالة عيسى عليه السلام والخلاف في نبوته وفي الأحكام.

الخامسة : الإختلاف في التحريف من جهة الكم والمواضيع التي شملها التحريف.

وذكرت الآية الإختلاف في الكتاب على نحو التعيين، ولم تذكر الإطلاق في الكتاب، وفيه نكتة وهي أن الإختلاف في

---

(١)البحار ١/٢٢٨.

الكتاب هو أصل تتفرع عنه مصاديق عديدة من الإختلاف، وفي هذا الإختلاف وأهله وجوه :

الأول : إرادة فريق من أهل الكتاب اختلفوا في كتاب الله، فكفر بعضهم بما قصّ الله فيه من قَصَص عيسى ابن مريم وأمه. وصَدقت طائفة ببعض ذلك، وكفروا ببعضه، وكفروا جميعًا بما أنزل الله فيه من الأمر بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم. فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن هؤلاء الذين اختلفوا فيما أنزلت إليك يا محمد لفي منازعة ومفارقة للحق بعيدة من الرشد والصواب، كما قال الله تعالى ذكره: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ)[1].

الثاني : المراد من الكتاب هو(التوارة، فقال النصارى أن فيها صفة عيسى وأنكر اليهود صفته)[2].

الثالث : خالفوا آباءهم وسلفهم في التمسك بها.

الرابع : المراد من الكتاب هو القرآن، والمراد من الذين إختلفوا كفار قريش، فقد أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإختلفوا بعلة وسبب هذا الإنكار بما يكون خصومة وشقاقاً بينهم، فمنهم من أدّعى أنه شاعر، وآخر قال أنه ساحر، ومعلم، ومفتري، وفي التنزيل ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾[3].

---

(١)تفسير الطبري ٣٣٦/٣.

(٢)تفسير القرطبي ٢٣٢/٢.

(٣)سورة الدخان ١٤.

قوله تعالى ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

وفيه مسائل :

الأولى : إخبار سماوي وإعجاز يكشف عن حقيقة الخصومات المستديمة المتصلة بينهم.

الثانية : الظاهر أن نعته بالبعد للدلالة على إبتعادهم مجتمعين ومتفرقين عن جادة الحق وسبل الصواب والرشد.

الثالثة : في الآية مدد وبشارة للمسلمين بضعف أعدائهم بالفرقة والخصومة فيما بينهم.

الرابعة : الآية دعوة لعدم الإنشغال بكيفية بث روح الفرقة بين أعداء الإسلام لأنهم في خلاف ونزاع وخصومة، لذا ترى كل فرقة وملة تكذب الأخرى، ومنهم من يفتري على الأنبياء الآخرين والصالحين.

الخامسة : ان الخصومة والفرق بين الجاحدين برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذاتية وليس عرضاً زائلاً، إذ أن الإخبار القرآني ورد على نحو الإطلاق والقضية المهملة المنبسطة عليهم جميعاً في أفراد الزمان الطولية.

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السِفر المبارك

١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.

٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.

٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.

٤- سيادة رئيس مجلس القضاء الأعلى/ العراق

٥- سيادة مستشار الأمن القومي السيد قاسم الأعرجي

٦- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا .

٧- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام .

٨- الأمين العام لإتحاد المؤرخين العرب.

٩- سعادة سفير العراق في الفاتيكان

١٠- سيادة رئيس محكمة استئناف بغداد / الكرخ

١١- سعادة أ.د .رئيس جامعة دمشق .

١٢- سعادة أ.د .رئيس جامعة ديالى .

١٣- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية

١٤- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.

١٥- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.

١٦- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.

١٧- عادة أ.د رئيس جامعة واسط / العراق .

١٨- سعادة أ.د. رئيس جامعة البصرة / العراق.

١٩- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.

٢٠- سعادة أ.د. رئيس جامعة القادسية / العراق.

٢١- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٢٢- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.

٢٣- سعادة أ.د.مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مكتب الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

٢٩/ص
٢٠٠٨/٢/٢٠

السيد صاحب الفضيلة المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.

نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.

وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

محمد طنطاوي

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي)

في: ١٣ من صفر ١٤٢٩هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨م

مصطفى عباس

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الإفتاء
مكتب
صادر رقم ١٠٨
بتاريخ ٢٠/٤/٢٠١١

جمهورية مصر العربية
دار الإفتاء
مكتب المفتي

المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من من الجزء الثاني والثمانين.

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.

شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ.د/علي جمعة

مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT

ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL

منظمة التعاون الإسلامي
الأمانة العامة

OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...وبعد،

فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب"معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء التسعون-الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.

أحمد التكروري

مستشار الأمين العام

جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى

سماحة الشيخ صالح الطائي "المحترم"

تحية طيبة

إشارة إلى كتابكم المرقم(١٧/٧٢٨٥) المؤرخ في ٢٠١٧/١٢/١٧.

تلقينا ببالغ الإعتزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء التاسع والخمسين بعد المائة، نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.

مع التقدير

القاضي
فائق زيدان
رئيس مجلس القضاء الأعلى
٢٠١٧/١٢/ ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
رئاسة الوزراء
مستشارية الأمن القومي

Republic of Iraq
Prime Ministers
National Security Advisory

العدد: ٣٢٥١
التاريخ: ٧ / ١١ / ٢٠٢١

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي (دامت بركاته)

السلام عليك عليكم ورحمة الله وبركاته

ببالغ الإمتنان والغبطة تلقينا هديتكم الكريمة (الجزء السادس عشر بعد المائتين) من التفسير المبارك شاكرين حسن معالجتكم لهذا الموضوع المهم ونشد على عضدكم لتتقدموا للأمة كل ما ينفعهم وينير بصيرتهم ويجلي الرين عن قلوبهم ليفهموا كتاب الله كما أراد سبحانه أن يفهموه ويعملوا بأحكامه ليكون لهم في الدنيا، مرشداً وفي الآخرة شفيعا. ونضع أنفسنا وامكاناتنا لخدمة هذا المجهود المبارك سائلين المولى القدير أن يوفقكم لكل خير.

مع خالص الدعاء

اخوكم

قاسم الاعرجي

مستشار الامن القومي

جمهورية العراق
المحكمة الاتحادية العليا
مكتب رئيس المحكمة

كۆماری عێراق
دادگای بالای فیدرالی

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

تحية طيبة

تلقينا ببالغ الاعتزاز إهداءكم القيم (الجزء الرابع والثلاثون بعد المائتين) من تفسيركم للقرآن، وهو بقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .

ونقدم شكرنا وتقديرنا .

القاضي
جاسم محمد عبود
رئيس المحكمة الاتحادية العليا
١٤/ ٥/ ٢٠٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
مجلس القضاء الاعلى
رئاسة الادعاء العام
المكتـــب

العدد /
التاريخ / / /٢٠١٩

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي

م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آملين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.

مع التقديــــر.

القاضـي
موفق محمود محمد صالح
رئيـــس الادعـــاء العـــام
/١/٢٠١٩

مجلس القضاء الأعلى
رئاسة الادعاء العام
المستشارة
العدد/
التاريخ / / ٢٠١

مجلس الوحدة الاقتصادية العربية
التابع لجامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

Council Of Arab Economic Unity
Subsidiary to Arab League
Union of The Arab Historians
General Secretary

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن

أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

وأسال الله تعالى أن يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم أنه سميع مجيب الدعاء

تسلمت مع بالغ الشكر والتقدير والإمتنان والإعتزاز اهداءكم لنا الجزء الواحد والثلاثين بعد المائتين من تفسيركم للقرآن وهو بعنوان (آيات السلم محكمة غير منسوخة) ، وأن هذا الإنجاز يعبر عن مستوى ما متعكم به الله تعالى من امكانات متميزة في الإبداع الفكري والعلمي في مجال تفسيركم للقرآن الكريم ، ولم اقرأ أو اسمع أن هنالك منجزاً في تفسير القرآن العظيم بمثل ما قدمتموه ، وأني لاعجز عن التعبير عن مدى اعجابي واحترامي وتقديري لما حباكم به الله تعالى من امكانية علمية فريدة ومتميزة .

داعياً الله تعالى لكم بموفور الصحة والسعادة والأجر الفضيل من أجل تقديم المزيد من العطاء لخدمة الإسلام والمسلمين في زمن شح به العطاء والإنتاج الفكري الإسلامي ، دعائي من الله تعالى لكم بمزيد من الصحة والعافية ومزيد من الإنتاج الرائع المتميز .

وسلامي للعائلة العزيزة جميعاً الذين وفروا لك أجواء هذا العمل العلمي المتميز وجزاهم الله خير الجزاء ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

العميد - رئيس الهيئة العلمية لمعهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا

اتحاد المؤرخين العرب
الأمانة العامة
بغداد

سفارة جمهورية العراق
باليوزخانەى كۆمارى عێراق
EMBASSY OF THE REPUBLIC OF IRAQ
الفاتيكان
HOLY SEE

العدد: 7/2/ 195
التاريخ: 5/ 2022/4

الى/مكتب المرجع الديني سماحة الشيخ صالح الطائي

م/ تأكيد استلام كتب

نرفق اليكم المذكرة الشفوية الواردة الينا من سكرتارية دولة حاضرة الفاتيكان بالعدد 555.389 المؤرخة في 2022/4/14 المتضمنة تأكيدها استلام هدية مكتب المرجع الطائي المكونة من خمس أجزاء من تفسيره (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ورسالة تعريفية بالعدد 22/2 المؤرخة في 2202/1/2 المرسلة اليهم رفقة المذكرة الشفوية لسفارتنا بالعدد 7/2/15في 2202/1/7

يرجى التفضل بالإطلاع ... مع التقدير

السفير
رحمن فرحان العامري
2022/4/5

سفارة جمهورية العراق - الفاتيكان
EMBASSY OF THE REPUBLIC OF IRAQ - VATICAN

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق

مجلس القضاء الأعلى

رئاسة محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

مكتب رئيس الاستئناف

العدد: مكتب متفرقة ٢١ / ١٠١

التاريخ ٣٠ / ١٢ / ٢٠٢١

إلى/ مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي المحترم

اشارة الى كتابكم ذو العدد ٢١/٢٢٥٠ في ٢٠٢١/١١/٢١.
تلقينا بمزيد من الفخر والاعتزاز الجزء (السادس والعشرون بعد المائتين) من موسوعة معالم الإيمان في تفسير القرآن لا يسعنا إلا ان نقدم شكرنا واعتزازنا بكم املين تقديم المزيد من العطاء الفكري والعلمي في مسيرتكم .

مع فائق التقدير ...

القاضي

خالد طه احمد

رئيس محكمة استئناف بغداد الكرخ الاتحادية

٢٠٢١/١٢/٣٠

الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
رئيس جامعة دمشق

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب احسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

أتقدم اليكم بجزيل الشكر والتقدير لهديتكم القيمة الجزء الحادي عشر بعد المائتين الخاص بقانون (آيات السلم محكمة غير منسوخة).

وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية والمزيد من النجاح والتوفيق ، نبارك لكم جهودكم ونقدر لكم هذا الإهداء...

رئيس جامعة دمشق

الأستاذ الدكتور محمد بسار عابدين

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific of Research
University of Diyala

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
مكتب رئيس الجامعة

العدد ١٧١
التاريخ ٥ ١١

سماحة مرجع الدين الشيخ صالح الفضلي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

سدد الله فقهه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

تلقينا بكل تقدير وإمتنان إهدائكم نسخة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء السادس بعد المائتين ، ونتقدم بخالص الشكر والعرفان على هذا الاهداء ، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه ، وان يسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح أنه سميع مجيب

ومن الله التوفيق

أ.د. عبد المنعم عباس كريم

ع / رئيس جامعة ديالى

٢٠٢٠/١١/٤

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك فيصل
(٠٣٧)

الموضوع:......................................

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي الموقر
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب ـ٢١١٦٨ مملكة البحرين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتأريخ ٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني أشكر فضيلتكم جزيل الشكر على إهتمامكم المتواصل بتزويد إدارة الجامعة بهذه النسخة، وستحال إلى مكتبة الجامعة للإطلاع عليها، سائلا المولى جلت قدرته للجميع التوفيق والسداد.

وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة

د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة كردفان
UNIVERSITY OF KORDOFAN

النمرة: .... ج ك/م م/١٧ /ح/٣
التاريخ: ... 2016/8/16م

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

Our Ref: .....
Date: .....

السادة/ مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بإنتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءاً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام

أ.د. أحمد عبدالله عجب الدور
مدير الجامعة

المملكة العربية السعودية
[illegible]
[illegible]
[illegible]
(٠٣٢)

الرقم:
التاريخ: ١٠/ /١٤٣٦هـ
المرفقات:
الموضوع:

معالي الشيخ/ صالح الطائي سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسال الله لمعاليكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكلل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ. د/ عبدالرحمن بن عبدالله السند

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY

العدد: ٢٩٢/١
التاريخ: ١٠/٤/٢٠١٦م
/ / ١٤٣٧هـ

NO.:
DATE: / / 201

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهدائكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء الثلاثون بعد المائة من(معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.

ومن الله التوفيق...

أ.د.علي صالح حسين
رئيس الجامعة العراقية
١٠/٤/٢٠١٦م

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Presidency of Wasit University

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
مكتب رئيس الجامعة

العدد: ٢٤٧٩
التاريخ: ٢٤/ ٨/ ٢٠٢٠م
التاريخ: / / ١٤ هـ

"النزاهة آية العفة" الامام علي ع
(معا لمساندة القوات المسلحة لدحر الإرهاب)

إلى/ المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :ـ

قال تعالى ((نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) أنه لفرح كبير وفخر أكبر ان احظى بأجزاء من تفسيركم للقرآن الكريم ، وهو تفسير واسع اضيف الى المكتبة الإسلامية ، وسيكون له اثره الطيب في فهم نصوص القرآن الكريم ولكم به أجر وثواب الآخرة ، ولا يسعنا في هذا المقام الا ان نقدم لكم شكرنا وتقديرنا على هذا الإهداء الفريد ، متمنين لكم التوفيق والمزيد من العطاء المبارك.

مع فائق الإحترام...

الأستاذ الدكتور
مازن حسن جاسم الحسني
رئيس جامعة واسط

الأستاذ الدكتور
مازن حسن جاسم الحسني
رئيس جامعة واسط
٢٤/ ٨/ ٢٠٢٠

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
قسم الإعلام والعلاقات العامة

بسم الله الرحمن الرحيم

Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Basra University
Dept. of Media & Public
Relations

العدد: ٧/٣١/٩٠٦٩
التاريخ: ١٣/ ٣/ ٢٠١٤م

الشيخ محمد الشيخ صالح الطائي المحترم
مدير مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم

نهديكم أطيب التحيات ...

نتقدم بأجمل عبارات الشكر والتقدير على جهودكم المبذولة في إهدائكم إيانا نسخة من كتابكم (معالم الإيمان في تفسير القرآن/ الجزء الواحد بعد المائة) ..... متمنين لكم المزيد من التقدم والنجاح.

تفضلوا بقبول وافر الاحترام ...

الأستاذ الدكتور
ثامر احمد حمدان
رئيس الجامعة

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة ذي قار
مكتب رئيس الجامعة

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Thi- Qar
Bureau of University President

إلى/ مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

باعتزاز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣، ١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد، سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله ولي التوفيق

أ.د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٨/٦/٢٠١٦

Republic of Iraq
Ministry Of Higher Education
and Scientific Research
University of Al-Qadisiya
Chief of University Office

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
مكتب رئيس الجامعة

Ret :
Date:

العدد: م.ج / ٢٩٤٢
التاريخ: ٩ / ٢ / ٢٠١٥

إلى / مكتب المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

تحية طيبة ...

تسلمنا ببالغ الشكر والتقدير الجزء السابع بعد المائة من التفسير وهو القسم الأول من تفسير(أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس) شاكرين لكم اهداءكم متمنين لكم مزيداً من الإرتقاء والأزدهار والتطور.

...مع التقدير

أ.د. أحسان كاظم شريف القرشي
رئيس الجامعة
٢٠١٥/٢/

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة جدارا

مكتب الرئيس

Jadara University

Office of the President

الرقم ١٧/١١١/٢٠٦/م

التاريخ ٦/٢٦ ١٤٣٣هـ

الموافق ٢٠١٢/٦/٢٤

Ref.

Date

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر وإعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تأريخ ٢٠١٢/٥/٢٦م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآية(١٣٣) من سورة آل عمران.

واني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الأسلامية متمنياً لكم كل التقدم والإزدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة

أ. د محمد الطعامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ
الموافق ٢٠١٨/١١/٢٤م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها، وتشكركم على الجزء(١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل على أن النبي(ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلا، شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأستاذ بدر
(أمين السر)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

رقم ..498.../ ر.ج/ 2014

رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 2015/03/25

إلى السيد المحترم/الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني

تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب(معالم الإيمان في تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرية أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الإحترام والتقدير.

مدير الجامعة

مدير الجامعة

أ.د. عبد الله بوخلخال

الفهرس

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
من غايات الآية	٢٣	المقدمة	٣
التفسير	٢٧	قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٥
تفسير ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	٢٧	الإعراب واللغة	٥
تفسير قوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾	٢٨	في سياق الآيات	٥
بحث كلامي	٣٠	إعجاز الآية	١٣
تفسير قوله تعالى ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾	٣٢	الآية سلاح	١٥
تفسير ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٣٤	مفهوم الآية	١٧
قوله تعالى ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٣٦	الآية لطف	١٩
القراءة	٣٦	إفاضات الآية	٢١

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٦	الإعراب واللغة	٦٢	بحث فقهي في ذبيحة الكتابي
٣٧	في سياق الآيات	٦٤	بحث بلاغي
٤٣	إعجاز الآية	٦٥	قوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾
٤٥	الآية سلاح	٦٦	بحث كلامي
٤٦	مفهوم الآية	٦٨	قوله تعالى﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ
٤٧	الآية لطف	٧٢	بحث فقهي
٤٩	إفاضات الآية	٧٥	تفسيرقوله تعالى ﴿ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾
٥١	الصلة بين أول وآخر الآية	٧٦	تفسير ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٥٣	من غايات الآية	٧٨	بحث بلاغي
٥٥	تفسير﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ﴾	٧٩	بحث ايماني
٥٨	بحث لغوي	٨٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
٥٩	مسائل فقهية	٨٠	الإعراب واللغة
٦١	تفسيرقوله تعالى﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ	٨٢	في سياق الآيات

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٠٤	إعجاز الآية	١٥٧	تفسيرقوله تعالى﴿ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
١١١	الآية سلاح	١٦٠	بحث كلامي
١١٦	أسباب النزول	١٦١	تفسير قوله تعالى﴿ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾
١١٧	مفهوم الآية	١٦٢	تفسير ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
١١٩	الآية لطف	١٦٣	قوله تعالى﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾
١٢٧	إفاضات الآية	١٦٣	الإعراب واللغة
١٣١	الصلة بين أول وآخر الآية	١٦٤	في سياق الآيات
١٣٧	من غايات الآية	١٧١	إعجاز الآية
١٤٢	تفسير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ	١٧٣	الآية سلاح
١٤٩	تفسيرقوله تعالى﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾	١٧٥	مفهوم الآية
١٥١	تفسيرقوله تعالى﴿ أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾	١٧٦	الآية لطف

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٧٨	إفاضات الآية	٢٢٠	الآية سلاح
١٧٩	الصلة بين أول وآخر الآية	٢٢١	مفهوم الآية
١٨٦	من غايات الآية	٢٢٣	الآية لطف
١٨٨	التفسير	٢٢٤	الصلة بين أول وآخر الآية
١٨٩	قوله تعالى﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾	٢٢٧	من غايات الآية
١٩٢	بحث كلامي	٢٣٠	إفاضات الآية
١٩٣	قوله تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾	٢٣٣	تفسير قوله تعالى﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾
١٩٦	بحث أدبي	٢٣٩	بحث بلاغي
١٩٧	بحث تأريخي	٢٤٠	بحث قرآني
١٩٩	قوله تعالى﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	٢٤١	بحث لغوي
١٩٩	الإعراب واللغة	٢٤٤	تفسير قوله تعالى﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾
٢٠٠	في سياق الآيات	٢٤٦	قوله تعالى﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾
٢١٨	إعجاز الآية	٢٤٧	ردود كريمة